

الدرس الأول مِنْ شرح كتاب:

”كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة“ للحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى

لصاحب الفضيلة المدرس في الجامعة الإسلامية محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى^(١)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين،

وبعد:

قال الحافظ أبو الفرج زين الدين ابن رجب الحنبلي البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه (كشف

الكربة في وصف حال أهل الغربة):

[المتن]: الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي

لكرم وجهه وعز جلاله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، خرّج مسلم في

صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ”بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما

بدأ، فطوبى للغرباء“، ومن حديث ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ”إن الإسلام بدأ غريباً،

وسيعود غريباً كما بدأ“، وخرّجه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ابن مسعود بزيادة في آخره: قيل: يا

رسول الله، ومن الغرباء؟ قال: ”النزاع من القبائل“، وخرّجه أبو بكر الآجري، وعنده: قيل: ومن هم يا

رسول الله؟ قال: ”الذين يصلحون إذا فسد الناس“، وخرّجه غيره، وعنده: قال: ”الذين يفرّون بدينهم من

الفتن“، وخرّجه الترمذي من حديث كثير بن عبدالله المزني، عن أبيه، عن جدّه، عن النبي صلى الله عليه

وسلم: ”إن الدين بدأ غريباً، ويرجع غريباً، فطوبى للغرباء، الذين يصلحون ما أفسد الناس بعدي من

سنتي“، وخرّجه الطبراني من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي حديثه: قيل: من هم يا

١ _ ألقاه في مسجد عتبة بن غزوان رضي الله عنه بالدمام، شهر شوال، عام ألف وأربعمائة وسبعة وثلاثين من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

رسول الله؟ قال: "الذين يَصْلُحُونَ حين يَفْسُدُ النَّاسُ"، وَخَرَجَهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ بِنَحْوِهِ، وَخَرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"، قُلْنَا: وما الغرباء؟ قال: قومٌ صالحون قليلٌ في ناسٍ سوءٍ كثيرٍ، مَنْ يَعَصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَطِيعُهُمْ، وَرُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا فِي هَذَا الْحَدِيثِ، قِيلَ: وَمَنْ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: "الْفَرَارُونَ بِدِينِهِمْ، يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ".

[الشرح]: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيوم السموات والأرضين، شهادة أرجو بها النجاة يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم يُبْعَثُ ما في القبور، ويُحْصَلُ ما في الصدور، وأصلي وأسلم على عبده ورسوله وخيرته من خلقه نبينا وسيّدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذه الرسالة (كما سمعتم عنوانها) نحن بحاجة إليها، كَشَفُ الكربةِ في وَصْفِ حَالِ أَهْلِ الغربةِ، نحن بحاجة إليها، وإلى قراءتها في هذا الزّمن، إلى ما سَطَّرَهُ وَكَتَبَهُ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ الْأُئِمَّةِ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، وَرَضِيَ عَنْهُمْ، وَجَزَاهُمْ عَنَّا وَعَنِ الْإِسْلَامِ خَيْرَ الْجَزَاءِ، فَقَدْ نَصَحُوا اللَّهَ وَلِكُتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ، فَجَزَاهُمْ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا، هَذِهِ الرِّسَالَةُ الَّتِي هِيَ عَلَى وَجَازَتِهَا كَمَا تَرَوْنَ جَمَعَتْ عِلْمًا كَثِيرًا، وَجَمَعَتْ خَيْرًا كَثِيرًا، فَمَنْ قَرَأَهَا وَتَأَمَّلَهَا وَتَدَبَّرَهَا وَتَفَهَّمَهَا فَإِنَّهُ سَيَجِدُ الْأُنْسَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كَيْفَ لَا وَهُوَ يَتَنَقَّلُ بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَلَامِ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَكَلَامِ صَالِحِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ عُلَمَائِهَا الْمُتَّقِينَ وَعِبَادِهَا الزَّاهِدِينَ؟! الَّذِينَ نَقَلَ عَنْهُمْ هُوَ، وَنَقَلَ عَنْهُمْ غَيْرُهُ أَيْضًا رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فِي هَذَا الْبَابِ وَقَدْ حَاوَلَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَنْ يَخْتَصِرَ، وَمَعَ الْاِخْتِصَارِ أَنْ يَجْمَعَ، يَجْمَعُ بِاِخْتِصَارٍ، وَالْجَمْعُ مَعَ الْاِخْتِصَارِ؛ هُوَ الْاِكْتِفَاءُ بِوَاحِدٍ مِنَ النَّظَائِرِ وَحَذْفِ أَمْثَالِهِ مِنَ الْكَثِيرِ، لِأَنَّهُ لَا يَرِيدُ الْاِسْتِيعَابَ، وَإِنَّمَا يَرِيدُ إِذَا كَانَ فِي الْبَابِ مِثْلًا عَشْرَةَ أَحَادِيثَ بِنَفْسِ اللَّفْظِ؛ اِكْتَفَى بِوَاحِدٍ،

وهكذا يَدْعُ الباقي لغيره ممَّا ليس في الباب، فإذا جاء به وله مثيل؛ اكتفي بواحدٍ، وهكذا حتى يجتمع عنده جميعُ الأنواعِ بأقلِّ عددٍ ممكنٍ، وهذا الذي يسلكه أهل الاختصار رحمهم الله تعالى للعلم في هذه الأعصار المتأخرة، والمَقْصَدُ بذلك تيسيرُ المطالعة والحفظ على مَنْ يأتي بعدهم.

فيقولُ رحمه الله تعالى في هذا (الذي سمعتم ما قال) مستوفياً بقدر الاستطاعة ألفاظَ الحديثِ هذا (حديثُ الغرباء)، فبدأ بحديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عند مسلمٍ، وهو عند ابن ماجه أيضاً مِنَ الستة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء" (وطوبى): اسمُ شجرةٍ في الجنة، وهي كنايةٌ عن دخول الجنة، وجاء به مِنَ الحديث الثاني (حديث ابن عمر رضي الله عنهما) بلفظ: "إن الإسلام"؛ بالتوكيد، "بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ"؛ توكيدٌ على هذا الأمر ألا وهو الغربية، غربة الإسلام في أوله، التي سيعود إليها في آخره، حيث جاء بر(إن) المثقلة: "إن الإسلام بدأ غريباً"؛ فهي للتوكيد، كما جاء به أيضاً مِنْ طريق أخرى، وهي رواية ابن مسعود رضي الله تعالى عنه، ومقصدهُ منها الزيادةُ في آخرها، وقد نَسَبَهَا إلى الإمام أحمد رحمه الله تعالى وابنِ ماجه، وهو عند الدارمي والآجري في كتاب الغرباء والبغوي في شرح السنة، ومقصودُه منه (كما قلنا لكم): إيرادُ الزيادة التي فيها تفسيرُ الغرباء، فالأوَّل هو الذي ابتدأ به (حديث أبي هريرة)؛ فيه تقريرُ الموضوع، والثاني (اللفظ الثاني) لتأكيد أنَّ الغربة حاصلةٌ في آخر الزمان كما كانت قد حصلت في أوَّل الأمر في ظهور الإسلام، وهذا يُزِيلُ الشكَّ عن المستمع، ويُؤَيِّدُهُ اليقين بأنَّ ما عاش فيه مِنَ الغربة هو تصديقٌ لما أَخْبَرَ به النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يَتَخَلَّفْ ما أَخْبَرَ به، وهنا يُخْبِرُ به بالتوكيد، أمَّا اللفظ الآخر: ففيه وصفُ هؤلاء الغرباء، فَإِنَّ في آخره: قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟ أو وَمَنِ الغرباء؟ قال: "النَّزَاعُ مِنَ القبائل"؛ وهذا عند الإمام أحمد وابن ماجه والدارمي والآجري في كتاب الغرباء والبغوي في شرح السنة، وفي إسناده ضعفٌ عند هؤلاء، لكنَّه يتقوَّى بما سيأتي معنا إن شاء الله مِنَ الشواهد، فيصيرُ حسناً لغيره، وقد خَرَّجَهُ أبو بكر الآجري في كتاب الغرباء، فله جزءٌ جَمَعَ فيه هذا الحديث، اسمه هكذا: "الغرباء"

جَمَعَ فِيهِ رَوَايَاتِهِ وَالْفَاطَهَ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَعِنْدَهُ فِيهِ: قِيلَ: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الَّذِينَ يَصْلَحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ"؛ وَفِي سَنَدِهِ أَيْضًا ضَعْفٌ، لَكِنَّهُ يَتَّقَوْنَ بِمَا بَعْدَهُ مِنَ الشَّوَاهِدِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، الَّذِي قَرَأَهُ عَلَيْنَا أَخُونَا الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ، وَمِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ، وَسَيَأْتِينَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى الْكَلَامَ عَلَيْهِ، فَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ لَغَيْرِهِ بِهَذَا اللَّفْظِ، كَمَا خَرَجَهُ أَيْضًا بِلَفْظٍ: "الَّذِي يَفْرُونَ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتَنِ"، وَهَذَا قَدْ جَاءَتْ لَهُ عِدَّةٌ أَحَادِيثٌ تَشْهَدُ لَهُ، وَسَنَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَثْنَاءَ الْقِرَاءَةِ، وَجَاءَ بِهِ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ كَثِيرٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا هُوَ الْمَخْرَجُ الرَّابِعُ، فَالْأَوَّلُ: أَبُو هُرَيْرَةَ، وَالثَّانِي: ابْنُ عَمْرٍ، وَالثَّلَاثُ: ابْنُ مَسْعُودٍ، وَالرَّابِعُ: طَرِيقُ كَثِيرٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَثِيرٌ ضَعِيفٌ، وَلَفْظُهُ: "إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَسِيرَجٌ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"؛ فَإِلَى هُنَا: يَشْهَدُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ حَدِيثٍ مَنْ؟ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: "إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا"؛ وَهُنَا: "إِنَّ الدِّينَ"؛ وَالدِّينُ هُوَ الْإِسْلَامُ {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} ^(٢)، فَجَاءَ بِهِ هَكَذَا، فَيَشْهَدُ لَهُ مَا جَاءَ ^(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى التَّفْسِيرُ وَهُوَ قَوْلُهُ: "الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ"؛ وَسَيَأْتِينَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بَيَانُ شَاهِدِهِ، أَمَّا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِنْهُ فَهُوَ لَفْظُ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ كَمَا هُوَ عِنْدَ مُسْلِمٍ فِي صَحِيحِهِ، وَكَثِيرٌ اخْتَلَفَ فِيهِ، فَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِكَلَامٍ قَوِيٍّ، لَكِنَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمْ يُوَافِقْ عَلَى ذَلِكَ، فَلِهَذَا مَشَأُهُ جَمْعُ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الشَّوَاهِدِ وَالْمَتَابِعَاتِ، وَخَرَجَ لَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُنَنِهِ، وَهُوَ الْقَائِلُ: "لَا يُتْرَكُ الرَّجُلُ عِنْدِي حَتَّى يُجْمَعَ الْجَمِيعُ عَلَى تَرْكِهِ"، فَكَثِيرٌ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ لَمْ يُجْمَعْ الْجَمِيعُ عَلَى تَرْكِهِ، فَمِثْلُهُ يَصْلُحُ، وَيَتَّقَوْنَ حَدِيثَهُ بِمَا تَقَدَّمَ مَعْنَاهُ، وَأَمَّا حَدِيثُ جَابِرٍ فِيهِ: قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "الَّذِينَ يَصْلَحُونَ حِينَ يَفْسُدُ النَّاسُ"، هُنَاكَ: "يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ"، وَهُنَا: "يَصْلَحُونَ حِينَ يَفْسُدُ النَّاسُ"،

٢ _ آل عمران (١٩).

٣ _ هُنَا فِي الْأَصْلِ: (فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَرْضَاهُ أَيْضًا، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، مَعْذَرَةٌ).

فهنا: يَصْلِحُونَ في أنفسهم، وهناك: يُصْلِحُونَ غَيْرَهُمْ، فهناك النَّفْعُ متعدي، وهنا النَّفْعُ لازمٌ في صلاح أنفسهم، فهنا قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟ هذا حديث جابرٍ عند الطبراني، مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: "الذين يَصْلِحُونَ حين يفسد الناس"، وهو أيضا مخرجٌ مِنْ حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه بنحو حديث جابرٍ رضي الله تعالى عنه، عند الطبراني أيضا، وسيأتينا إن شاء الله ذِكْرَهُ، كما خَرَجَهُ الإمام أحمدٌ مِنْ حديث سعد بن أبي وقاصٍ، وفيه: "طوبى يومئذٍ للغرباء إذا فسد الناس"، إذا فسد الناس، ففيه زيادة: "طوبى للغرباء"، وهي موافقةٌ لما في صحيح مسلم، وفيه: وَصَفُ هؤلاء الغرباء، وهم الذين يكونون حين فسادِ النَّاسِ، وهذا عند الإمام أحمد، وسنَدُهُ صحيحٌ إن شاء الله تعالى، كما أورده أيضا مِنْ حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "طوبى للغرباء"؛ وهو عند الطبراني أيضا، فعزَّاهُ إلى أحمد والطبراني مِنْ حديث ابن عمرو، قال: "طوبى للغرباء"، قلنا: وما الغرباء؟ وفي بعض الطرق: وَمَنْ الغرباء؟ للعاقل (الاستفهام للعاقل)، قال: "قومٌ صالحون قليلٌ (قومٌ صالحون قليلٌ) في ناسٍ سوءٍ كثيرٍ"؛ فَدَلَّ ذلك على قِلَّةِ أهل الخير في آخر الزمان وكثرة أهل الشر، "مَنْ يعصيهمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يطيعهم"، مَنْ يعصيهمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يطيعهم، وهذا فيه دليلٌ على أَنَّهم مع قِلَّتِهِمْ لا يَدْعُونَ الأَمْرَ بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا إذا لم يكن هناك أمرٌ ولا نهْيٌ؛ لم يكن ثَمَّتَ وجهٌ لِذِكْرِ المعصية، هم ساكتون حينئذٍ، لا أحد يتعرض لهم، لكنَّهم يُبَيِّنُونَ للناس، يُصْلِحُونَ هذا الدِّينَ، يَصْلِحُونَ في أنفسهم، ويدعون الناسَ إلى الصلاح، فالذي يطيعهم قليلٌ، والذي يعصيهمْ كثيرٌ، وهذا حديثٌ عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وهو عند الإمام أحمد والطبراني كما قال المصنفُ رحمه الله، وهو عند الطبراني أيضًا في الأوسط، فَإِنَّ العزو إلى الطبراني بإطلاق؛ هو إلى الكبير، إذا قيل: رواه الطبراني وسكت القائل؛ فالمراد به: المعجم الكبير، فهذا عنده في الكبير وفي الأوسط، وهو عند الفسَوِيِّ في المعرفة، والآجِرِيِّ في الغرباء، وقد أَعْلَهُ بعضُهم بما ليس بعِلَّةٍ، حيث ذكروا أَنَّ هذا الحديث فيه ابنُ لهيعة، والصحيحُ نَعَمْ، أَنَّ فيه ابنَ لهيعة، لكن الراوي عن ابن لهيعة هو مِمَّنْ تُقْبَلُ روايته عن ابن لهيعة، وهو

الإمام الثبت الحجة عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى، فإنه هو الراوي له عن عبدالله بن لهيعة، ورواية العبدالة وفي مُقَدِّمَتِهِمُ عبدالله بن المبارك ممَّا يُحْتَجُّ به؛ لأنَّهم رَوَوْا عنه قبل الاختلاط، فالراوي هنا لهذا الحديث عن ابن لهيعة هو عبدالله بن المبارك، وروايته عنه جيدةٌ صحيحةٌ فإنه ممن روى عنه قبل الاختلاط، فعلى هذا فلا مَطْعَنَ في هذه الرواية، فهؤلاء القومُ الصالحون القليل في القوم السيئين الكثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم، هؤلاء هم الغرباء، قَلَّةٌ، قَلَّةٌ بين الناس، مُسْتَغْرَبُونَ بين الناس، سيأتينا بيان ذلك كُلِّه، كما ساقه أيضا من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعا وموقوفا، لكن بزيادة: من الغرباء؟ قال: "الفرارون بدينهم، يبعثهم الله يوم القيامة مع عيسى بن مريم"، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فذكرَ رحمه الله أنه أيضا روي من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعا وموقوفا، فكما تقدَّم المرفوع، جاء أيضا بلفظ آخر مرفوعا وموقوفا، جاء عنه مرفوعا: "قومٌ صالحون قليل في قوم سوء كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم"، وجاء عنه أيضا: "أنهم الفرارون بدينهم"، فأما المرفوع من حديث عبدالله بن عمرو فهو عند الإمام أحمد في الزُّهْدِ، وَلَكِنَّ ضَعْفَهُ شَدِيدٌ، لَكِنَّ ضَعْفَهُ شَدِيدٌ، ففيه سفيان بن وكيع، وسفيان بن وكيع بن الجراح بن مليح الرُّؤَاسِي ابْنُ ثَلِيٍّ بَوْرَاقِهِ (يعني: كاتبه)، حيث كان يُدْخِلُ عليه ما ليس من حديثه، وَنَصَحَهُ النَّاسُ فِيهِ مَرَارًا، فَأَبَى، فَسَقَطَ، وَتُرِكَ الاحتجاجُ به، وهذا فيه دلالةٌ عَلَامٌ؟ على سوء الصحبة، وَأَنَّ شَرَّهَا قَدْ يَنَالُكَ أَنْتَ أَيُّهَا المصْحُوبُ، ولو لم تفعل ما فعل، وهذا فيه أيضا إشارةٌ وتنبيهٌ لنا نحن في هذه الأزمان: فلان من تلاميذ المشايخ، تلميذ فلان! طَيِّبٌ وإذا كان سيِّئًا؛ ماذا يَنْفَعُهُ فلان؟! ما يَنْفَعُهُ شيءٌ، هذا سفيان بن وكيع تَضَرَّرَ بسبب كاتبه، نصحوه، قالوا له: سيءٌ، يُدْخِلُ عليك في حديثك ما ليس من حديثك، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ النصيحة، فتركوه، وسقط حديثه، وَتُرِكَ الاحتجاجُ به، اقرؤوا ترجمته (سطرا ونصفا) في التقريب، فهذا فيه أثرُ الصحبة، وسوءُ الصحبة، وأثرُها على المصاحب، نسأل الله العافية والسلامة، فالحديثُ هذا عند الإمام أحمد (المرفوع) الذي هو بهذا اللفظ: "الفرارون"؛ لَكِنَّ فِيهِ سفيان بن وكيع، وسفيان بن وكيع قد سَقَطَ حديثه، وهكذا أيضا الموقوف، رُوِيَ عن ابن عمرو لكنّه لم

يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل هو من قوله هو، تفسيره للغرباء هو، موقوف عليه من قوله هو، فالمرفوع ما أُضِيفَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والموقوف ما أُضِيفَ إلى الصحابي رضي الله عنه، فطريق الموقوف هذه أيضا عند أحمد في الزهد والآجري في الغرباء، وهي أخفُ ضعفاً (ضعيفة)، أخفُ ضعفاً من طريق المرفوع، ففيها عثمان بن عبدالله الطائفي وهو مقبول، يعني: فيه جهالة، فيه جهالة، والمقبول عند المحدثين من بعد شيخ الإسلام ابن حجر المتأخر، والذي عليه عمدة المحدثين من بعده، وإذا أُطلق في كتب المصطلح "شيخ الإسلام"؛ فالمراد به الحافظ ابن حجر، فنحن نذكره على الاصطلاح، فلا يُوردُ علينا مؤردٌ لا يَعْرِفُ الاصطلاح، ولا يعرف النُكْتَةَ الملاح، فهكذا نصَّ الحافظ عن المقبول: إنَّه من ليس له من الحديث إلا القليل، ولم يأت عن الأئمة ما يُوجب ردَّ حديثه، فإليه الإشارة بمقبول، يعني: حيث يُتابع، وإلا فليُنَّ الحديث، فيبقى لا متابع له، فهو لِيُنَّ الحديث، والخلاصة: أنَّ المؤلِّفَ رحمه الله قد ساق هذا الحديث عن كم من الصحابة؟ ثمانية من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وهناك آخرون رَوَوْه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنهم لا يخرجون في ألفاظهم عن جملة هذه الألفاظ، فَمِنْ هؤلاء أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، وحديثه عند ابن ماجه، وأيضاً عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنه، وأبو سعيد الخدري، وسلمان الفارسي، وأبو موسى الأشعري، ومن مرسل عبدالرحمن بن شعبة العبدي، وبعضهم قد وَهَمَ وظنَّه صحابياً، وإنما هو تابعي من التابعين، وهو من أصحاب الطبقة الثالثة، تابعي شهير ثقة، من أصحاب الطبقة الثالثة من طبقات التابعين، عبدالرحمن بن شعبة بن عثمان العبدي الحُجَبِي رضي الله تعالى عنه وأرضاه، هو تابعي، فيروى أيضاً من مرسل عبدالرحمن بن شعبة بن عثمان العبدي الحُجَبِي، فهؤلاء كم يُصْبِحُونَ؟ ثمانية ثم ستة؟ أربعة عشر، ثم المرسل؟ خمسة عشر، ثم المرسل؟ خمسة عشر، وجاء أيضاً عند الطبراني في الصغير بإسناد صحيح من حديث أنس، وأنس قد تقدَّم معنا عدَّة، فهؤلاء مجموع من رَوَوْا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب

”الغرباء” للحافظ الآجري رحمه الله تعالى، وقد فرغنا من الروايات ومن خرجها وذكر حالها، نأتي إلى الشرح بإذن الله جل وعلا، نعم.

[المتن]: فقوله صلى الله عليه وسلم: ”بدأ الإسلام غريباً“؛ يريد به: أن الناس كانوا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم على ضلالة عامة⁽⁴⁾ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عياض بن حمار الذي خرجته مسلم: ”إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب“.

[الشرح]: نعم، أصبح في هذا الوقت عبادة الله وحده لا شريك له غريبة، وعمّ الشرك، وعمّ الجهل، وعمّ الضلال، ولذلك لما كان الناس قبل بعثته عليه الصلاة والسلام على ضلالة عامة؛ احتاجوا إلى أن يرسل إليهم الرسول الذي يذكرهم بما أوجب الله جل وعلا عليهم، حديث عياض بن حمار رضي الله عنه دليل على ذلك، إن الله نظر إلى أهل الأرض؛ عموم أهل الأرض فمقتهم، ذمهم ذماً شديداً، فإن المقت هو شدة الذم، المقت هو شدة الذم، هناك ذم، وهناك شدة ذم، والعرب تحب الاختصار، الكلمتين في كلمة، والثلاث في كلمة، وهكذا، فبدلاً أن يقولوا: ذمهم ذماً شديداً، هذه كم؟ ثلاث كلمات، قالوا: مقتهم، فالمقت هو اختصار لهذه الجملة، ذمهم ذماً شديداً، اختصروها في قولهم: مقتهم، فالمقت هو شدة الذم، عربهم وعجمهم، ذمهم سبحانه وتعالى هذا الذم الشديد، إلا بقايا من أهل الكتاب، ليسوا أهل الكتاب جميعاً، ولكن بقايا منهم هم الذين بقوا على الدين، وإلا الغالبية منهم دخلوا مع عامة الناس، فاستحكمت حينئذ في الناس الضلالة وانتشرت الجهالة وعمت الغواية واختفت الهداية؛ فاحتاجوا إلى أن يُبعث فيهم رسولا يُجدد أمر الله تبارك وتعالى، نعم.

[المتن]: فلما بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ودعا إلى الإسلام لم يستجب له في أول الأمر إلا الواحد بعد الواحد من كل قبيلة⁽⁵⁾، وكان المستجيب له خائفاً من عشيرته وقبيلته، يُؤذى غاية الأذى،

⁴ — هنا قال الشيخ حفظه الله: ”الله أكبر“.

وَيُنَالُ مِنْهُ وَهُوَ صَابِرٌ عَلَى ذَلِكَ فِي اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ ذَاكَ مُسْتَضَعْفِينَ يُطْرَدُونَ وَيُشْرَدُونَ كُلَّ مُشَرَّدٍ، وَيَهْرَبُونَ بِدِينِهِمْ إِلَى الْبِلَادِ النَّائِيَةِ كَمَا هَاجَرُوا إِلَى الْحَبْشَةِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يُعَذِّبُ فِي اللَّهِ، وَفِيهِمْ مَنْ قُتِلَ، فَكَانَ الدَّخِلُونَ فِي الْإِسْلَامِ حِينَئِذٍ غُرَبَاءَ، ثُمَّ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَعِزًّا، وَصَارَ أَهْلُهُ ظَاهِرِينَ كُلِّ الظُّهُورِ، وَدَخَلَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَأَظْهَرَ اللَّهُ لَهُمُ الدِّينَ وَأَتَمَّ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ، وَتَوَفَّى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، وَأَهْلُ الْإِسْلَامِ عَلَى غَايَةِ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ فِي دِينِهِمْ، وَهُمْ مُتَعَاذُونَ مُتَنَاصِرُونَ، وَكَانُوا عَلَى ذَلِكَ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثُمَّ أَعْمَلَ الشَّيْطَانُ مَكَائِدَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَلْقَى بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ، وَأَفْشَى فِيهِمْ فِتْنَةَ الشَّهَوَاتِ وَالشَّبَهَاتِ، وَلَمْ تَزَلْ هَاتَانِ الْفِتْنَتَانِ تَتَزَايِدَانِ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى اسْتَحْكَمَتِ مَكِيدَةُ الشَّيْطَانِ وَأَطَاعَهُ أَكْثَرُ الْخَلْقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ دَخَلَ فِي طَاعَتِهِ فِي فِتْنَةِ الشَّبَهَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَخَلَ فِي فِتْنَةِ الشَّهَوَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا، وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوُقُوعِهِ.

[الشرح]: نعم، يقولُ رحمه الله: لَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَدُعِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ (فِي أَوَّلِ دَعْوَتِهِ) إِلَّا الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ، هَذَا صَحِيحٌ، كَانُوا قَلَّةً قَلِيلَةً جَدًّا أَفْرَادًا، وَمَعَ اسْتِجَابَتِهِمْ فِي هَذِهِ الْحَالِ كَانُوا عَلَى خَوْفٍ كَبِيرٍ وَشَدِيدٍ مِنْ قَبَائِلِهِمْ وَعَشَائِرِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَخَافُونَ مِنْهُمْ الْأَذَى، فَقَدْ لَقَّبُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوَّلَ مَنْ أُؤْذِيَ فِي سَبِيلِ هَذَا الدِّينِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لَقَّبُوهُ بِالْأَلْقَابِ الَّتِي تُنْفَرُ النَّاسَ عَنْهُ، قَالُوا: كَاهِنٌ، وَقَالُوا: شَاعِرٌ، وَقَالُوا: مُجَنُونٌ، وَقَالُوا: مُفْتَرِيٌّ، وَقَالُوا: كَذَّابٌ، ثُمَّ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى أَنَّهُ لَنْ يُقْبَلَ مِنْهُمْ إِلَّا مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ، وَهُوَ أَنَّهُ سَاحِرٌ يَسْحَرُ النَّاسَ بِكَلَامِهِ، يَفْرِقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ الْإِبْنِ وَأَبِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، فَاتَّفَقُوا عَلَى ذَلِكَ، اتَّفَقَ زَعَمَاءُ قُرَيْشٍ عَلَى هَذَا، وَكَانُوا يَصُدُّونَ عَنْهُ النَّاسَ فِي الْمَوَاسِمِ، كَانَ يَتَّبِعُهُ عُمُهُ أَبُو لَهَبٍ، الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ

^٩ قال الشيخ حفظه الله هنا: "الله أكبر".

ما أنزل، حينما قال له: تَبَّاً لَكَ هَذَا جَمَعْتَنَا؟! فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِ: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} (١)، فكان يُنَالُ منه عليه الصلاة والسلام، ويُؤَذَى عليه الصلاة والسلام، كان عُمَةُ أَبُو طَالِبٍ يَدَافِعُ عَنْهُ، حتى مات عُمَةُ أَبُو طَالِبٍ، فكان عليه الصلاة والسلام يُنَالُ مِنْهُ أَشَدَّ مِمَّا كَانَ يُنَالُ مِنْهُ مِنْ قَبْلُ، حتى إِنَّهُ قَالَ: وَاللَّهِ مَا كَانُوا لِيَخْلُصُوا إِلَى مَا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ الْيَوْمَ لَوْ كَانَ أَبُو طَالِبٍ حَيًّا؛ لَأَنْتَهُمْ كَانُوا يَحْتَرِمُونَهُ وَيَعْظُمُونَهُ، لَأَنَّهُ كَانَ يَسَانِدُهُ، وَهَذَا مَشْهُورٌ عَنْهُ مَعْرُوفٌ، وَلِذَلِكَ أَكْرَمَ اللهُ نَبِيَّهَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبُولِ شَفَاعَتِهِ فِيهِ، فَيُخَفَّفُ عَنْهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوضَعُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، لَهُ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ، وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ، تَحْتَ رِجْلَيْهِ جَمْرَتَانِ مِنَ النَّارِ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، لَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ عَذَابًا مِنْهُ مِنَ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدْ وَقَفَ مَعَهُ الْمَوْقِفَ الْعَظِيمَ، وَدَافَعَ عَنْهُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ الدِّفَاعَ الْعَظِيمَ فِي هَذَا الْبَابِ، وَمَوَاقِفُهُ مَشْهُورَةٌ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لَهُ:

وَاللَّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ... حَتَّى أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِينًا

فهذا هو قول النبي صلى الله عليه وسلم: ما كانوا ليخلصوا إلى ما خلصوا إليه لو كان أبو طالب حيًّا، نعم، فالشاهد: أُؤَذَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ صَابِرٌ، ثُمَّ أُوذِيَ أَصْحَابُهُ، فَأُوذِيَ بِلَالٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَأُوذِيَ يَاسِرٌ، وَأُوذِيَتْ زَوْجَتُهُ سَمِيَّةٌ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَحَمَّلَ وَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ حَتَّى نَجَّاهُ اللهُ كِبَالًا وَعَمَّارًا، وَمِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ كِيَاسِرَ وَزَوْجَهُ سَمِيَّةَ، فَهُمَا أَوَّلُ شَهِيدَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ، فَهَذَا الَّذِي حَصَلَ لَهُمْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَبِسَبَبِ شِدَّةِ الْعَذَابِ وَشِدَّةِ الْأَذَى الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ لِعُرْبَةٍ مَا هُمْ عَلَيْهِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ؛ أَذِنَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ، فَهَاجَرُوا إِلَيْهَا مَرَّتَيْنِ فَرَارًا بِدِينِهِمْ مِنَ الْإِيذَاءِ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِأَنَّ مَلِكَهَا عَادِلٌ رَحِيمٌ لَا يُظْلَمُ عَنْدهُ أَحَدٌ، وَهُوَ النُّجَاشِيُّ، رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَغَفَرَ لَهُ، فَكَانَ هَذَا الْوَقْتُ (أَوَّلُ الْإِسْلَامِ) أَهْلُ الْإِسْلَامِ فِي غُرْبَةٍ شَدِيدَةٍ، مِنْهُمْ مَنْ قُتِلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ عُدِّبَ، ثُمَّ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ

بعد هجرته عليه والسلام إلى المدينة، فأصبح لأهل الإسلام كيانٌ ومجتمعٌ، وأصبح لهم دارٌ يستوطنونها ويستقرون بها ويعبدون الله تبارك وتعالى وذلك حينما وفَدَ عليهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم بعد هجرة مَنْ هاجر إليها مِنْ أصحابه في أول الأمر، رضي الله تعالى عنهم، وكان أبو بكر يحِبُّ ذلك، فاستَبَقَاهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فكان له بعد ذلك شرفُ الصحبة، وما عَزَّ الصحابةُ رضي الله عنهم وقوا في المدينة حتى اجتمع السَّعدانِ على الإسلام، مَنْ هما؟ سعدُ بن معاذ وسعدُ بن عباد، سيدا الأوس والخزرج، وقد هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد إسلامهما جميعاً، وفيهما يقول هاتِفَ الجِنَّانِ:

فَإِنْ يُسَلِّمِ السَّعْدَانِ يُصْبِحُ مُحَمَّدٌ ... بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ

ورَدَّهَا ليلتين، فلم يعلموا مَنْ هما السعدان؟ ففي الثالثة قِيلَ (وقيل: في الثانية) أَنَّهُ عاد فقال:

فَيَا سَعْدَ سَعْدِ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِراً ... وَيَا سَعْدَ سَعْدِ الْخَزْرَجِينَ الْغَطَارِفِ

أَجِيبَا إِلَى دَاعِي الْهُدَى، وَتَمَتَّيَا ... عَلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُنِيَّةَ عَارِفِ

وذلك لِعِظَمِ مكانهما في قومهما، هذا في الأوس، وهذا في الخزرج، فلَمَّا أسلما؛ فَشَأَ الإسلامُ في الأوس والخزرج، وهما القبيلتان السائدتان بالمدينة، فَأَعَزَّ اللهُ سبحانه وتعالى بإسلامهما الدِّينَ، وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وظهر الإسلام، وصار أهلُه في كُلِّ قُوَّتِهِمْ، وفي غَايَةِ قُوَّتِهِمْ، وأصبح الناسُ مَنْ أسلم يَفِدُ عليهم، ويهاجر إليهم، فيجد النصرَ والعزة والقوة والمنعة، وبدأ الناسُ يدخلون في دين الله أفواجا، وَأَتَمَّ اللهُ سبحانه وتعالى نصرَه على رسوله صلى الله عليه وسلم بفتحهِ مَكَّةَ حينما فتحها، وكان ذلك في السَّنَةِ الثامنة مِنَ الهجرة، في رمضان، في العشرين مِنْ رمضان، فَأَنْزَلَ اللهُ جل وعز: {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ

كَانَ تَوَابًا^(٧)، وبعدها تَوَافَدَ النَّاسُ وَقَبَائِلُ الْعَرَبِ عَلَى مَدِينَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُعْلِنِينَ الْإِسْلَامَ بَعْدَ أَنْ أَخْضَعَ اللَّهُ قَرِيْشًا، وَأَدْخَلَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ تَحْتَ وِلَايَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَقَامَ الدِّينُ وَعَزَّ وَظَهَرَ غَايَةَ الظُّهُورِ، وَعَمَّ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ، وَبَقِيَ أَهْلُهُ فِي عِزٍّ وَقُوَّةٍ وَمَنْعَةٍ مُتَنَاصِرِينَ، وَهَكَذَا أَيْضًا فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَلَمْ يُوْثَرْ مَا حَصَلَ مِنْ حُرُوبِ الرَّدَّةِ، إِذْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ كَانُوا بِقُوَّةٍ فِي مَدِينَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ قَاتَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ الْمُرْتَدِّينَ فِي بِلَادِ الْيَمَامَةِ حَتَّى أَخْضَعَهُمْ لِدِينِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَهْلُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ مَعَهُ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، وَهَكَذَا فِي عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، ثُمَّ حَصَلَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَكِيدَةُ الَّتِي كَادَهَا الشَّيْطَانُ بِأَوَّلِ فِتْنَةٍ حَدَّثَتْ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ، أَلَا وَهِيَ فِتْنَةُ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ قَتَلُوا عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَرَمَوْهُ بِالْكَفْرِ! وَشَبَّهُوا عَلَى النَّاسِ، وَلَبَّسُوا عَلَى النَّاسِ دِينَهُمْ، حَتَّى أَطَاعَهُمْ مَنْ أَطَاعَهُمْ، فَوَقَعَتْ فِتْنَةُ الشُّبُهَاتِ، وَازْدَادَ الْأَمْرُ وَاسْتَحْكَمَ مِنْ ذَلِكَ الْحِينِ، وَعَمَّ الْبَلَاءُ، وَبُسِطَتِ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ، فَجَاءَتْ فِتْنَةُ الشَّهَوَاتِ، لِهَذَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "وَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، ثُمَّ تَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ"، فَمِنْهُمْ مَنْ وَقَعَ فِي فِتْنَةِ الشُّبُهَاتِ، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْأَهْوَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ وَقَعَ فِي شَهْوَةِ الْمُلَذَّاتِ، وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الشَّهَوَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْفِتْنَتَيْنِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَالنَّارُ مُحْفُوفَةٌ بِهَذَا وَهَذَا.

قَدْ حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ... وَالنَّارُ بِالَّذِي النُّفُوسُ تَشْتَهِي

مَعَ أَنْ كُلًّا مِنْهُمَا إِلَيْنَا ... أَدْنَى مِنَ الشَّرَّاءِ فِي نَعْلَيْنَا

فَحُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَالْمَكَارَةُ الصَّبْرُ عَلَى دِينِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَعَلَى طَاعَتِهِ وَتَحْمُلِ مَا يَنْزِلُ بِالْإِنْسَانِ بِسَبَبِ صَبْرِهِ فِي ثَبَاتِهِ عَلَى دِينِهِ، وَبَصْبِرِهِ عَنْ إِعْرَاضِهِ عَنِ الدُّنْيَا الَّتِي تَفْتِنُهُ {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ

وَأُولَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ»^(٨)، {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}^(٩)، فنسأل الله العافية والسلامة، مَنْ حصل له هذا؛ ضَلَّ بسببه، فتنة الشبهات تأتي بسبب قلة العلم، فتنة الشبهات تَرْكَبُ صاحبها بسبب قلة العلم، وفتنة الشهوات تَرْكَبُ صاحبها بسبب قلة الورع، فهذان المدخلان يُدْخِلُ منهما على الإنسان، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النعمان بن بشير: "الرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ" ثم قال: "فَمَنْ اتَّقَى الشَّهَبَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ"، الحلال بَيِّنٌ، والحرام بَيِّنٌ، فالمشتبهات هذه هي التي تَلْتَبِسُ عَلَيْكَ؛ أَحِلَالٌ هِيَ أَمْ حُرَامٌ؟ فَخُذْ مَا اتَّضَحَ لَكَ حِلُّهُ، وَدَعْ مَا تَلْتَبَسَ عَلَيْكَ حِلُّهُ، خُذْ وَاضِحَ الْحِلِّ وَدَعْ مَا اشْتَبَهَ، فَلَا تُغَرِّتْكَ يَا مَنْ فَقَهُ، مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ إِذَا لَمْ تَظْهَرْ لَهُ مَسْأَلَةُ الْحِلِّ أَوْ الْحَرَمَةِ؛ تَرَكَهَا تَوَرَعًا، فَيَسْلَمْ لَهُ دِينُهُ، وَمَنْ غَامَرَ فَقَدْ أَفْسَدَ دِينَهُ عِيَاذًا بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، نعم.

[المتن]: فأما فتنة الشبهات فقد رُوِيَ عنه صلى الله عليه وسلم مِنْ غَيْرِ وَجْهِ: أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَى أَزِيدَ مِنْ سَبْعِينَ فِرْقَةً، عَلَى اخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ فِي عِدَدِ الزَّائِدِ عَلَى السَّبْعِينَ، وَأَنَّ جَمِيعَ تِلْكَ الْفِرَقِ فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً، وَهِيَ مَنْ كَانَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[الشرح]: نعم، هذه فتنة الشبهات، كثرة الفتن التي حصلت بعده عليه الصلاة والسلام وقد أَخْبَرَ بِحَدُوثِهَا، كما في حديث بُرَيْرِ بْنِ أَرْيَسٍ، الَّذِي قَعَدَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَافَةِ الْبُئْرِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأْذَنْ لَهُ، وَقَالَ فِيهِ: اللَّهُ دَرُّهُ، مَا رَأَيْتُ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ، فَأَخَذَهَا عَمْرُ، فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، وَالْغَرْبُ: هِيَ الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي لَا تَجْرُهَا إِلَّا الدَّوَابُّ، الدَّلْوُ الْعَادِي يَجْرُهَا الْإِنْسَانُ، أَمَا الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ فَتَسْمَى عِنْدَ الْعَرَبِ (غَرْبًا)، وَهَذِهِ غَالِبًا مَا تَكُونُ لِسُقْيِ الْمَزَارِعِ فِي السَّابِقِ، تَجْرُهَا الدَّوَابُّ، وَهُوَ مَا يَسْمَى عِنْدَ النَّاسِ فِيْمَا بَعْدَ الْبَالْسَانِيَةِ، يَجْرُهَا

٨ _ التغابن (١٥).

٩ _ الكهف (٤٦).

الثور أو يجرُّها البعير ونحو ذلك، الإنسان ما يقوى، فأخذها عمرُ رضي الله عنه فاستحالت غرباً، يعني: دلوا عظيمة كثيرة الماء، فما رأى عبقرياً يَفْرِى فَرِيَهُ، ثم أخذها عثمان بعدُ فَنَزَعَ، وفي نَزْعِهِ ضعفٌ، فانتثرت عليه رضي الله عنه، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُؤَدَّنَ لَهُ وَيُبَشَّرَ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ، وقد فَسَّرَهَا عثمانُ رضي الله عنه بالخلافة كما جاء في حديث: "يا عثمان، إِنَّ اللَّهَ مُلَبِّسُكَ ثَوْبًا، فَإِنَّ أَرَادَكَ النَّاسُ عَلَى خَلْعِهِ؛ فَلَا تَخْلَعُهُ حَتَّى تَلْقَانِي"، فَأَوَّلَهَا عثمانُ رضي الله عنه، وهو أحدُ الأئمة الفقهاء، رضي الله عنه، كيف وهو صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه؟! وهو الذي قال فيه: "مَنْ يَشْرِي بَثْرَ رُومَةٍ وَلَهُ الْجَنَّةُ"، وهو الذي قال فيه: "مَا ضَرَّ عثمانَ شَيْءٌ بَعْدَ الْيَوْمِ"؛ يعني: بعد تجهيزه جيشَ العسرة، إلى آخر الأحاديث التي وَرَدَتْ في مناقبه رضي الله تعالى عنه، فلما سُئِلَ عن ذلك أَوَّلَهَا بالخلافة، فلم يتنازل عنها حتى قُتِلَ وهو صابر محتسبٌ صائماً رضي الله تعالى عنه وأرضاه يتلو القرآن، فقتلوه وَجَزَّوْا رَأْسَهُ عَنْ رَقَبَتِهِ وَدَهَدَهُوهُ بِذَوَابَةِ السَّيْفِ وَقَاتِلُهُمْ يَقُولُ: مَا رَأَيْنَا مِنْ وَجْهِ كَافِرٍ أَجْمَلٍ مِنْ هَذَا!!! فإذا كان عثمانُ عندهم كافراً؛ فكيف يَسْلَمُ حُكَّامُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْخَوَارِجِ؟! خَوَارِجُ الْيَوْمِ شَرُّ مَنْ خَوَارِجِ الْأَمْسِ، خَوَارِجُ الْأَمْسِ عِنْدَهُمْ (مع ضلالهم) عِبَادَةٌ، وهؤلاء عندهم فسقٌ، خَوَارِجُ الْأَمْسِ يَرَوْنَ الْكَذِبَ كَبِيرَةً مَخْرَجَةً مِنَ الْإِسْلَامِ، وَخَوَارِجُ الْيَوْمِ أَكْذَبُ النَّاسِ، خَوَارِجُ الْأَمْسِ كَانُوا شَجَعَانَا، خَوَارِجُ الْيَوْمِ جَبْنَاءُ يَتَخَفُونَ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابَ النِّسَاءِ وَيَهْرَبُونَ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ، وَكَمْ كُشِفَ مَنْ كُشِفَ مِنْهُمْ وَهُوَ لَا بَسَ لِبَاسِ النِّسَاءِ! أين الشجاعة؟! فالحاصل: انتَثَرَ هذا مِنْ بَعْدِ عثمان رضي الله عنه أَوْ فِي زَمَنِ عثمان، ثُمَّ سُلَّ السَّيْفُ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَإِلَى يَوْمِنَا هَذَا، وافترقت بعد ذلك الأمة، وحديث الافتراق حديثٌ صحيحٌ، وقد جاء عن عددٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم وأرضاهم، منهم أبو هريرة رضي الله عنه، ومنهم أنس بن مالك رضي الله عنه، ومنهم معاوية رضي الله تعالى عنه، ومنهم عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى عنه، ومنهم أبو أمامة رضي الله تعالى عنه، وغيرُ هؤلاء رضي الله عنهم، لكنَّا ذَكَرْنَا أَشْهَرَ مَنْ رُوِيَ عَنْهُ فِي هَذَا الْبَابِ، وهؤلاء كم؟ خمسة، هؤلاء خمسة، أبو هريرة رضي الله تعالى

عنه، ومنهم أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، ومنهم معاوية رضي الله تعالى عنه، ومنهم عوف بن مالك الأشجعي رضي الله تعالى، ومنهم أبو أمامة الباهلي صُدِّي بن عجلان رضي الله تعالى عنه، فهؤلاء خمسة مِنْ أَشْهَرِ مَنْ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَ الْإِفْتِرَاقِ، وسيأتي إن شاء الله تعالى مزيدُ ذكرٍ له، والشاهد: أَنَّ الرواياتِ جاءَ فيها: بضع وسبعين فرقة، وجاءَ فيها: على ثلاث وسبعين فرقة، وجاءَ فيها: على نِيفٍ وسبعين فرقة، كما سيأتي إن شاء الله تعالى معنا، وَالْمُهْمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّ هَذِهِ الْفِرَقَ كُلَّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، مَنْ هِيَ؟ مَنْ كَانَ عَلَى مَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، هُمْ الْمُتَّبِعُونَ لِلسُّنَّةِ، الثَّابِتُونَ عَلَيْهَا، الْمُتَمَسِّكُونَ بِهَا، الدَّاعَاةُ إِلَيْهَا، الصَّابِرُونَ عَلَى الْأَذَى فِيهَا، فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ مَدَحَهُمْ بِهَذَا الْمَدْحِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسيأتينا مزيدُ بيانٍ لذلك، نعم.

[المتن]: وأما فتنة الشهوات^(١٠)؛ ففي صحيح مسلم^(١١) عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كيف أنتم إذا فُتِحَتْ خَزَائِنُ فَارِسَ وَالرُّومِ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟ فقال عبدالرحمن بن عوف: نقولُ كما أمرنا الله، قال: أو غير ذلك، تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون^(١٢)، وفي صحيح البخاري عن عمرو بن عوف عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ^(١٣)، وفي الصحيحين مِنْ حَدِيثِ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْنَاهُ أَيْضًا، وَلَمَّا فُتِحَتْ كُنُوزُ كَسْرَى عَلَى عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْهُ بَكَى، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَمْ يُفْتَحْ عَلَى قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا جُعِلَ بِأُسْهُمِ بَيْنَهُمْ أَوْ كَمَا قَالَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْشَى عَلَى أُمَّتِهِ هَاتَيْنِ الْفِتْنَتَيْنِ كَمَا فِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ

١٠ _ قال الشيخ حفظه الله معلقاً: (إذن هذا القسم الثاني، الأول: فتنة الشبهات، والشبهات كما قلنا لكم فتنة الأهواء أهل الأهواء، والأهواء المضلة المردية، نعم).

١١ _ قال الشيخ حفظه الله معلقاً: (وهو عند ابن ماجه أيضاً هذا، لكن اكتفى بمسلم لأنه أعلى، اكتفى بمسلم لأنه أعلى، وإلا هو عند ابن ماجه أيضاً من الستة، نعم).

١٢ _ قال الشيخ حفظه الله معلقاً: (نعوذ بالله من ذلك، نعم).

١٣ _ قال الشيخ حفظه الله هنا: "الله أكبر".

أحمد عن أبي ברزة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغَيِّ فِي بَطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ وَمُضَلَاتِ الْفَتَنِ، وَفِي رِوَايَةٍ: وَمُضَلَاتِ الْهَوَى، فَلَمَّا دَخَلَ أَكْثَرُ النَّاسِ فِي هَاتَيْنِ الْفَتَنَتَيْنِ أَوْ إِحْدَاهُمَا أَصْبَحُوا مُتَقَاطِعِينَ مُتَبَاغِضِينَ بَعْدَ أَنْ كَانُوا إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ مُتَوَاصِلِينَ، فَإِنَّ فِتْنَةَ الشَّهَوَاتِ عَمَتْ غَالِبَ الْخَلْقِ، فَافْتَتَنُوا بِالدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا، وَصَارَتْ غَايَةً قَصْدِهِمْ، لَهَا يَطْلُبُونَ، وَبِهَا يَرْضُونَ، وَلَهَا يَغْضِبُونَ، وَلَهَا يُوَالُونَ، وَعَلَيْهَا يَعَادُونَ، فَقَطَّعُوا لِذَلِكَ أَرْحَامَهُمْ، وَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَارْتَكَبُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ بِسَبَبِ، وَأَمَّا فِتْنَةُ الشَّبَهَاتِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ فَبِسَبَبِهَا تَفَرَّقَ أَهْلُ الْقَبِيلَةِ، وَصَارُوا شِيعَةً، وَكَفَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَصَارُوا أَعْدَاءَ وَفِرْقًا وَأَحْزَابًا، بَعْدَ أَنْ كَانُوا إِخْوَانًا، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْ هَذِهِ الْفِرْقِ إِلَّا الْفِرْقَةُ الْوَاحِدَةُ النَّاجِيَةُ، وَهُمْ الْمَذْكُورُونَ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ"، وَهُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الْغُرَبَاءُ الْمَذْكُورُونَ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّذِينَ يَصْلُحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، وَهُمْ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنَ السُّنَّةِ، وَهُمْ الَّذِينَ يَفْرُونَ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفَتَنِ، وَهُمْ النَّزَاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ؛ لِأَنَّهُمْ قَلُّوا فَلَا يَوْجَدُ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَاحِدُ وَالْإِثْنَانِ، وَقَدْ لَا يَوْجَدُ فِي بَعْضِ الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ أَحَدٌ، كَمَا كَانَ الدَّاخِلُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ كَذَلِكَ، وَبِهَذَا فَسَّرَ الْأُئِمَّةُ هَذَا الْحَدِيثَ.

[الشرح]: صحيحٌ، رحمه الله تعالى، يقول رحمه الله: فِتْنَةُ الشَّهَوَاتِ (وهذه هي الفِتْنَةُ الثَّانِيَةُ) قَدْ جَاءَتْ فِيهَا الْأَحَادِيثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْمَالُ وَالْدُّنْيَا مِنْ أَضَرِّ مَا يَكُونُ عَلَى الْإِنْسَانِ، وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ"، إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ، قَالَ جُلَّ وَعَلَا: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} ^(١٤)، فَبِالْمَالِ يَحْصُلُ الْاِقْتِتَالُ، وَيَحْصُلُ التَّقَاطُعُ وَالتَّدَابُرُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّهَاجُرُ عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَلِهَذَا جَاءَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: "كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ خَزَائِنُ فَارِسَ وَالرُّومِ؟" أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟

فقال له عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: نقول كما أمرنا الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟ يعني: لا، تَنْسَوْنَ حِينَنْذٍ، وإنما يَغْلِبُ عليكم سَكْرَةُ الدُّنْيَا، سَكْرَةُ المَالِ، تتنافسون في تحصيله، ثم تتحاسدون، هذا يحسِدُ هذا، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، فأولا التنافس، ثم بعد التنافسِ التحاسدُ، كُلُّ واحدٍ يحسِدُ الآخرَ على ما آتاه الله مِنْ فضله، والخطاب للأمة، ثم بعدَ التحاسدِ يأتي التدابرُ، إذا حسدته وأبغضته جاء التدابرُ، ثم يأتي التباغض والتقاطع والتهاجر بين الأمة الواحدة، إِذَنْ فالمالُ كان عليهم شَرًّا، ولذلك أَكَّدهُ في حديث عمرو بن عوف عند البخاري: "والله ما الفقر أخشى عليكم"؛ يعني: حالة الفقر تكونون أيش؟ إخوة متحابين، كُلُّ واحدٍ قد رضي بما بين يديه، وهذا قد بَيَّنَّه حديث عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنه، كما هو عند أحمد، قال: "كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ما يَرَى أَحَدُنَا أَنَّهُ أَحَقُّ بديناره في يده مِنْ أخيه، كان إذا احتاجه دَفَعَهُ إِلَيْهِ، ولقد أَتَى علينا زمانٌ لا يَرَى أَحَدُنَا أَنَّ أَخَاهُ أَحَقُّ بديناره منه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا ضَنَّ الناسُ بالدينار والدرهم، وتبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع؛ سَلَطَ الله عليكم ذُلًّا لا يَنْزِعُهُ عنكم حتى تراجعوا دينكم"؛ فهذا في الدنيا والمال ولا لأ؟ في الدنيا والمال، هذا يَكْذِبُ فلا يَفِي الذي يُدَيِّنُهُ وَيُقْرِضُهُ (أخوه)، وأخوه إذا رأى منه ذلك ضَنَّ بديناره وِدْرَهْمِهِ، لا يعطيه إياه، فحينئذٍ يحصلُ هذا، كُلُّ واحدٍ لا يركن إلا إلى الدنيا، يَجْمَعُ مِنَ الدنيا، يَتَنافَسُ الناسُ في هذه الدنيا، فإذا تنافسوا حسد الفقيرُ الغنيَّ، وَتَمَنَّى زوالَ النعمةِ عنه، ثم إذا تحاسدوا تدابروا، يلقيه فيُعْرِضُ عنه، يعطيه ظهره، فلا الغنيُّ يرحمُ الفقيرَ ويعطفُ عليه، ولا الفقيرُ يُوقِرُ الغنيَّ وَيُقْبِلُ عليه، بل هذا يَجْفُو هذا، وذاك يُبْغِضُهُ، الغني يجفو الفقيرَ، لا يريدُه في مجلسه، لا يراه، لا يأتي إليه، غَرَّةُ الغِنَى فَبَغَى وطغا، والفقيرُ أيضا يُبْغِضُ الغنيَّ لتصرفه معه، فهذا التحاسدُ يُنْمِرُ التدابرَ، والتدابِرُ يُورِثُ التباغضَ، فحينئذٍ يحصلُ الهلاك، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "والله ما الفقر أخشى عليكم"؛ الفقرُ ما فيه شيءٌ معه، لا يرتفع أخوك عليك، ولا أنت تبغضه بسبب تَرْفَعِهِ عليك، لكن أخشى أَنْ تُبْسِطَ عليكم الدنيا كما بسطت على مَنْ كان قبلكم، فتنافسوها كما

تنافسوها، يعني: مِنْ قِبَلِكُمْ، فتهلككم كما أهلكتهم، يحصلُ الهلاك بسبب ما تقدَّم ذكرُه، بسبب التقاطع والتدابير، نسأل الله العافية والسلامة، إنّما أخشى عليكم شهواتِ الغيِّ في بطونكم وفروجكم؛ وهذا هو الدنيا، فإنَّ الفروجَ ما تكون إلا بعد الشَّبَعِ والغِنَى، فلا تقوم شهوةُ الفرجِ إلا بعد أن تحصل الكفايةُ في شهوةِ البطن، ثم بعد ذلك مضلات الفتن أو مضلات الهوى، إذا بَسِطَت الدنيا واستغنى كلُّ عن الآخر؛ لم يسمع أحدٌ مِنْ أحدٍ لأنَّه غيرُ محتاجٍ إليه في رِفْدِهِ وعِطائِهِ وعَطْفِهِ، فحينئذٍ اسْتَوَتْ الرُّؤُوسُ كما يُقالُ، فلا احترامَ ولا سَمْعَ، ولا توقيرَ ولا قَبُولَ لوعظٍ ولا نصيحة، وهذا أنتم جرَّبُوهُ، مَنْ رأى نفسه قد استوى رأسُه مع شيخه أو أبيه ونحو ذلك رأيتَ تَكَبُّرَهُ عليه، لكن يوم أن كان محتاجاً إليه؛ رأيتَ تواضعه له، وسماعه منه، فإذا حصل (كما يُقالُ) تَسَاوَى الرُّؤُوسُ؛ شَانَتْ النُّفُوسُ وحصل الشَّرُّ والعياذ بالله، فمضلاتُ الهوى حينئذٍ تفرِّقُ بين الناس، وكلُّ واحدٍ يعرضُ عن الآخر، فبعد أن كانوا متحابين مؤتلفين؛ أصبحوا متباغضين متفرقين، وبعد أن كانوا متحابين متواصلين أصبحوا أعداء متحاربين، فنعود بالله مِنْ ذلك، لِمَ؟ على الدنيا، بسبب هذه الدنيا التي بَسِطَتْ عليهم، فبعضُهم يحصل بينه وبين أخيه لَأُمِّهِ وأبيه الهجرانُ والقطيعةُ لأجلِ مِترٍ مِنَ الأرضِ دخل به عليه!!! فعشرات السنين لا يكلمه!!! أخوه مِنْ أُمِّهِ وأبيه!!! أخوه يقاطعه مِنْ أَجْلِ مِترٍ مِنَ الأرضِ أخذه عليه!!! أو مبلغٍ مِنَ المالِ لا يكاد يُذكرُ أَخَذَهُ عليه!!! فيقطع رَحِمَهُ، ويقطع صِلَتَهُ، ويقطع نَسَبَهُ، ويقطع أُخُوَّتَهُ كأنَّه أَكْفَرُ الخلقِ نعوذ بالله مِنْ ذلك، لأجل دينارٍ ودرهمٍ!!! وكلما جِئْتَ إليه لِتُصْلِحَ بينه وبين أخيه تَجِدُهُ مُتَعَنِّتًا، لكن الدِّينُ ربما في المقابل لا يُقِيمُ له وزناً، يرى الخرابَ الدِّيني كُلَّهُ؛ لا يَتَمَعَّرُ وجهُهُ، ولا يوالي عليه، ولا يعادي عليه، ولا يُبْغِضُ في الله والله جل وعلا، فحينئذٍ يحصلُ البلاءُ بسبب ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم: "فتهلككم كما أهلكتهم"، وأمَّا الأهواءُ فَحَدَّثَتْ عنها ولا حرج، وقد حصل ما أَخْبَرَ به النبي صلى الله عليه وسلم مِنْ فتنةِ الأهواءِ، فتنةِ الشبهاتِ المضلةِ التي قال عنها: "مضلات الهوى"، وإنَّما سُمِّيَ الهوى بالهوى لأنَّه يهوي بصاحبه في النار (في نار جهنم)، قال الخليل أحمدُ رحمه الله: وآفةُ الرَّأْيِ الهوى فَمَنْ يُطِيعْ هواه غالباً فقد هوى، ومصدقاً

ذلك في كتاب الله جل وعلا، حينما قال الله لنبيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِهِ: {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} ^(١٥)، فَسُمِّيَ الْهَوَىٰ بِالْهَوَىٰ لِأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِي اللَّغَوِي الْعَالِمُ الْعَابِدُ الزَّاهِدُ الْوَرَعُ الْمُتَقَشِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ عَنْهُ: لِأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ فِي النَّارِ، فَظَهَرَتِ الْفِرْقُ، فَأُولَ الْفِرْقِ ظَهَرُوا فِرْقَةُ الْخَوَارِجِ، ثُمَّ تَلَتْهُمْ فِتْنَةُ الْقَدَرِيَّةِ ^(١٦)، ثُمَّ الْمَرْجئية، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَعْتَزَلَةُ، ثُمَّ انْتَشَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفِرْقُ، فَعَمَّتْ وَطَمَّتْ وَتَكَاثَرَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَصَارُوا شِيعَا وَأَحْزَابًا، وَأَعْظَمَ الْفِتْنِ بَعْدَ فِتْنَةِ الْخَوَارِجِ الَّتِي نَزَلَتْ بِهَذِهِ الْأُمَّةِ فِتْنَةُ الْجَهْمِيَّةِ عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، نَعَمْ، فَفِتْنَةُ الشُّبُهَاتِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ تَفَرَّقَتْ بِهَا الْأُمَّةُ، هَذَا خَارِجِيٌّ، وَهَذَا قَدْرِيٌّ، وَهَذَا مَرْجِيٌّ، وَهَذَا مَعْتَزَلِيٌّ، وَهَذَا شِيعِيٌّ رَافِضِيٌّ، وَهَذَا جَهْمِيٌّ، وَهَذَا أَشْعَرِيٌّ، وَهَذَا مَاتَرِيدِيٌّ، هَذَا كَلَابِيٌّ، وَعُدَّ وَلَا حَرَجَ، النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنَا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّ الْمَخْرَجَ أَنَّ تَكُونَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ كَمَا تَقَدَّمَ مَعْنَا فِي حَدِيثِ الْفِرْقِ، سَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، لَمَّا سَأَلُوهُ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: مَا كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمُ النَّاجُونَ، وَالَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمُ الْمَنْصُورُونَ الْمَذْكُورُونَ فِي قَوْلِهِ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ"، فَسَرَّهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ: بِأَنَّهُمْ أَهْلُ الْحَدِيثِ، فَهُمْ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ، وَهُمْ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَّةُ، نَاجِيَّةٌ مِنَ الْعَذَابِ، مَنْصُورُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَقَدْ ثَبَتَ هَذَا الْحَدِيثُ (حَدِيثٌ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً) مِنْ حَدِيثِ عَدِيدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، فَأَوَّلًا: الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَدِيثُهُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَثَانِيهِمْ: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَحَدِيثُهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ، وَثَالِثُهُمْ: جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ وَحَدِيثُهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ، وَرَابِعُهُمْ: سَعْدُ وَحَدِيثُهُ

١٥ _ ص (٢٦).

١٦ _ هُنَا فِي الْأَصْلِ: (ثُمَّ تَلَتْهُمْ الْمَعْتَزَلَةُ، ثُمَّ انْتَشَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفِرْقُ، لِأَنَّ، ثُمَّ بَعْدَ فِتْنَةِ الْقَدَرِيَّةِ الْخَوَارِجِ، الْخَوَارِجِ، ثُمَّ الْقَدَرِيَّةِ).

عند مسلم، وخامسهم: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وحديثه عند مسلم، فهذه خمسة أحاديث وَرَدَتْ في هذا أو خُمُسُ طُرُقٍ لهذا الحديث، خمسة صحابة رووا هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، متفقٌ عليه مِنْ حديث المغيرة بن شعبة، وجابر بن عبدالله وسعد بن أبي وقاص وجابر بن سمرة ومعاوية كلُّ روايات هؤلاء عند مسلم، فهؤلاء خمسة مِنْ أصحابه صلى الله عليه وسلم يَرَوُونَ عنه هذا الحديث: لا تزال طائفةٌ مِنْ أمتي ظاهرين على الحق لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ولا مَنْ خالفهم، فهذا الحديث لنا معه وقفاتٌ: فهو أولاً: بشارةٌ لأهل الحق وإن قَلُّوا أَنَّهُمْ لا يزالون ظاهرين، والظهورُ إمَّا بالسلطان، وإمَّا بالبيان والعِلْم، وإمَّا بهما جميعاً، فبهما جميعاً قد كان في زمن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وخصوصاً زَمَنِي أَبِي بكرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما، ثم بعد ذلك حصل ما حصل، ثم التَّامَ واجتمع شَمْلُ الأُمَّةِ في بني أمية على يد معاوية بن أبي سفيان، فبقي الدِّينُ عزيزاً منيعاً كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جابر بن سمرة، عن أبيه رضي الله تعالى عنهما: أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزال هذا الدِّينُ عزيزاً ما وَلِيَ اثنا عشر خليفة"، ثم قال كلمةٌ خَفِيَتْ عليَّ، فسألتُ أبي: ما يقول؟ قال: كُلُّهُمْ مِنْ قريشٍ، وجاء أيضاً عند البخاري: أَنَّهُمْ كَبَرُوا، فحصل بذلك الضَّجَّةُ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة، فَخَفِيَتْ على جابر بن سمرة، قال: فقلت لأبي: ما يقول؟ قال: كُلُّهُمْ مِنْ قريشٍ، فقد كان الدِّينُ عزيزاً بعد الخلفاء الراشدين، وفي دولة بني أمية كانت السُّنَّةُ عاليةً وظاهرةً، وأهلُ البدعِ مقهورين مقموعين أذلةً بفضل الله جل وعلا، وقد كانت دولة بني أمية؛ لا يسمح خلفاء بني أمية لأهل الأهواء والبدع بالظهور، فكانوا يَتَخَفُونَ، وقد تتبعوهم، وشرَّدوا بهم كلَّ مُشَرِّدٍ، فبقي الإسلام عزيزاً منيعاً حتى زالت دولة بني أمية، التي الآن يتكالبُ عليها الروافض، ويطعنون فيها غاية الطَّعن، ويؤيدهم الإخوان المجرِّمون في الطَّعنِ في دولة بني أمية، ثم جاءت بعد ذلك دولة بني العباس فتفرَّقت الأُمَّةُ، وحصل ما حصل مِنْ تَقَطُّعِ أوصالِ أُمَّةِ الإسلام، فتعدَّدتِ الدُّولُ والممالكُ وصار ما صار مِنَ الاختلاف، وصار ما صار مِنَ الافتراق، وصار ما صار مِنَ الاقتتال بعد أن كان أهلُ الإسلام على قلب رجل واحد،

فانتشرت هذه الفرق، فَشَرَّقَتْ وَغَرَّبَتْ، وكلُّ فرقةٍ صار لها أتباعٌ، نسأل الله العافية والسلامة، وَمِنْ أَشَرِّ هذه الفرق على أُمَّةِ الإسلام فرقةُ الخوارج، وفي مقابلهم فرقةُ الإرجاء، ثم يليهم فرقةُ التَّجَهُمِ بجميع فروعها (الاعتزال والتَّمَشُّعُ والماتريدية والكلابية)، فكلُّهم كان السلفُ ينسبونهم إلى التجهم لنفيهم لصفات الله تبارك وتعالى كَلِيَّةً أو بعضاً منها، كلُّهم يَنْسِبُهُمُ السَّلفُ إلى التجهم، فالتجهم له معنيان: خاص وعام، أمَّا الخاص: فهم أتباعُ جهم بن صفوان، وأمَّا العام: فكل مَنْ وَقَعَ في تعطيل الصفات لله تعالى أو بعضها فَإِنَّ السَّلفَ ينسبونه إلى التجهم، فهذا الذي صار، واستُضْرِبَ بعد ذلك أهلُ السُّنَّةِ، ونَزَلَ بالإمام أحمد ما نزل في فتنة القول بخلق القرآن، وصَبَرَ فيها وصابر واحتسب حتى أظهره الله جل وعلا وأعلاه فأصبح إماماً لأهل السنة مطلقاً، وأعلا الله ذِكْرَهُ، يقولُ ابن أبي حاتم: سألت أباي: هل كان أحمدُ قبلَ الفتنة معروفاً؟ قال: نعم، لكنه بعد الابتلاء في الفتنة ازداد ظهوراً، بسبب أيش؟ بسبب الثبات على دين الله تبارك وتعالى والاحتمال والصبر والتضحية، وإلا معروفٌ هو رضي الله تعالى عنه، لكن كان غيره أكبرَ منه، فلما ثَبَتَ على السنة أصبح هو الإمام كما قال الحافظ ابن حجر: هو الإمام مطلقاً لأهل السنة، إذا أُطْلِقَ فهو أحمد إلى قيام الساعة، رحمه الله، فالشاهد: هذه الفتنة التي عَصَفَتْ بالأمة استُعْرِبَ فيها أهلُ الإسلام الحقَّ، صاروا غرباء، ثم أَظْهَرَ اللهُ أحمدَ، فظهر أتباعه، وفشا أمرهم، وارتفع صيتهم حتى جاء عصر البربهاري، وقَوِيَ أمرهم، ثم ابْتُلُوا، حتى كُتِبَ إلى الآفاق: أَلَّا يَجْتَمَعَ مِنْ أصحابِ البربهاريِّ اثنان، فاختَفَوْا، ونَزَلَتْ بهم المحنة، حتى إِنَّ البربهاري مات فلم يُصَلَّ عليه إلا الخادم ومولاته (وكانت سِرِّيَّتَهُ)، وغَسَّلُوهُ خُفِيَّةً في البيت ودفنوه رحمه الله تعالى خُفِيَّةً، لكن ذَكَرَتْ هي وخادِمُهُ: أنهم حينما صلوا عليه (اثنان فقط) رأوا البيت قد امتلأ بأناسٍ عليهم ثياب بيض، لا يعرفون مَنْ هم، ولا يعرف بخبر موته أحدٌ، فقيل: إِنَّ أَوْلَئِكَ الملائكةُ، وقد كان لهذا الرجل مِنَ المقامات ما لا يَتَصَوَّرُهُ كثيرٌ منكم، وقد حصل له مِنَ الحظوة ما حصل، مِنْ ارتفاع الصَّيِّتِ والذِّكْرِ، ثم إنَّهم وَشَوْا به إلى الخليفة، وكان في عهد ابن مُقْلَةَ، وحصل له ما حصل، ثم جازى الله ابْنَ مقلَّة شرَّ جزاءٍ، فَسُلِبَتْ عنه الولاية، وَجُرِّدَ مِنْ أمواله

وَقُطِعَتْ أَطْرَافُهُ بِسَبَبِ مَا تَسَلَّطَ بِهِ، والشاهد: أَنَّ أَهْلَ السَّنَةِ يُبْتَلَوْنَ، فالواجب عليهم أَنْ يَصْبِرُوا، وَأَنْ يُؤَفِّقُوا بِنَصْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُمْ هَذَا الْإِبْتِلَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَإِنَّهُمْ مُوَعِدُونَ بِالظُّهْرِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَدْ أَخْبَرَ بِأَنَّهُ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، فَبَدَأَ بِالْمُخَذَّلِ؛ لِأَنَّهُ أَشَدُّ وَقَعًا، الْمَخَالِفُ مُخَالِفٌ، لَكِنِ الْمَخْذُلُ قَدْ يَنْتَسِبُ إِلَيْكَ فَيَخْذِلُكَ، وَيَنْشُرُ ذَلِكَ بِالْخِفَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، كُلَّمَا أَقْبَلَ النَّاسُ عَلَى الْحَقِّ خَذَلَهُمْ عَنْكَ، فَصَارَ أَشَدَّ ضَرَرًا، فَهُوَ فِي فِعْلِهِ هَذَا مَعَ أَهْلِ السَّنَةِ أَشْبَهُهُ بِالْمُنَافِقِينَ مَعَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي شِدَّةِ الضَّرَرِ، فَإِنَّ الْكُفَّارَ الْأَصْلِيِّينَ؛ النَّاسُ يَعْرِفُونَهُمْ وَيَحْذَرُونَهُمْ، أَهْلَ الْإِسْلَامِ يَحْذَرُونَهُمْ، لَكِنِ الَّذِي يَنْدَسُّ فِيهِمْ وَهُوَ مُنَافِقٌ؛ هَذَا ضَرَرٌ، فَالْمَخْذُلُ شَبِيهٌ بِهِ، فِيهِ شَبَهٌ مِنْهُ، فِيهِ شَبَهُ مِنَ الْمُنَافِقِ، يُظْهَرُ الْوَدَّ لَكَ وَهُوَ يُخْذِلُ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ، وَيَبْثُ ذَلِكَ فِي صُفُوفِ أَهْلِ السَّنَةِ وَيَضُرُّ أَهْلَ السَّنَةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، فَالْنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدَأَ بِهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، يَعْنِي: ظَاهِرُونَ بِإِذْنِ اللَّهِ، يَعْنِي: إِنَّهُمْ عَلَى هَذَا الظُّهْرِ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا هَذَا إِلَّا لِأَنَّهُمْ قَامُوا بِنَصْرَةِ الدِّينِ، فَصَلَحُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حِينَ فَسَدَ النَّاسُ، وَأَصْلَحُوا مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنَ السُّنَّةِ، وَهُمْ مَعَ قَلَّتِهِمْ لَمْ يَتْرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، بَلْ يَأْمُرُونَ وَيَنْهَوْنَ، فَيَصْلِحُونَ وَيُصْلِحُونَ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَبَبُ نَجَاتِ الْأُمَّةِ، لَوْ لَمْ يَوْجَدْ هَؤُلَاءِ الْقَلَّةُ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ وَيَأْمُرُونَ بِالْخَيْرِ لَعَمَّ الْبِلَاءُ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، فَأَهْلُ السَّنَةِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (أَهْلُ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ) هُمْ سَبَبُ النِّجَاتِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، هُمْ سَبَبُ نَجَاتٍ عَظِيمٍ لِأَهْلِ الْأَرْضِ، فِيهِمْ يَعْصِمُ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى النَّاسُ مِنْ نَزُولِ الشَّرِّ بِهِمْ، نَسَأَلُ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُؤَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يَحِبُّ وَيَرْضَى، وَأَنْ يَثْبِتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْهَدْيِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ

الدين.

[السؤالات]

[١] هذا يسأل عن الجمعيات التي تكون بين الموظفين؟ يعني: يجمعون فيسلمونها لواحد منهم، وهكذا وهكذا حتى يستوفي الجميع.

لا بأس بها، وأما كيف يُخْرَجُ زكَّائُها؛ فهذا إذا قبضها، صارت عنده، حَالٌ عليها الحَوْلُ؛ زكَّاءها، أما إذا استهلكها؛ فلا شيء عليه.

[٢] وهذا يسأل عن النَّزَّاعِ مِنَ الْقَبَائِلِ؟

قد ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ، وَتَكَلَّمْنَا أَيْضًا عَلَيْهِ.

[٣] هل اختلاف الروايات في عدد الزيادات على السبعين تجعل الحديث مضطربا في المتن؟

لَا، لَا تَجْعَلُهُ؛ لِأَنَّ التَّوْفِيقَ مُتَيْسِّرٌ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ إِذَا طَوَّلَ اللَّهُ لَنَا فِي الْعَمْرِ إِلَى يَوْمِ غَدٍ نُبَيِّنُ لَكَ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

[٤] وهذا يقول: مَنْ كَانَ عَنْده مِنَ الْعِلْمِ مَا يَرُدُّ بِهِ الشَّبَهَاتِ، وَعَنْده مِنَ الْوَرَعِ وَالْدِّينِ مَا يَرُدُّ بِهِ

الشَّهَوَاتِ؛ فَهَلْ يَجُوزُ لَهُ السَّفَرُ لِبِلَادِ الْكُفْرِ لِلْسِّيَاحَةِ؟

لَوْ كَانَ عَنْده ذَلِكَ؛ لَمَّا أَحَبَّ السَّفَرَ إِلَيْهِمْ، لَكُنْ إِنْ ابْتُلِيَ بِهِ لِحَاجَةٍ شَرْعِيَّةٍ؛ جَازَ لَهُ.

[٥] يقول: هل إذا طَلَبَ الرَّجُلُ مِنْ زَوْجَتِهِ أَنْ تَرْقِيَ أَبْنَاءَهُ لاشتغاله وعدم وجوده، لسفر أو غيره،

يَخْرُجُ مِنْ حَدِيثِ السَّبْعِينَ أَلْفَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ؟

مَا طَلَبَ الرِّقِيَّةَ لِنَفْسِهِ، لِأَبْنَائِهِ، نَعَمْ.

[٦] وهذا^(١٧) يُذَكِّرُ بِسُتَّةِ إِفْشَاءِ السَّلامِ.

إِفْشَاءُ السَّلامِ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمُوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَأَعْظَمِ أَسْبَابِ التَّرَابُطِ، النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: "أَفْلا أدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَّبْتُمْ؟ أَفْشَا السَّلامَ بَيْنَكُمْ"، واعلموا أَنَّ الْخَيْرَ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ أَخَاهُ بِالسَّلامِ، فَإِنَّهُ إِذَا أَعْرَضَ هَذَا، وَأَعْرَضَ هَذَا؛ فَالَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ هُوَ صَاحِبُ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ، فَابْدَأْ بِهِ (أَيُّهَا الْأَخُ) أَخَاكَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمَرْءَ مَعَ أَخِيهِ إِلَّا مَحَبَّةً وَقُرْبًا مِنْهُ.

[٧] وهذا يسأل عن قصيدة: وما لي وللدنيا؟

إِنْ شَاءَ اللَّهُ نُلْقِيهَا إِذَا يَسَّرَ اللَّهُ فِي وَقْتٍ آخِرٍ أَوْسَعَ مِنْ هَذَا.

[٨] وهذا يسأل يقول: هل تعرفون مشايخ في باكستان لكي أرشد أهلي إليهم؟

أقول له: لا، والعلم عند مَنْ يَعْرِفُ أَهْلَ الْبَاكِسْتَانِ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ التَّوْفِيقَ لِلْجَمِيعِ^{(١٩)(٢٠)}.

١٧ _ هنا في الأصل: (السؤال الأول قد أجبتنا عليه كثيرا، وآخره البارحة، فيما يتعلق بالروافض).

١٨ _ هنا في الأصل: (يسأل، يعني).

١٩ _ هنا في الأصل: (لكن انا أذكرُ أبنائي وإخواني أنهم إذا صلوا الصلاة وبعدها الدرس؛ أن يلزموا أماكنهم، فيكملوا تسبيحهم، فلا يهجموا على من كان أمامهم في الصف الأول أو الإمام، ويكملوا تسبيحهم، فإنه هو السنة، والحمد لله؛ أي مكان قعدت فيه (في المسجد)؛ الصوت يصل إليك بإذن الله تبارك وتعالى).

٢٠ _ مَا كَانَ مِنْ خَطِيئَةٍ فِي التَّفْرِيعِ فَلَمَّا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُورٍ وَتَقْصِيرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّى الصَّوَابَ، فَجَزَى اللَّهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ، وَكَبَّتْهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

الدرس الثاني مِنْ شرح كتاب:

”كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة“ للحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى

لصاحب الفضيلة المدرس في الجامعة الإسلامية محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى^(١)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبَعْدُ:

قال الحافظُ ابنُ رجبٍ رحمه الله تعالى:

[المتن]: وبهذا فَسَّرَ الأئمةُ هذا الحديثَ، قال الأوزاعيُّ في قوله: ”بدأ الإسلامُ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ“؛ أمّا إنّه لا يذهب الإسلامُ، ولكن يذهب أهلُ السنة حتى لا يبقى في البلد منهم إلا رجلٌ واحدٌ، ولهذا المعنى يوجد في كلام السلفِ كثيراً مدحُ السُنَّةِ ووصفُها بالغربة ووصفُ أهلِها بالقِلَّةِ، فكان الحسنُ البصريُّ رحمه الله يقول لأصحابه: يا أهلَ السنة، ترفّقوا رحمكم الله فإنكم من أقلِّ الناسِ، وقال يونس بن عبيد: ليس شيءٌ أغربَ من السنة، وأغربُ منها من يعرفُها، ورؤي عنه أنه قال: أصبح من إذا عرّفَ بالسنة فعرفَها غريباً، وأغربُ منه من يُعرّفُها، وعن سفيان الثوريّ أنه قال: استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء، ومراد هؤلاء الأئمةِ بـ(السُنَّةِ): طريقةَ النبيّ صلى الله عليه وسلم التي كان هو وأصحابه عليها، السالمة من الشبهات والشهوات، ولهذا كان الفضيلُ بن عياضٍ يقول: أهل السنة من عَرَفَ ما يدخلُ بطنه من حلالٍ؛ وذلك لأنَّ أكلَ الحلال من أعظمِ خِصالِ السنة التي كان عليها صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنه، ثم صارَ في عَرَفٍ كثيرٍ من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم: السُنَّةُ عبارةٌ عمّا سَلِمَ من الشبهات في الاعتقادات، خاصةً في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورُسُلِهِ واليوم الآخر، وكذلك مسائل القدر وفُضائلِ الصحابة، وصنّفُوا في هذا العلم تصانيفَ سَمَوْها: ”كُتُبُ

٢١ _ ألقاه في مسجد عتبة بن غزوان رضي الله عنه بالدمام، شهر شوال، عام ألف وأربعمائة وسبعة وثلاثين من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

السُّنَّةُ"، وإنما خَصُّوا هذا العلم باسم السنة؛ لأنَّ خطرَه عظيمٌ، والمخالف فيه على شفا هلكة، وأما السنة الكاملة فهي الطريقة السالمة مِنَ الشبهات والشهوات كما قال الحسن ويونس بن عبيد وسفيان والفضيل وغيرهم، ولهذا وُصِفَ أهلُها بِالْغُرْبَةِ آخِرَ الزَّمانِ لِقِلَّتِهِمْ وَغُرْبَتِهِمْ فِيهِ، ولهذا ورد في بعضِ الرِّوايات كما سبق في تفسير الغرباء: "قومٌ صالحون قليلٌ في قومٍ سوءٍ كثيرٍ، مَنْ يَعِصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَطِيعُهُمْ"، وفي هذا إشارةٌ إلى قِلَّةِ عددهم وقِلَّةِ المستجيبين لهم والقابلين منهم، وكثرة المخالفين لهم والعاصين لهم، ولهذا جاء في أحاديثٍ متعددةٍ مَدْحُ الْمُتَمَسِّكِ بدينه في آخِرِ الزَّمانِ، وأَنَّهُ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، وَأَنَّ لِلْعَابِدِ مِنْهُمْ أَجَرَ خَمْسِينَ مِائَةً قَبْلَهُمْ؛ لَأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ أَعْوَانًا عَلَى الْخَيْرِ.

[الشرح]: الحمد لله ربَّ العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بَعْدُ:

فيقول المؤلف رحمه الله تعالى بعد أن ذَكَرَ الغُرْبَةَ في آخِرِ الزَّمانِ وتفسيرها فيما سبق معنا البارحة؛ يقول في هذه الآثار التي ساقها عن التابعين وأتباعهم مُبَيِّنِينَ معنى الغربة رحمهم الله تعالى، يقول: قال الأوزاعيُّ في قوله صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلامُ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ"؛ هذا في الصفحة الثالثة عشر، قال الأوزاعيُّ رحمه الله مُفسِّراً هذا الحديث بهذه الجملة، قال: "أما إنَّه ما يذهبُ الإسلامُ"؛ الإسلامُ لا يذهب، لا يَنْمَحِي، ولكن يذهبُ أهلُ السنة، الإسلامُ الصحيح هو الذي يصبح غريباً، الإسلامُ الصحيح هو الذي يصبح غريباً، وهو التَّمَسُّكُ بسنةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغربته بقِلَّةِ أهله وزهَابِهِمْ؛ فَإِنَّهُمْ يَمُوتُونَ، فيموت العالمُ السُّنِّيُّ فلا يكادُ يوجد مَنْ يَخْلُفُهُ في قُطْرِهِ، في بلده، في إقليمه الذي هو فيه، فيذهبُ أهلُ السنة، علماءُ السنة، وحملَةُ السنة، ودعاةُ السنة، حتى ما يبقى في البلد منهم إلا واحدٌ، وربما لا تَجِدُ في بعض البلدان منهم أحداً، يوجَدُ علماءٌ لكنهم ليسوا على السُّنَّةِ، تَجِدُهُ إمَّا أشعرياً، وإمَّا ماثريدياً، وإمَّا قد تَلَطَّخَ بأَوْضارِ التَّصَوُّفِ، وَحَصَلَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ ما حصل استقلالاً أو استكثاراً،

فهؤلاء يَحْسِبُهُمْ أَهْلُ أَقْطَارِهِمْ وَيَحْسِبُهُمْ أَهْلُ بِلَادِنِهِمْ وَيَحْسِبُهُمْ أَهْلُ زَمَانِهِمْ عُلَمَاءٌ؛ لِمَا يَرَوْنَ عَنْهُمْ وَمِنْهُمْ وَيَسْمَعُونَ قَالَ اللَّهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكِنَّ الْعَالَمَ السُّنِّيَّ الْأَثَرِيَّ الَّذِي يَكْشِفُ زَيْفَ مَا هُمْ عَلَيْهِ؛ مَا يَوْجَدُ، فَلِذَا تَجِدُ النَّاسَ يَنْحَرِفُونَ بِسَبَبِ هَؤُلَاءِ، فَلِذَا يَقُولُ الْأَوْزَاعِيُّ: أَمَّا إِنَّهُ لَا يَذْهَبُ الْإِسْلَامُ؛ الصَّلَاةُ الصِّيَامُ، إِيْتَاءُ الزَّكَاةِ، الْحُجُّ بَاقِي، لَكِنَّ السَّنَةَ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ غَرِيبَةً، وَذَلِكَ بِذَهَابِ أَهْلِهَا، فَلَا يَكَادُ يُوجَدُ مَنْ يَعْرِفُهَا أَوْ يُعْرِفُهَا، يُعْرِفُ النَّاسُ بِهَا وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَتَخْلُو بَعْضُ الْبِلَادِ وَبَعْضُ الْأَقْطَارِ وَبَعْضُ الْأَقَالِيمِ مِنْ عُلَمَاءِ السَّنَةِ وَالْأَثَرِ، وَيَحُلُّ مَحَلَّهُمْ أَهْلُ الْبِدْعِ، وَرَبَّمَا لَمْ يَحُلْ أَحَدٌ، يَبْقَى النَّاسُ فِي جَهْلٍ، يَعُمُّ الْجَهْلُ وَيُخَيِّمُ، وَيَضْرِبُ بَعْطَنَ، وَلَا يَوْجَدُ مَنْ يَعْلَمُ النَّاسَ الدِّينَ، فَهَذَا الْكَلَامُ مِنَ الْأَوْزَاعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَلَامٌ حَقٌّ، الْإِسْلَامُ مَا يَذْهَبُ بِالْكَلِيَّةِ، لَكِنَّ يَذْهَبُ أَهْلُ السَّنَةِ، وَهَذَا مُصَدِّقُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَسْتَغْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً"، ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ فَرَقَةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، فَكَمْ النَّاجِي؟ فَرَقَةٌ وَاحِدَةٌ، هُمْ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ، هُمْ أَهْلُ السَّنَةِ وَالْحَدِيثِ، هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ، وَالْهَالِكُونَ الْمُتَوَعَّدُونَ بِالْهَلَاكِ بِالنَّارِ ثَنَتَانِ وَسَبْعُونَ فَرَقَةً، أَلَيْسَ الْوَاحِدُ غَرِيبًا فِي جَانِبِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ؟! غَرِيبٌ، أَلَيْسَ هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمَتَفَرِّقَةُ فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَفِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ وَفِي الْأَقْطَارِ غُرَبَاءَ؟! لَا شَكَّ أَنَّهُمْ غُرَبَاءُ غَايَةِ الْغُرْبَةِ، يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "حَتَّى مَا يَبْقَى فِي الْبَلَدِ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ"، وَسَيَأْتِي مَعْنَا أَنَّهُ لَا يَبْقَى فِي الْبَلَدِ وَلَا أَحَدٌ، هَذِهِ الْغُرْبَةُ، حَتَّى إِذَا قَامَ مَنْ يَدْعُو إِلَى السَّنَةِ اسْتَنْكَرُوهُ، وَأَنْكَرُوا مَا يَدْعُو إِلَيْهِ، وَأَنْكَرُوا الْقَوْلَ الَّذِي يَقُولُهُ، أَنْتَ مُخَالِفٌ لِلنَّاسِ جَمِيعًا؟! مَا فِيهِ إِلَّا أَنْتَ عَالِمٌ؟! مَا فِيهِ إِلَّا أَنْتَ تَعْرِفُ الْإِسْلَامَ؟! كُلُّ هَؤُلَاءِ كُفَّارٌ؟! هَذَا الَّذِي نَسَمَعُهُ الْيَوْمَ، كُلُّ هَؤُلَاءِ مُبْتَدِعَةٌ؟! وَأَنْتَ مَا قُلْتَ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَإِنَّمَا قُلْتَ: يَا عِبَادَ اللَّهِ، السَّنَةُ كُذَّاءٌ، هَذَا خِلَافُ السَّنَةِ؛ فَبِمَا شَرِّ لَكَ الْجُهَالُ وَأَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ: مَا فِيهِ إِلَّا أَنْتَ عَالِمٌ؟! مَا فِيهِ إِلَّا أَنْتَ تَعْرِفُ السَّنَةَ؟! كُلُّ هَؤُلَاءِ مَا يَعْرِفُونَ فِي الْإِسْلَامِ شَيْئًا؟! وَهَكَذَا دَائِمًا إِبْجَابَةُ الْهَمَجِ الرَّعَاعِ وَالْغَوَغَاءِ، وَهَكَذَا دَائِمًا أَهْلُ الْأَهْوَاءِ يَشْغُبُونَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالسَّنَةِ، فَعَلَى الدَّاعِيَةِ

إلى الله (السُّنِّي) الذي مَنَّ الله عليه وعَرَفَ أَنْ يَصْبِرَ وَيَحْتَسِبَ، وَلْيَعْرِفَ أَنَّ هَذَا زَمَنُ الْغُرْبَةِ، وَهَذَا أَنْتُمْ تَرَوْنَ الْآنَ قَلَّةَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ الْمَتَمَسِّكِينَ بِالسَّنَةِ الْكَامِلَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلِهَذَا الْمَعْنَى يَوْجَدُ فِي كَلَامِ السَّلَفِ كَثِيرًا مَدْحُ السَّنَةِ وَوَصْفُهَا بِالْغُرْبَةِ وَوَصْفُ أَهْلِهَا بِالْقَلَّةِ، بِسَبَبِ هَذَا الَّذِي ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِذَهَابِ عُلَمَاءِ السَّنَةِ وَحَمَلَةِ السَّنَةِ، فَبَعْدَ أَنْ كَانُوا فِي الْبَلَدِ الْوَاحِدِ وَالْاِثْنَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ؛ يُصْبِحُ فِي الْبَلَدِ الْفَقْرُ الْمُدْقِعُ، لَا يَوْجَدُ أَحَدٌ، لَا يَوْجَدُ أَحَدٌ يَعْرِفُ النَّاسَ بِالسَّنَةِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهَا وَيَصْبِرُ وَيَحْتَسِبُ عَلَى ذَلِكَ، وَلِهَذَا جَاءَتِ الْوَصِيَّةُ مِنْ أئِمَّةِ السَّنَةِ بِأَنْ يَتَرَفَّقَ أَهْلُ السَّنَةِ بِأَنْفُسِهِمْ، يَعْنِي: لَا يَشْقُوا عَلَيْهَا وَيَكْلِفُوهَا فَوْقَ طَاقَتِهَا وَيَعْرِضُوهَا لِلْهَلَاكَةِ فِيَهْلِكُوا؛ إِمَّا بِالْقَتْلِ، وَإِمَّا بِالْحَبْسِ، وَإِمَّا بِالتَّشْرِيدِ وَالتَّطْرِيدِ، فَتُفْقِرُ الْبِلَادُ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْلُكُوا طَرِيقَ الْوَسَطِ، وَذَلِكَ بِالتَّرَفُّقِ بِالنَّاسِ وَالتَّلَطُّفِ حَتَّى يُوصِلُوا هَذَا الْخَيْرَ إِلَيْهِمْ، وَتَفْشُو السُّنَّةُ بَيْنَهُمْ، فَلَا يَقِفُونَ فِي وَجْهِهِمْ حَجَرٌ عَثْرَةً وَيَسْتَعْدُونَ عَلَيْهِمُ الْعَامَةَ، وَرَبَّمَا يَهْلِكُونَ وَيُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَيَتَرَفَّقُوا بِأَنْفُسِهِمْ، وَيُبْقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لِصَلَاحِ النَّاسِ، يُدَارُوا بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُونَ، يَدْرُوْنَ الْفِتْنََ عَنْهُمْ وَعَنِ الْمُسْلِمِينَ بِكُلِّ مَا يَسْتَطِيعُونَ حَتَّى يَبْقُوا فِي النَّاسِ، وَيَبْقَى أَثَرُهُمْ فِي النَّاسِ، وَيَعْلَمُونَ النَّاسَ الْخَيْرَ وَالْهُدَى الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِهَذَا كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: يَا أَهْلَ السَّنَةِ تَرَفَّقُوا بِأَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ أَقْلُ النَّاسِ، هَذَا فِي عَهْدِ الْحَسَنِ التَّابِعِيِّ! فِي عَهْدِ الْحَسَنِ! كَيْفَ لَوْ بُعِثَ الْحَسَنُ فِينَا؟ كَيْفَ لَوْ بُعِثَ الْحَسَنُ الْيَوْمَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى؟! مَاذَا يَقُولُ؟! نَحْنُ الْيَوْمَ فِي غَايَةِ الْغُرْبَةِ، فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ إِذَا تَكَلَّمَ حَامِلُ السَّنَةِ وَجَدَ مَعَهُ أَلْفًا يَنْصُرُونَهُ، الْيَوْمَ تَتَكَلَّمُ تَجِدُ أَلْفًا يَعَارِضُونَكَ مِمَّنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ عَالِمٌ أَوْ يَنْتَسِبُ إِلَى الْعِلْمِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَيَقُولُ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ: "لَيْسَ شَيْءٌ أَغْرَبَ مِنَ السَّنَةِ"؛ السَّنَةُ غَرِيبَةٌ، تَعُودُ غَرِيبَةً بَيْنَ النَّاسِ، وَذَلِكَ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الشَّبَهَاتِ، وَكَثْرَةِ دَعَاةِ الشَّبَهَاتِ، وَكَثْرَةِ الشَّهَوَاتِ، فَدَعْوَةُ النَّاسِ إِلَى السَّنَةِ صَاحِبُهَا مُسْتَنْكَرٌ وَمُسْتَغْرَبٌ، وَأَغْرَبُ مِنْهَا مَنْ يَعْرِفُهَا، وَأَغْرَبُ مِمَّنْ يَعْرِفُهَا مَنْ يَعْرِفُهَا وَيَدْعُو إِلَيْهَا (يَعْرِفُ النَّاسَ بِهَا)، هَذَا أَغْرَبُ وَأَغْرَبُ، فَالسَّنَةُ تُسْتَغْرَبُ لِكَثْرَةِ

الأهواء والبدع، وأهلها يُسْتَغْرَبُونَ لِقِلَّتِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَغْرَبُ مِنْ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا مَنْ يَقُومُ بِهَا مِنْ أَهْلِهَا، فِهْنَاكَ مَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ صَالِحًا، يَصْلُحُ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، وَلَا يَتَعَرَّضُ لِلنَّاسِ وَيَدْعُوهُمْ وَيَصْبِرُ عَلَى الْأَذَى، يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ، فَأَغْرَبُ مِنْهُ الَّذِي يَضْحِي بِنَفْسِهِ وَيَحْتَمِلُ الْأَذَى وَيَصْبِرُ عَلَى مَا يُلْحَقُهُ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ حَتَّى يَتَعَلَّمَ النَّاسُ السَّنَةَ، فَأَغْرَبُ مِمَّنْ يَعْرِفُ السَّنَةَ مَنْ يَدْعُو إِلَيْهَا، وَهَذَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ! فَكَيْفَ بِهِمْ لَوْ بُعِثُوا هَؤُلَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ؟! كَيْفَ بِهِمْ لَوْ بُعِثُوا فِي زَمَانِنَا؟! وَرُوِيَ عَنْ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ أَيْضًا أَنَّهُ قَالَ: "أَصْبَحَ مَنْ إِذَا عُرِفَ السَّنَةُ فَعَرَفَهَا غَرِيبًا"؛ وَهَذَا الَّذِي نَرَى كَثِيرًا مِنْهُ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ الْمَتَأَخَّرَةِ، مَا الَّذِي صَارَ لَكَ؟! تَغَيَّرَتَ عَلَيْنَا؟! تَرَكْتَ مَا عَلَيْهِ جَمَاعَتُكَ؟! تَرَكْتَ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ بَلَدِكَ؟! تَرَكْتَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ؟! يَعْنِي: الْحُجَّةُ أَصْبَحَتْ عِنْدَهُ أَهْلُ بَلَدِهِ وَأَهْلُ إِقْلِيمِهِ وَأَصْحَابُهُ وَجَمَاعَتُهُ وَالنَّاسُ، وَلَيْسَتْ الْحُجَّةُ أَنْ يَعْرِفَ السَّنَةَ وَيَعْمَلَ بِهَا وَيَدْعُوهُمْ إِلَيْهَا، فَيَصْبِحُ بَعْدَ أَنْ كَانَ بَيْنَهُمْ عَزِيزًا يَصْبِحُ غَرِيبًا، هَذَا أَغْرَبُ وَأَغْرَبُ وَأَغْرَبُ مِنْهُ مَنْ يُعَرِّفُهَا، يَعْنِي: يَدْعُو إِلَيْهَا، وَلِذَلِكَ يَقُولُ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: "اسْتَوْصُوا بِأَهْلِ السَّنَةِ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ غَرَبَاءُ"؛ هَذَا خُطَابُ لِلنَّاسِ، لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ جَمِيعًا، اسْتَوْصُوا بِأَهْلِ السَّنَةِ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ غَرَبَاءُ، أَهْلُ السَّنَةِ الْحَقِيقِيُّونَ غَرَبَاءُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَالسَّنَةُ (كَمَا ذَكَرَ الْمَصْنُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا الْمَقَامِ) الْمُرَادُ بِهَا: طَرِيقَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَالِيَةُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَأَمَّا الشُّبُهَاتُ فَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَيْهَا الْبَارِحَةَ، وَالْمُرَادُ بِهَا: الْأَهْوَاءُ الْمُضِلَّةُ الَّتِي حَدَّثَتْ بَعْدَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَحَرَفَتْ النَّاسَ عَنِ الدِّينِ الصَّحِيحِ وَعَنِ الْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ، فَتَنَةُ الْخَوَارِجِ أَوَّلَ مَا حَصَلَتْ، فَلَبَّسَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَاجْتَالَتْ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ، وَحَارَبُوا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَاتَلُوهُمْ وَكَفَرُوا بِهِمْ وَاسْتَحَلُّوا دِمَاءَهُمْ (نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ) وَأَمْوَالَهُمْ، بَعْدَ فَتْنَةِ الْخَوَارِجِ (فِي مَقَابِلِ الْخَوَارِجِ) خَرَجَتْ الْمَرْجُتَةُ، فَالْخَوَارِجُ يَكْفُرُونَ بِالْكَبِيرَةِ وَالْمَرْجُتَةُ فِي مَقَابِلِهِمْ؛ يَرُونَ أَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، وَأَنَّهُ لَا يَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ ذَنْبٌ كَمَا لَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ طَاعَةٌ، فَخَرَجُوا فِي مَقَابِلِ الْخَوَارِجِ، أُولَئِكَ يَكْفُرُونَ بِالْكَبَائِرِ، وَهَؤُلَاءِ خَرَجُوا ضِدَّهُمْ، فَهَؤُلَاءِ وَعِيدِيَّةٌ، وَهَؤُلَاءِ مَرْجُتَةٌ، ثُمَّ ظَهَرَتْ فَتْنَةُ الْقَدَرِ (الْقَوْلُ بِالْقَدَرِ) فِي الْبَصْرَةِ،

وكما قلنا البارحة: أدركها بعضُ صغارِ أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم كابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وهكذا زادتِ البدعُ وتعددتْ، جاء الاعتزالُ، جاء التجهمُ، نسأل الله العافية والسلامة، ومنه انبثقت طوائفٌ متعددةٌ من طوائفِ الجهميَّةِ كالشاعرة وكالماتريديَّة وكالكلابيَّة وهكذا، وكلَّ يومٍ تحدثُ فرقةٌ، فكثرتِ الشُّبهاتُ، وضلَّ الناسُ بسببِ ذلك ضلالا عظيما، حتى أصبح أهلُ السنة قِلَّةً، ولحقهم ما لحقهم من الحبس والتشريد والتطريد، فأصبحوا يستخفون في بعض الأقطار! وانتشرتِ البدعُ وشاعتُ وذاعتُ، وهكذا الشهواتُ؛ فتحتِ الدنيا ولذاتها على الناس، حتى أصبح لا يبالي الإنسان بالدينار والدرهم؛ أَمِنْ حلالٍ أَخَذَهُ أَمْ مِنْ حرامٍ؟ المهمُّ أن يقع في يده، المهمُّ أن يقع في جوفه، لا يبالي به، وهكذا، فعَمَّتِ الشُّبهاتُ وعَمَّتِ الشَّهواتُ، نسأل الله العافية والسلامة، فإذا تكلموا على السنة؛ فالمراد بالسنة: المعنى العام (الطريقة)، ونحن نقول: إِنَّ السَّنةَ في تعريفنا لها: هي ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم مِنْ قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو وَصْفٍ، والوصفُ: الخُلُقِيُّ أو الخُلُقِيُّ، الوصفُ وصفان: خُلُقِيٌّ وَخُلُقِيٌّ، فهي ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم مِنْ قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ أو وصفٍ، فالوصفُ الخُلُقِيُّ: هذا أخلاقُ النبي صلى الله عليه وسلم وهو الآداب، والوصفُ الخُلُقِيُّ (بكسر الخاء): المراد به شَمَائِلُهُ عليه الصلاة والسلام، شَمَائِلُهُ عليه الصلاة والسلام التي فُطِرَ عليها صلى الله عليه وسلم وخُلِقَ عليها صلى الله عليه وسلم، فالوصفُ الخُلُقِيُّ كقولهم: كان أبيضَ، مُشْرَبًا بحمرة، رُبْعَةً، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير القَطَطِ، عَرِيضٌ ما بين المنكبين، ضَلِيعَ الفَمِ، أَفْلَحَ الثَنَايا، أسنانه كالْبَرَدِ تتلألًا تَلَأُلًا، وجهه أَصْحَى مِنَ البدر ليلةَ الإضحيان، له جِمَّةٌ تضربُ ما بين منكبيه، وهكذا، هذا وصفُ خُلُقِيٍّ، خُلِقَتْهُ التي خَلَقَهُ الله جل وعلا عليها، كان النبي صلى الله عليه وسلم أشجعَ الناس وأصدقَ الناسِ عليه الصلاة والسلام، وكان لا يُؤَاخِذُ بِالذَّنْبِ، وكان يَغْفُو وَيَصْفَحُ؛ هذا خُلُقِيٌّ، عليه الصلاة والسلام، مِنْ أخلاقه، فَأَلْفَتَ في ذلك (في الخُلُقِيِّ والخُلُقِيِّ) الكتُبُ، أُلْفَ في الخُلُقِيِّ (الآداب)؛ أخلاقُ النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه لأبي الشيخ الأصبهاني (مثلا)، الأدب المفردُ للبخاري، الأدب المفردُ لابن أبي شَيْبَةَ، وهكذا،

مكارم الأخلاق للخرائطي ونحو ذلك، مكارم الأخلاق للطبراني، هذا كله في الأخلاق والآداب، ما يتعلق بالشماثل: الشماثل المحمدية للترمذي رحمه الله تعالى، هذا يتعلق بالخلقة (بكسر الخاء)، فالمراد بهذا التعريف (الذي ذكرناه) السنة الكاملة، وهي الطريقة التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في القول والفعل والأخلاق والآداب والخلق الذي خلقه الله جل وعلا عليه، فهذا هو التعريف العام الكامل للسنة النبوية، ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف، هذه هي السنة الكاملة السالمة من الشبهات والشهوات، ولهذا قال الفضيل: أهل السنة من عرف ما يدخل بطنه من حلال، هذا جانب، أكل الحلال والتقضي في هذا الجانب والتحرز فيه؛ هذا جانب من الجوانب (من جوانب السنة)، ومن ذلك أن الصدقة لا تحل له عليه الصلاة والسلام، ولا لبني هاشم، لقي ذات يوم تمره فقال: لولا أنني أخشى أن تكون من الصدقة لأكلتها، يعني: ما هان عليه أن تكون ملقاة في الأرض، وهي من نعم الله جل وعلا، هذا التمر الذي الآن كثير منا لا يأكله إلا تفكها، كان طعامهم الأصلي الرئيس، صلوات الله وسلامه، بل يمر عليه الشهر والشهران والثلاثة، الأهلة في شهرين لا يؤقد في بيته صلى الله عليه وسلم نار، ما يوجد إلا هذا الطعام؛ الأسودان التمر والماء، والتمر إذا قدم مال إلى السواد، أول ما يبين: حمرة تميل إلى البرتقالي، إلى الصفرة، إلى البرتقالي، ثم بعد ذلك إلى الحمرة القانية، ثم يميل بعد ذلك إلى البني، ثم إذا أحول (قرب من السنة) صار ما يسميه العوام (حويلاً)، يعني: مر عليه الحول أو قارب، يصبح لونه أسود، فغلب عليه السواد، فقيل: الأسودان، مع أن الماء لا لون له، ولكن من باب التغليب كما يقال: الأبوان، هذا ذكر وهذه أنثى، هذه أم، لكن يقال: أبوان، والقمران: هذا قمر وهذه شمس، ولكن يقال: القمران، يؤخذ بأعلاهما وأظهرهما، فيقال: القمران، الأبوان، فهنا قيل: الأسودان، فما كان طعامهم إلا هذا، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول: لولا أنني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها، فكان عليه الصلاة والسلام يتحرز في هذا، صلى الله عليه وسلم، فالتحرز في هذا الجانب وأخذ النفس في هذا بالقوة وعدم ترك الزمام لها وعدم التساهل في هذا؛ هذا من أعظم خصال السنة التي كان عليها رسول

الله صلى الله عليه وسلم، فكان في الأوّل (السُّنَّة) بهذا المعنى، فَلَمَّا عَظُمَتِ الأهواءُ وَكَثُرَتِ الأهواءُ وَتَشَعَّبَتِ الأهواءُ وَتَعَدَّدَتِ الآراءُ والطُرُقُ المبتدعة؛ غَلَبَ عند العلماء (هذا في القرن الثاني فما بَعْدُ) غَلَبَ عندهم استعمالُ السُّنَةِ في مقابل البدعِ، في مقابل الشبهات (في الاعتقادات)؛ لِمَ؟ لأنَّهم غَلَبُوا الجانبَ الأخطرَ والأعظمَ واهتمُّوا به كثيرًا ألا وهو جانبُ الاتِّباعِ والحرصِ عليه، وإن كانوا لم يُغفِلُوا جانبَ المعيشَةِ والأحكامِ العمليَّةِ لكنَّهم رأوا أنَّ الخطورةَ في جانبِ الاعتقادات؛ هذه مهلكةٌ، فاهتمُّوا بها، وصار في عُرْفِهِم (السُّنَّة) في مقابل البدعةِ، وهذا الذي يؤيِّده الحديثُ، ما جاؤوا به مِنْ عند أنفسهم، ما جاؤوا به مِنْ عند أنفسهم، إنما يؤيِّده الحديثُ: "إنَّه مَنْ يَعْشُ مِنْكُمْ فَيَسِيرُ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ".

فَخَيْرُ الْأُمُورِ السَّالِفَاتُ عَلَى الْهُدَى ... وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتُ الْبِدَائِعُ

خَيْرُ الْأُمُورِ السَّالِفَاتِ عَلَى الْهُدَى ... وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتِ الْبِدَائِعُ

"عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"؛ فَصَارَتِ (السُّنَّة) عند هؤلاء وإلى يومنا هذا وإلى أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا؛ إِذَا أُطْلِقَتْ يُرَادُ بِهَا مُقَابِلُ الْبَدْعَةِ، مُقَابِلُ الشَّبَهَاتِ؛ فَإِنَّ فِتْنَةَ الشَّبَهَاتِ أَعْظَمُ، فِتْنَةُ الشَّبَهَاتِ أَعْظَمُ، وَأَمَّا الْمَعَاصِي فَلَا نُهَوِّنُ مِنْهَا، وَلَكِنْ أَمْرُهَا أَخْفَى.

كُلُّ الذُّنُوبِ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا ... مَا شِيعَ الْمَرْءُ إِخْلَاصٌ وَإِيمَانٌ

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا} (٢٢)، {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا

بَعِيدًا^(٣٣)، فضلالُ أهلِ الأهواءِ والبدعِ والشركِ بعيدٌ، نسأل الله العافية والسلامة، فأصبح أهلُ الحديث والأثر يَعْنُونَ بِ(السُّنَّةِ) مقابلَ البدعة، مقابل الشبهات في الاعتقادات، خاصةً (كما قال المصنف رحمه الله) في مسائل الإيمان بالله تبارك وتعالى، وهُمْ في هذا يَرُدُّونَ على الطوائف المخالفة في هذا مِنَ الوعيدية وَمِنَ المرجئة، فأهلُ السنة وَسَطٌ بين أهل الوعيد وأهل الإرجاء، أهلُ الوعيد الذين يُكْفَرُونَ بالكبائر، ويقولون: لا بد من إنفاذ الوعيد، {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}^(٣٤) لا يعترفون بهذه الآية، وهذه الآية فيها ردٌ عليهم جميعاً، ردٌّ على أهل الإرجاء، وردٌّ على أهل الوعيد، فما كان دون الشركِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وتعالى قد يغفره، وقد يُوَاحِدُ صاحبه؛ لأنَّ الله جل وعلا يقول: {لِمَنْ يَشَاءُ}، وأمَّا الشرك فلا يغفره سبحانه وتعالى، وقوله: {لِمَنْ يَشَاءُ} ردٌّ على أهل الوعيد الذين يقولون: إِنَّ اللَّهَ لا يغفر لصاحب الكبائر، وإنما يجب عليه أَنْ يُنْفِذَ الوعيد فيهم، فكان أهلُ السنة وَسَطًا بين الوعيدية، بين طوائف الوعيدية (وهم الخوارج والمعتزلة)، لفظة الوعيدية لفظ يجمع التَّائِبِينَ، يجمعُ الخوارجَ ويجمع المعتزلة؛ لأنَّ الخوارج يقولون عن مرتكب الكبيرة: إِنَّهُ كَافِرٌ فِي الدُّنْيَا، وَكَافِرٌ فِي الْآخِرَةِ، مَخْلُودٌ فِي النَّارِ، المعتزلة يقولون: هو في الدنيا ليس بكافرٍ، طَيِّبٌ مُسْلِمٌ؟ ليس بمسلم! إِنَّ أَيْنَ هُوَ؟ قالوا: في منزلةٍ بين المنزلتين! نحن ما نعرف منزلةً بين المنزلتين، ما هي؟ سَمَّوْهَا لَنَا، ما يستطيعون يسمونها إلا بهذه اللفظة، يقولون: منزلةٌ بين المنزلتين! ما هي هذه المنزلة؟ لا اسمَ لها عندهم، طَيِّبٌ تَنَازَلْنَا مَعَكُمْ، مَالَهُ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَكُمْ؟ ما هو؟ فَسَّرُوهُ؟ قالوا: هو مَخْلُودٌ فِي النَّارِ، إِنَّ هَذِهِ الْمَنْزِلَةُ لَا شَيْءَ، ما دام مَخْلُودًا فِي النَّارِ؛ لَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ؟ الْكَافِرُ، فَأَنْتُمْ وَالْخَوَارِجُ سَوَاءٌ إِلَّا أَنْكُمْ جِئْتُمْ بِسَفْسَاطَةٍ يَضْحَكُ مِنْهَا كُلُّ عَاقِلٍ، بل حتى صغارُ أبناءِ أهلِ الإسلامِ يضحكون منها، هو في منزلةٍ بين المنزلتين! لا مسلم ولا كافر! لكن في الآخرة؟ قالوا: مَخْلُودٌ فِي النَّارِ خَالِدًا مَخْلُودًا فِيهَا أَبَدًا، إِنَّ أَنْتُمْ كَالْخَوَارِجِ، فَهَؤُلَاءِ هُمْ

^{٣٣} _ النساء (١١٦).

^{٣٤} _ النساء (٤٨)، (١١٦).

الوعيدية، فيأتي أهل السنة بهذا اللفظ ليختصروا ويجمعوا، كما قلنا لكم بالأمس: يأتون بالألفاظ الْمُخْتَصَرَةَ التي تَجْمَعُ، فهنا يقولون: (الوعيدية)؛ ويقصدون به طائفتين: الخوارج والمعتزلة (أصحاب الوعيد والوعيد)، وهكذا المرجئة بأصنافهم وطوائفهم الذين يقولون عن الإيمان: إنما هو اعتقاد القلب ونطق اللسان، وأهلُه فيه سواء، ما فيه أهلُه متفاضلون! أهلُه سواء، إيمان أطوع الخلق كإيمان أفجر الخلق!!! هذا هو الإرجاء الأصلي الذي أنكره السلف، هذا هو الإرجاء الأول الذي أنكره السلف؛ لأنه جاء في مقابل قول الخوارج، فهؤلاء هم المرجئة، ثم جاءت بعد ذلك بقيّة الفتن، نسأل الله العافية والسلامة، والشبهات التي نشأت في الاعتقادات (في الإيمان) كثيرة، وهكذا في الإيمان بالملائكة والكتب واليوم الآخر ومسائل القدر وظهور القدرية في هذا، وهكذا ظهور طوائف التشيع، منهم القريب ومنهم البعيد، والشيعّة على فرقٍ (قديمًا)، أما في هذه الأعصار فلا يظهر للناس ولا يُعلّم فيهم إلا مذهب الرّفْضِ، مُنْذُ الْقَدَمِ (مِنَ الْقَرْنِ الرَّابِعِ)، كَثُرَ الرّفْضُ، وَعَمَّ الرّفْضُ، وَغَلَبَ الرّفْضُ، حَتَّى سَبَّ السَّلَفُ فِي بَغْدَادٍ وَخَرَجَ مِنْهَا أئِمَّةُ السَّنَةِ وتركوا بغداد؛ لأنّهم لا يستطيعون مقاومة هؤلاء لما غلبوا عليها وينكرون ما هم عليه، فلا يستطيعون الصبر، فخرجوا مِنْ بَغْدَادٍ، وَتُرِكَتْ بَغْدَادُ، وهذا موجودٌ في أخبار التاريخ: أَنَّ السَّلَفَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى (علماء السنة) تركوا بغداد وخرجوا منها لَمَّا ظَهَرَ فِيهَا سَبُّ السَّلَفِ عَلَى الْمَنَابِرِ وَفِي الْمَجَالِسِ وَالْمَجَامِعِ، تَغَلَّبَ الرَّافِضَةُ عَلَيْهَا، فَكَانُوا يَجَاهِرُونَ بِسَبِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَهَذَا أَيْضًا فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ مُرَدُّهُ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُنْحَرِفِينَ، وَلَأَجْلَ ذَلِكَ صَنَّفَ أئِمَّةُ الْإِسْلَامِ (صَنَّفَ أئِمَّةُ الْحَدِيثِ) الْكُتُبَ الَّتِي تُبَيِّنُ فَضَائِلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ كَفَضَائِلِ الصَّحَابَةِ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ، صَنَّفُوا الْكُتُبَ فِي هَذَا لِيَرُدُّوا بِهَا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُنْحَرِفِينَ الْمَخَالِفِينَ لِأَهْلِ السَّنَةِ، وَصَنَّفُوا فِي هَذَا الْعِلْمِ (كما يقول المصنف) تصانيفَ سَمَّوْهَا "كُتُبَ السُّنَّةِ"، وَكُتِبَ السَّنَةُ الْأُولَى هِيَ الَّتِي مُبْنَتْ مِنْهَا مَتُونُ الْحَدِيثِ الْمَتَأَخَّرَةِ عِنْدَنَا الْيَوْمَ بَيْنَ أَيْدِينَا، هِيَ الَّتِي مُبْنَتْ مِنْهَا مُتُونُ الْإِعْتِقَادِ الَّتِي هِيَ الْآنَ بَيْنَ أَيْدِينَا مُجْرَدَةً، فَيَأْتُونَ إِلَى مَا كُتِبَ فِي الْكُتُبِ الْمَتَقَدِّمَةِ وَيُلَخِّصُونَهَا بِالْأَقْوَالِ الْمَجْرَدَةِ عَنِ الْأَدْلَةِ، فَإِذَا جَاءَ الشَّرَاحُ

عادوا إلى الأمهات، إلى كتب السنة الأولى، كالسنة لأحمد، والسنة لعبدالله بن أحمد، والسنة للدارمي، وهكذا السنة لابن أبي عاصم، والشريعة للآجري، والحجة للأصبهاني، والإبانتين الكبرى والصغرى لابن بطة، وعُدَّ ما شئتَ في هذا الباب، فهو كثيرٌ لا يكاد يَلْحَقُهُ العَادُّ ولا يحصره ولا يَتَّسِعُ هذا المجالُ لِذِكْرِهِ، وإنَّما المرادُ بهذا التمثيل، فَكَتَبُوا "كُتِبَ السُّنَّةُ"، أصبحت لفظة (السنة) بالتاء المراد بها كتبُ الاعتقاد، وأصبح العلماء إذا أرادوا الأحكامَ قالوا: كتب (السنن) بدون تاء، فكتب السنن كالأمهات الأربع: أبي داود والنسائي وابن ماجه، وجامع الترمذي يدخلُ تغلييباً، وإلا هو تبعٌ للبخاري ومسلم، فهو على طرائقهم، لكن لما نزل عن شرطهم؛ غَلَبَ عليه العلماء إدخاله مع أصحاب السنن، "السنن" لسعيد بن منصور، وهكذا كُلُّ مَنْ كَتَبَ فِي السُّنَنِ فِي الأحكام، فأصبحت تسميتها بـ(السنن) بدون تاء، وأما (السُّنَّةُ) فلا يريدون بها إلا الاعتقاد؛ لأنَّ هذا الباب خطرُه عظيمٌ، والمخالفُ فيه على شفا هلكةٍ، وشفا الهلكةُ أن يكونَ مِنَ الطوائفِ الثنتين والسبعين الْمُتَوَعَّدَةِ بالنار (عياداً بالله مِنْ ذلك)، وأما السنة الكاملة (كما قلنا لكم): فهي ما سَلِمَ مِنَ الشبهات والشهوات، ولهذا أهل هذه السُّنَّةِ في كل زمان ومكان غرباء، وما غربتُهم إلا (كما قُلْتُ لكم) لِقَلَّتِهِمْ، ولذلك لما كانوا قليلاً انطبَقَ عليهم الحديثُ: "قومٌ صالحون قليلٌ في قومٍ سوءٍ كثيرٍ، مَنْ يعصيهم أكثرُ ممَّن يطيعهم"؛ وهذا فيه إشارةٌ إلى قِلَّةِ عَدِيهِمْ، هذا واحدٌ، قومٌ صالحون قليل في قومٍ سوءٍ كثير، فهذا قِلَّةٌ عَدِيهِمْ هم في أنفسهم، وفيه إشارةٌ إلى قِلَّةِ المستجيبين لهم ولدعوتهم إلى السنة وتَمَسِّكِهِمْ بها، وهم الْمُتَّبِعُونَ لهم القابلون منهم، فالدَّعَاةُ إلى السنة قليلٌ، والقابلون لدعوة السنة قليلٌ، قوم صالحون قليل، هؤلاء هم الدعاة إلى السنة في قومٍ سوءٍ كثيرٍ، ففيه: كثرةُ أهل الشرِّ، أهل الباطل، أهل الأهواء، أهل البدع، أهل المحدثات، أهل الشبهات الذين يَضِلُّونَ النَّاسَ عن سواء السبيل، وفيه إشارةٌ إلى قِلَّةِ المستجيب، فلا تحزنوا حينئذٍ، هذا مصداقُ حديثِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، والجنَّةُ سِلْعَةٌ الله، وهي غاليةٌ، سلعة الله غاليةٌ، ليس يَنَالُهَا مِنَ الألف إلا واحدٌ.

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتُ رَخِيصَةً ... بَلْ صِرْتُ غَالِيَةً عَلَى الْكَسَلَانِ

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا ... فِي الْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا اِثْنَانِ

فَقَلَّةٌ هُمَ أَهْلُ الْحَقِّ، قَلَّةٌ هُمَ أَهْلُ الْخَيْرِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، قَلَّةٌ أَهْلُ السَّنَةِ، وَلَمَّا قَلُّوا وَكَثُرَ الْمَخَالِفُ وَقَلَّ أَتْبَاعُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَكَثُرَ الْمُتَّبِعُ لِأَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمَخَالَفَاتِ لِأَهْلِ الشُّبُهَاتِ؛ اسْتَحَقُّوا أَنْ يُمَدَّحُوا، مَدَحَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (كَمَا مَرَّ مَعَنَا بِالْأَمْسِ، وَأَعَادَهُ الْمَصْنُفُ هُنَا) وَأَنْتَهُمْ فِي هَذَا الْوَقْتِ يُصْبِحُونَ غُرَبَاءَ، بَلْ غُرَبَتُهُمْ شَدِيدَةٌ، وَمَعَانَتُهُمْ عَظِيمَةٌ فِي تَمَسُّكِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ بِدِينِهِمْ، وَفِي أَيْضًا دَعْوَتِهِمْ وَصَبْرِهِمْ عَلَى دَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الْخَيْرِ، وَأَنْتَهُمْ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ، يَعْنِي: تَمَسُّكُهُ بِدِينِهِ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ صَعُوبَةٍ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّهُ يَتَصَبَّرُ، كَمَنْ يَقْبِضُ الْجَمْرَ بِيَدَيْهِ وَيُحْرِقُهُ وَلَكِنَّهُ يَصْبِرُ، فَأَصْبَحَ مِنْ كَثَرَةِ الْمَعَادِينِ وَالْمَحَارِبِينَ وَالْمَخَالِفِينَ تَمَسُّكُهُ بِهَذِهِ السَّنَةِ مَعَ كَثَرَةِ الْمَخَالَفِ وَالْمَعَادِي وَالْمَحَارِبِ كَأَنَّهُ قَابِضٌ عَلَى الْجَمْرِ.

يَا غُرَبَةَ الدِّينِ وَالْمُسْتَمْسِكِينَ بِهِ ... كَقَابِضِ الْجَمْرِ صَبْرًا وَهُوَ يَتَّقِدُ

الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ عِنْدَ غُرَبَتِهِ ... وَالْمُصْلِحِينَ إِذَا مَا غَيْرُهُمْ فَسَدُوا

هؤلاء هم القوم الصالحون القليل في قوم سوء كثير، وأما المصلحون فقال فيهم:

إِنْ أَعْرَضَ النَّاسُ عَنْ تَبْيَانِهِ نَطَقُوا بِهِ وَإِنْ أَحْجَمُوا عَنْ نَصَرِهِ نَهَدُوا

يعني: قاموا في نصرة الدين، هؤلاء هم الغرباء، فهم كالقابض على الجمر، يتمسكون بهذا الدين مع كثرة المحارب لهم، والمخالف لهم، والمخذل عنهم (كَمَا مَرَّ مَعَنَا بِالْأَمْسِ)، والمخذل أشد من العدو الظاهر؛ لَأَنَّ فَتْكَهُ فِي صُفُوفِ أَهْلِ السَّنَةِ أَشَدُّ، يُثَبِّطُ أَهْلَ الْإِيمَانِ، يُثَبِّطُ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالسَّنَةِ، يُثَبِّطُ الَّذِينَ يُصَبِّرُونَ أَنْفُسَهُمْ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالسَّنَةِ، فَمَثَلُهُ فِي أَهْلِ السُّنَّةِ كَمَثَلِ الْمُنَافِقِينَ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ، يَثَبِّطُونَهُمْ عَنِ الْقِيَامِ بِأَمْرِ الدِّينِ، وَيَلْمِزُونَ أَهْلَ الدِّينِ مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ، وَإِذَا جَاؤُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَظْهَرُوا

أنهم معه، فهكذا المخدّلون والمثبّطون، إذا قَوِيَ أهل السنة تظاهروا بأنهم معهم، وإذا ضَعُفُوا أو قَلُّوا عاونوا عليهم أهل الشرِّ، نسأل الله العافية والسلامة، هؤلاء أشدُّ، المخالف قد عَرَفْتَهُ.

فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِصِدْقٍ ... فَأَعْرِفُ فِيكَ غَثِّي مِنْ سَمِينِي

وَالَا فَاجْتَنِبْنِي وَاتَّخِذْنِي ... عَدُوًّا اتَّقِيكَ وَتَتَّقِينِي

العدوُّ الظاهرُ تَتَّقِيهِ، لكن الباطن أشدُّ، فالمخدّل شرٌّ، ولذلك بدأ بهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم في قوله: "لا يضرُّهم مَنْ خَدَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ"، وجاء كذلك رحمه الله تعالى بالإشارة إلى الحديث أَنَّ لَهُوَلَاءِ الْقَابِضِينَ عَلَى دِينِهِمْ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ؛ أَنَّ لَهُمْ أَجْرَ خَمْسِينَ، فقالوا: منا أو منهم يا رسول الله؟ قال: بل منكم (أَجْرُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ)؛ وذلك (كما قلنا بالأَمْس) لَأَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ فِي الْخَيْرِ أَعْوَانًا وَلَا أَنْصَارًا، بل يجدون محاربين لهم ومخدّلين لهم، وأمّا في عصر النبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ فكان معهم النبي عليه الصلاة والسلام، ومعهم عمومُ الصحابة رضي الله عنه، فإذا قال الواحدُ قولاً وَجَدَ أَنْصَارًا كَثِيرًا، وإذا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أَدْعُنَا، وَمَنْ خَالَفَ يَقُومُونَ عَلَيْهِ، وَأَنْتَ الْآنَ إِذَا قُلْتَ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ابْتَغُوا لَكَ الْغَوَائِلَ، وَنَصَبُوا لَكَ الْحَبَائِلَ، وكادُوا لك بكل ما يستطيعون مِنَ الْكِيدِ؛ لِأَنَّكَ تَهْدِمُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ عَلَيْهِ، لِأَنَّ النَّاسَ إِنْ تَعَلَّمُوا وَعَرَفُوا السُّنَّةَ حَقِيقَةً أَنْكَرَ مَا عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ، وَحِينَئِذٍ سَيَفِرُّ النَّاسُ عَنْهُمْ، فَهُمْ يَبْدُونَ قَبْلَ أَنْ يَنْفِرَ النَّاسُ مِنْهُمْ، وَيَبْدُونَ بِحَرْبِكَ؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ خَطُورَتَكَ عَلَيْهِمْ، وَيَرَوْنَ خَطُورَةَ دَعْوَتِكَ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ وَعَلَى دَعْوَتِهِمْ، وَيَرَوْنَ خَطُورَةَ طَرِيقَتِكَ الَّتِي تَسْلُكُهَا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّتِي سَلَكَوْهَا (الْمُخَالَفَةُ لِلْسُّنَّةِ)، فَلِهَذَا يَبْتَغُونَ لَكَ الْغَوَائِلَ، وَيَنْصِبُونَ لَكَ الْحَبَائِلَ، كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في مدارج السالكين، وهذا الحديثُ حديثٌ حسنٌ، وهو حسنٌ لغيره، "للعامل منهم (في آخر الزمان) أَجْرُ خَمْسِينَ"، قالوا: منا أو منهم؟ قال: "بل منكم"؛ هذا حسنٌ لغيره، حديثُ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخَشَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَقَدْ رُوِيَ مِنْ طَرُقٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ لَا تَخْلُو فِي

آحادها من مقال، ولكنها إذا جُمِعَتْ إلى بعضها؛ جَبَرَ بعضها بعضًا، وليس هو فقط مَرُويًا من حديث أبي ثعلبة، لكن حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أشهرها، وهو مرويٌّ عند أبي داود رحمه الله تعالى والترمذي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم، ووَرَدَ أيضًا من حديث أنس رضي الله تعالى عنه عند الترمذي، ووَرَدَ أيضًا من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عند أحمد، وعلى كل حال لا تخلو أسانيدُها من مقال، ولكن إذا جُمِعَتْ بَلَّغَتْ إلى درجة الحسن، والحسن محتجٌّ به عند علماء الحديث، ثم رحمه الله انتقل إلى تَقْسِيمِ الغرباء، وأنهم على قسمين: القسم الأول: مَنْ يُصْلِحُ نفسه عند فساد الناس، وهذا فيه إشارة إلى أنه لا بد للإنسان أن يعالج نفسه أولاً، حتى تستقيم هي على أمر الله جل وعلا، فإذا استقامت على أمر الله جل وعلا قَدَفَ الله لصاحبها القبول في قلوب الناس، قذف له القبول في قلوب العباد، حتى يُصْبِحَ قوله محبوبًا إليهم، ومسموعًا ومطاعًا بينهم، فلا بد أن يُصْلِحَ الإنسان نفسه، فيبدأ بها، يجاهدها حتى تستقيم على دين الله جل وعلا، وعلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وليَعْلَمْ أَنَّ هذا الباب صعبٌ ليس بالسَّهْلِ إلا على مَنْ يَسْرَهُ الله جل وعلا عليه، نسأل الله لنا ولكم من فضله.

هَيْهَاتَ مَا أَبْعَدَ مَا تُكَابِدُ ... لَنْ تُصْلِحَ النَّاسَ وَأَنْتَ فَاسِدٌ

كُلُّ يُنَاقِي نَفْسَهُ بِهَاجِسٍ ... بَعْلَةٌ مِنْ عِلَلِ الْوَسَاوِسِ

ما يمكن أن تُصْلِحَ الناسَ وأنتَ فاسدٌ في نفسك! الناس يرونك، فكيف يقتدون بك؟! {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ} (٢٥)، فالأقتداء بأهل الاهتداء، الاقتداء إنما يكون بأهل الاهتداء، فلا يَقْتَدِي الناس إلا بالمهتدي، مَنْ ظَهَرَتْ عليه علامة الهداية والاستقامة والإنابة {وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ} (٢٦)، لا بد أن تُنِيبَ إلى الله سبحانه وتعالى، وأن تعودَ إلى الله جل وعلا، فإذا صَلَّحْتَ نفسك؛ رَأَى

^{٢٥} _ الأنعام (٩٠).

^{٢٦} _ الزمر (٥٤).

الناس منك الاستقامة على دين الله، قَبِلُوا منك، الثاني: مَنْ يُصْلِحْ ما أَفْسَدَ الناسُ مِنَ السنة، وهذا أعلى القسمين؛ وذلك لِأَنَّ نَفْعَهُ متعدٍ، إِذَا صَلَحَ هو في نَفْسِهِ، إِذَا صَلَحَ هو في نَفْسِهِ، ثم قام بذلك مع غيره؛ فهذا أعلى وأعظم؛ لِأَنَّهُ أَنْفَعُ للناسِ، وَذَكَرَ رحمه الله تعالى حديثَ الطَّبْرَانِيِّ: "إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ إِقْبَالَ وَإِدْبَارًا، وَإِنَّ مِنْ [إِدْبَارٍ] ^(٢٧) هَذَا الدِّينِ مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَى وَالْجَهَالَةِ، وَ[مُخَالَفَةٍ] ^(٢٨) مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، وَإِنَّ مِنْ إِقْبَالِ هَذَا الدِّينِ أَنْ تَفْقَهُ الْقَبِيلَةُ بِأَسْرَهَا، حَتَّى لَا يَوْجَدَ فِيهَا إِلَّا الْفَاسِقُ وَالْفَاسِقَانِ"، هَذَا هُوَ إِقْبَالُ الدِّينِ "فَهُمَا مَقْهُورَانِ ذَلِيلَانِ"؛ يَظْهَرُ أَهْلُ الْخَيْرِ، يَكْثُرُ أَهْلُ الْعِلْمِ، وَيَقِلُّ أَهْلُ الْجَهْلِ، وَيَنْدَحِرُوا، وَيُطْمَرُوا، وَيَنْقَمِعُوا، وَيُذَلُّوا "إِنْ تَكَلَّمَا قُمِعَا وَقُهِرَا"؛ إِذَا تَكَلَّمَ صَاحِبُ الْبَاطِلِ قَمَعَهُ أَصْحَابُ الْحَقِّ، وَقَهَرَهُ أَصْحَابُ الْحَقِّ وَأَسْكَنُوهُ، فَهَذَا هُوَ الْإِقْبَالُ (إِقْبَالُ الدِّينِ)، فَهَذَا كَانَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ يَوْمَ ظَهَرَ الدِّينَ، وَعُلُوُّ السَّنَةِ، وَظَهُورُ أَهْلِ السَّنَةِ، "وَإِنَّ مِنْ إِدْبَارِ هَذَا الدِّينِ أَنْ تَجْفُو الْقَبِيلَةُ بِأَسْرَهَا"؛ يَعْنِي: تُدْبِرُ عَنِ التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ فِي دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَتَزْهَدُ فِي الْعِلْمِ، وَتَزْهَدُ فِي الْفَقْهِ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُ فِي الدِّينِ" فَإِذَا أَدْبَرُوا وَزَهَدُوا فِي الْعِلْمِ وَالتَّفَقُّهِ فِي دِينِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ قَلَّ الْخَيْرُ وَقَلَّ أَهْلُهُ، فَقَلَّتْ الْخَيْرُ فِي قِلَّةِ أَهْلِهِ أَوْ بِذِلَّتِهِمْ، "فَلَا يَبْقَى إِلَّا الْفَقِيهَانِ وَالْفَقِيهَانِ، فَهُمَا مَقْهُورَانِ ذَلِيلَانِ"؛ الْفَقِيهَانِ وَالْفَقِيهَانِ مَقْهُورَانِ ذَلِيلَانِ، الْعَالَمُ وَالْعَالَمَانِ لَا مَكَانَ لَهُمَا بَيْنَهُمَا بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا احْتِرَامَ لَهُمَا، وَلَا سَمَاعَ لَهُمَا، وَلَا اعْتِدَادَ بِقَوْلِهِمَا، كُلَّمَا تَكَلَّمَا أَزْدَاهُمُ النَّاسُ، وَأَنْكَرُوا عَلَيْهِمَا، وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِمَا، فَإِذَا أَمَرَا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيَا عَنِ الْمُنْكَرِ (فِي هَذِهِ الصُّورَةِ) انْقَلَبَتِ الْحَالُ، قُهِرَا وَاضْطَهَدَا، فَهُمَا مَقْهُورَانِ ذَلِيلَانِ، لَا يَجْدَانِ عَلَى ذَلِكَ أَعْوَانًا وَلَا أَنْصَارًا، وَهَذَا حَالُ أَهْلِ السَّنَةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، لَا يَوْجَدُ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَاحِدُ وَالْاِثْنَانِ مَقْهُورَانِ ذَلِيلَانِ إِنْ تَكَلَّمَا اسْتَهْزَئَ بِهِمَا، وَسُخِرَ مِنْهُمَا أَوْ مِنْهُ، وَلَا يُطَاعُ، وَرَبَّمَا حُورِبَ، وَرَبَّمَا شُرِدَ، وَرَبَّمَا طُرِدَ، وَحُدِّرَ النَّاسُ مِنْهُ، فَهَذِهِ ذِلَّةُ أَهْلِ الْحَقِّ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، نَسَأُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ،

^{٢٧} _ فِي الْأَصْلِ: (إِقْبَال).

^{٢٨} _ لَيْسَتْ فِي الْأَصْلِ.

فيقول رحمه الله: "فُوصِفَ في هذا الحديث المؤمنُ العالمُ بالسنةِ الفقيهُ في الدين بأنه سيكون عند آخر الزمان عند فسادِه مقهوراً ذليلاً لا يجد أعواناً ولا أنصاراً"؛ وهذا صحيح، وهذا الحديث في إسناده ضعف، هذا الحديث هو عند الطبراني كما قال رحمه الله في الكبير، بل وهو في الأوسط، وفيه علي بن يزيد الألهاني، وعلي بن يزيد الألهاني بعضهم يُضعِفُه، وبعضهم يُشدِّدُ في تَضْعِيفِه فيَصِلُ به إلى درجة التَّركِ، وعلى كل حال: وإن كان في الحديث ضعفٌ لكن المعنى صحيح، معناه صحيحٌ موجودٌ معروفٌ والناسُ يعيشونه ويروونه، فأهل السنة في قِلَّةٍ وذِلَّةٍ وفي غُرْبَةٍ في كلِّ زمان ومكان، يذهب علماء السنة فلا يبقى إلا الواحد والاثنان، وربما ذهبوا في القطر، فلا يبقى منهم أحدٌ، فيبقى علماء البدعة في كثرة، نسأل الله العافية والسلامة، فنعوذ بالله من ذلك^(٢٩).

[المتن]: وهؤلاء الغرباء قسمان: أحدهما مَنْ يُصْلِحُ نفسه عند فساد الناس، والثاني: مَنْ يُصْلِحُ ما أَفسَدَ الناسُ مِنَ السُّنَّةِ، وهو أعلى القسمين وأفضلهما.

[الشرح]: وعرفتم لماذا صار أعلاهما وأفضلهما، الأول: صالحٌ في نفسه، الثاني: صالحٌ في نفسه ومصلحٌ لغيره، فهو أعلى من الأول، وفي هذا حثٌّ لنا على أَنْ نصبرَ على السنة وعلى معرفتها وتعلُّمها لأنفسنا وعلى دعوة الناس إليها، والناسُ لن يتعرَّضوا لك إلا إذا دعوتهم، فعليك أَنْ تصبرَ وأنْ تحتسبَ؛ لأنَّ يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أَنْ يكونَ لك حُمُرُ النَّعَمِ، أَنْ يكونَ لك حُمُرُ النَّعَمِ، هذه نعمةٌ من الله منَّ بها عليك، وهي نعمةُ العِلْمِ، فاصبرَ واحتسبَ، وعَلِّمَ هذا العِلْمَ، فوالله (يقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب عام خيبر رضي الله عنه) لأنَّ يهدي الله رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمُرِ النَّعَمِ.

وَاصْبِرْ عَلَى لَاحِقٍ مِنْ فِتْنَةٍ وَأَدِّى ... فِيهِ وَفِي الرُّسُلِ ذِكْرِي فَاقْتَدِ بِهِمْ

لَوَاحِدٌ بِكَ يَهْدِيهِ إِلَهُ يَكُنْ ... خَيْرٌ غَدًا لَكَ مِنْ حُمُرٍ مِنَ النَّعَمِ

^{٢٩} _ هنا في الأصل: (هات: وخَرَجَ الطبراني مرةً أخرى).

فإذا صَبَرَ الإنسانُ على هذا الباب؛ فهو أفضلُ مِنَ القسمِ الأولِ الذي يَصْلُحُ في نفسه ولا يُصْلِحُ غيرهَ، فالأوّلُ صلاحُه لازمٌ، والثاني صلاحُه متعدٍ، نعم.

[المتن]: وقد خَرَجَ الطبراني وغيره بإسنادٍ فيه نظرٌ مِنْ حديثِ أبي أَمَامَةَ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ لكلَّ شيءٍ إقبالًا وإدبارًا، وَإِنَّ لهذا الدِّينِ إقبالًا وإدبارًا، وَإِنَّ مِنْ إدبارِ الدينِ ما كنتم عليه مِنَ العمى والجهالةِ ومخالفةِ ما بعثني اللهُ به".

[الشرح]: القسم الأول في الحديث؛ هذا إجمالٌ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: "إِنَّ لكلَّ شيءٍ إقبالًا وإدبارًا"؛ كيف؟ قال: "إِنَّ مِنْ [إقبال] ^(٣٠) هذا الدِّينِ ما كنتم عليه مِنَ العمى والجهالة"؛ هذا إدبار [الشر] ^(٣١)، وما بعثني الله به؛ حيث أَقْبَلَ [الخيرُ على الشرِّ] ^(٣٢)، فظهر عليه، والآن جاء التفصيل، هات.

[المتن]: وَإِنَّ مِنْ إقبالِ هذا الدِّينِ أَنْ تَفْقَهُ القَبِيلَةُ بِأَسْرِهَا حتى لا يوجد فيها إلا الفاسق والفساقان، فهما مقهوران ذليلان.

[الشرح]: هذا تفصيلٌ للأول الذي أُجْمِلَ، أَنَّ الإقبالَ انتشارُ الخيرِ والعلمِ ببعثته عليه الصلاة والسلام في أول الأمر حتى يَعْمَ العلمُ بين الناسِ فلا يبقى إلا الفاسق والفساقان مقهوران ذليلان لانتشار الخير والعلم، نعم.

[المتن]: إِنَّ تَكَلُّمًا قُمْعًا وَقُهْرًا واضْطْهِدًا.

^{٣٠} _ هكذا في الأصل.

^{٣١} _ هكذا في الأصل.

^{٣٢} _ هكذا في الأصل.

[الشرح]: وهذا هو إقبال الدين، ظهور أهل الحق وكثرتهم، وقلة أهل الباطل وانقماصهم، ما يوجد إلا الواحد والاثنان من أهل الباطل، نعم.

[المتن]: أَلَا وَإِنَّ مِنْ إِدْبَارِ هَذَا الدِّينِ أَنْ تَجْفُوَ الْقَبِيلَةَ بِأَسْرَها حَتَّى لَا يُرَى فِيهَا إِلَّا الْفَقِيهَ وَالْفَقِيهَانِ.

[الشرح]: تجفوا: يعني: تبتعد عن العلم، من الجفاء (جفوة)، تبتعد عن التعلّم لدين الله وشرع الله، وتترك العلم والفقه في الدين، فيظهر فيهم الجفاء، عياذا بالله من ذلك، فلا يكثرثون بالعلم، ولا يهتمون به، فيسيطر عليهم ويغلب عليهم الجهل، وحينئذٍ يكثر الشر ويكثر أهل الشر، نعم.

[المتن]: حَتَّى لَا يُرَى فِيهَا إِلَّا الْفَقِيهَ وَالْفَقِيهَانِ وَهُمَا مَقْهُورَانِ ذَلِيلَانِ، إِنْ تَكَلَّمَا فَأَمَرَا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيَا عَنِ الْمُنْكَرِ قُبْعًا وَقَهْرًا وَاضْطِهَادًا، فَهُمَا مَقْهُورَانِ ذَلِيلَانِ لَا يَجِدَانِ عَلَى ذَلِكَ أَعْوَانًا وَلَا أَنْصَارًا، فَوُصِفَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْمُؤْمِنُ الْعَالِمُ بِالسَّنَةِ الْفَقِيهَ فِي الدِّينِ بِأَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِنْدَ فُسَادِهِ مَقْهُورًا ذَلِيلًا، لَا يَجِدُ أَعْوَانًا وَلَا أَنْصَارًا.

[الشرح]: دَقُّوا وانظروا في هذه العبارات، من المصنف رحمه الله تعالى، حيث يقول: "فُوصِفَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْمُؤْمِنُ الْعَالِمُ بِالسَّنَةِ الْفَقِيهَ فِي الدِّينِ"؛ الْعِلْمُ بِالسَّنَةِ شَيْءٌ، وَالْفَقْهُ بِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ شَيْءٌ آخَرٌ، الْمَعْرِفَةُ بِالسَّنَةِ وَهِيَ طَرِيقَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهَا، هُنَاكَ فَقِيهٌ يَقُولُ لَكَ: هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ، لَكِنْ تَجِدُهُ مَعْتَزِلِيًّا! هُنَاكَ فَقِيهٌ يَقُولُ لَكَ: هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ وَلَكِنْكَ تَجِدُهُ مَاتَرِيدِيًّا! هُنَاكَ فَقِيهٌ يَقُولُ لَكَ: هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَكِنْكَ تَجِدُهُ أَشْعَرِيًّا! هُنَاكَ فَقِيهٌ يَقُولُ لَكَ: هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَكِنْكَ تَجِدُهُ عَقْلَانِيًّا! وَهَكَذَا صَاحِبَ رَأْيٍ، وَهَكَذَا، لَكِنْ الْعِلْمُ بِالسَّنَةِ الَّتِي هِيَ بِالْمَعْنَى الْعَامِ (الَّذِي تَقَدَّمَ مَعْنَاهُ قَبْلَ قَلِيلٍ): وَهِيَ طَرِيقَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّالِمَةُ مِنَ الشَّبَهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، هَذَا قَلِيلٌ (قَلِيلٌ)، فَلِذَلِكَ وَصِفَ الْمُؤْمِنُ الْعَالِمُ بِالسَّنَةِ الْفَقِيهَ فِي الدِّينِ، الْفَقَهَاءُ كَثِيرٌ، لَكِنْ أَهْلُ

السنة قليلٌ، هذا دليلٌ واضحٌ في كلام المصنف، بدلالة الألفاظ (دلالة المنطوق)؛ العالم بالسنة الفقيه في الدين، فعلماء السنة المتفقهون في السنة وفي دين الله قليلٌ في كل زمان، كيف لا يكونون كذلك وهم طائفة واحدةٌ في مقابل ثنتين وسبعين فرقة؟! قليلٌ جدًّا، ونتيجتهُ إذا كان عالمًا بالسنة وفقيرًا في الدين ويدعو الناس إلى السنة أيش يصير؟ نعم.

[المتن]: لأنَّه يكون في آخر الزَّمان عند فسادِه مقهورا ذليلا، لا يجد أعوانا ولا أنصارا.

[الشرح]: نعم، أنتم الآن ترون وتسمعون ماذا يُقالُ في علماء السنة (فقهائ السنة)؟! هؤلاء متخلَّفون! هؤلاء متأخِّرون! هؤلاء بدُّوا! هؤلاء جفاة! هؤلاء ما عندهم فقه بالواقع! هؤلاء ما ذهبوا إلى بلاد الغرب ورأوا ما عليه أهل الغرب! فلذلك كان علمُهم قصيرا! هؤلاء شَوِيَّةٌ عميان ما عرفوا مِنَ الواقع في هذا العصر شيئا! فَيَتَنَدَّرُونَ بعلماء السنة! ويطعنون فيهم، ويلمزون فيهم بهذا، والخوارجُ يزيدون على ذلك: هؤلاء علماء سلطان! هؤلاء أصحاب بُشُوت! هؤلاء أصحاب كذا، هؤلاء أصحاب كذا، فهؤلاء هم أهلُ الأهواءِ كُثُرٌ، وعلماءُ السنة قَلَّةٌ، فيصبحون مقهورين ذليلين، لا يُسْمَعُ لهم، ونسأل الله سبحانه وتعالى الإعانةَ والتوفيق، نعم.

[المتن]: وَخَرَجَ الطبراني أيضا بإسنادٍ فيه ضعفٌ عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويلٍ في ذِكْرِ أَسْراطِ السَّاعةِ، قال: وَإِنَّ مِنْ أَسْراطِها أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ فِي الْقَبِيلَةِ أَذَلَّ مِنَ النَّقَدِ، وَالنَّقْدُ: هِيَ الْغَنَمُ الصَّغَارُ.

[الشرح]: وقيل: هم السُّفْلُ مِنَ الناس، السُّفْلُ مِنَ الناس الذين لا وَزْنَ لهم، فيصبحون أَذَلَّ منهم، قيل: إِنَّ النَّقْدَ هم السُّفْلُ مِنَ الناس الذين لا وزن لهم، ولا قيمة لهم، نعم.

[المتن]: وفي مسند الإمام أحمد عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَوْشِكُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى الرَّجُلَ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ عَلَى مَنْ قَرَأَهُ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ، فَأَعَادَهُ وَأَبْدَاهُ، فَأَحَلَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ وَنَزَلَ عِنْدَ مَنَازِلِهِ لَا يَحُورُ فِيكُمْ إِلَّا كَمَا يَحُورُ رَأْسُ الْحِمَارِ الْمَيْتِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ مَسْعُودٍ: وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَكُونُ الْمُؤْمِنُ فِيهِ أَذَلَّ مِنَ الْأُمَةِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ الْمُؤْمِنُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ لِعُرْبِيَّتِهِ بَيْنَ أَهْلِ الْفَسَادِ مِنْ أَهْلِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، فَكُلُّهُمْ يَكْرَهُهُ وَيُؤْذِيهِ لِمُخَالَفَةِ طَرِيقِهِ لَطَرِيقِهِمْ، وَمَقْصُودُهُ لِمَقْصُودِهِمْ، وَمُبَايَنَّتُهُ لَهُمْ فِي مَا هُمْ عَلَيْهِ.

[الشرح]: الله أكبر، هذه الآثار كلها عن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم يُبَيِّنُونَ فِيهَا مَا سَيَكُونُ عَلَيْهِ عِلْمَاءُ السَّنَةِ وَدَعَاةُ السَّنَةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَأَنَّهُمْ عِنْدَ النَّاسِ لَا وَزْنَ لَهُمْ، وَالنَّاسُ مَا بَيْنَ صَنَفَيْنِ (أَحَدِ صَنَفَيْنِ): إِمَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الشُّبُهَاتِ، فَهَذَا عِدَاوَتُهُ عِدَاوَةُ دِينٍ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ غَلَبَ عَلَيْهِ حُبُّ الدُّنْيَا وَالشَّهَوَاتِ؛ فَهَذَا عِدَاوَتُهُ لَهُمْ لِأَجْلِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ يَصْطَدِمُونَ بِهِمْ، فَيُبَيِّنُونَ لَهُمْ أَنَّ هَذَا خِلَافُ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْإِعْتِقَادِ، وَيُبَيِّنُونَ لَهُمْ أَنَّ هَذَا حَرَامٌ لَا يَجُوزُ لَهُمْ فَعْلُهُ، فَيَجْتَمِعُ الْجَمِيعُ عَلَى مُحَارَبَتِهِمْ، وَيَجْتَمِعُ الْجَمِيعُ عَلَى إِذْلَالِهِمْ، وَيَجْتَمِعُ الْجَمِيعُ عَلَى الطَّعْنِ فِيهِمْ، وَيَجْتَمِعُ الْجَمِيعُ عَلَى قَهْرِهِمْ، وَيَجْتَمِعُ الْجَمِيعُ عَلَى تَنْقِصِهِمْ، وَيَجْتَمِعُ الْجَمِيعُ عَلَى تَنْفِيرِ النَّاسِ مِنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصْبَحُونَ أَذِلَّةً لِقِلَّتِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ (بَيْنَ أَهْلِ الشَّهَوَاتِ وَبَيْنَ أَهْلِ الشُّبُهَاتِ) عَافَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ، نَعَمْ، وَالْمَقْصُودُ بِهَذَا أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَهُ وَيَعَادُونَهُ وَيَحَارِبُونَهُ؛ لِأَنَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ عَلَيْهِ، يُفْسِدُ عَلَى أَهْلِ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ بَبَيَانِ طَرِيقَتِهِمُ الْمُخَالَفَةَ لَطَرِيقَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَتْرُكُهُمُ النَّاسُ وَيَفْرُونَ، فَهُمْ خَوْفًا مِنْ ذَلِكَ يَقُومُونَ بِمُحَارَبَتِهِ، وَيُفْسِدُ عَلَى أَهْلِ الشَّهَوَاتِ لِأَنَّهُ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ انْحِرَافَهُمْ وَجُرَأَتَهُمْ عَلَى مُحَارِمِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، فَيَسْعَوْنَ لِمُحَارَبَتِهِ حَتَّى يُسْكِنُوهُ، فَكُلُّهُمْ يَجْتَمِعُونَ عَلَى مُحَارَبَتِهِ لِأَنَّهُ مُخَالَفٌ لَهُمْ فِي طَرِيقَتِهِمْ، وَلَمَّا كَانَ مُخَالَفًا لِمَا هُمْ عَلَيْهِ؛ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِهِ نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، نَعَمْ.

[المتن]: ولما مات داود الطائي؛ قال ابن السَّمَاكِ: إِنَّ دَاوُدَ نَظَرَ بِقَلْبِهِ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَغْشَى بَصْرُ قَلْبِهِ بَصَرَ الْعَيُونِ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا أَنْتُمْ إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ، وَكَأَنَّكُمْ لَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَا إِلَيْهِ يَنْظُرُ، فَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجَبُونَ، وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ، اسْتَوْحَشَ مِنْكُمْ أَنْ كَانَ حَيًّا وَسَطَ مَوْتِي.

[الشرح]: إِنَّهُ كَانَ حَيًّا وَسَطَ مَوْتِي، هَذَا آخِرُ الْوَصْفِ لَهُ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (لِدَاوُدَ الطَّائِي)، إِنَّهُ كَانَ حَيًّا، لِمَاذَا اسْتَوْحَشَ؟ لِأَنَّهُ كَانَ حَيًّا لَكِنْ وَسَطَ مَوْتِي، هَؤُلَاءِ مَوْتِي، يَنْظُرُونَ بِعَيْنِ الْبَصَرِ وَقَدْ عَمِيَتْ مِنْهُمْ عَيْنُ الْبَصِيرَةِ، نَعَمْ، هَكَذَا وَصَفُ ابْنِ السَّمَاكِ لِدَاوُدَ الطَّائِي رَحِمَهُ اللَّهُ، أَنَّهُ نَظَرَ بِعَيْنِ قَلْبِهِ، نَظَرَ إِلَى الْآخِرَةِ، إِلَى مَا سَيَقْدُمُ عَلَيْهِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

لَقَدْ نَظَرُوا قَوْمٌ بِعَيْنِ بَصِيرَةٍ ... إِلَيْهَا فَلَمْ تَغْرُرْهُمْ بِاخْتِيَالِهَا^(٣٣)

وَمَالَ إِلَيْهَا آخِرُونَ لِجَهْلِهِمْ ... فَلَمَّا اطْمَأَنَّنُوا أَرْشَقَتْهُمْ نِبَالُهَا

لِيلَهُوَا وَيَغْتَرُّوَا بِهَا مَا بَدَا لَهُمْ ... مَتَى تَبْلُغُ الْحُلُقُومُ تَصْرُمُ حِبَالُهَا

فنظر إلى هذه الدنيا الدنيَّة، فيا طالب الدنيا الدنية جاهداً ألا اطلب سواها؛ إنها لا وفاء لها، كم سيعيش فيها؟! سينتقل إلى الله جل وعلا، وإلى الدار الآخرة، فعلم أنه موقوفٌ مسؤولٌ فأعدَّ لذلك اليوم الجوابَ وأعرضَ عن الدنيا، اليومَ يَسْتَكْثِرُ عَلَيْكَ (بل يستنكر عليك) أقربُ المقرَّبين منك إذا كنت صفرَ اليدين من الدنيا، لا يرونك إنساناً إلا بكثرة الحطام بين يديك، وهذا من انتكاسة الفطر، ومن عمى البصيرة، وإن أبصروا بأعينهم لكن البصيرة عمياء، فداود رحمه الله نَظَرَ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ، وهؤلاء نظروا بعَيْنِ الْبَصَرِ، فأغشى بصرُ قلبه (الذي هو البصيرة) أغشى بَصَرَ عَيْنِيهِ، فأعرضَ عن الدنيا وزينتها، ونظر إلى الآخرة وما فيها، وأنتم (يقول لهم) كأنكم لا تنظرون إلى ما ينظر إليه، فأنتم ما تنظرون إلى الدنيا،

^{٣٣} _ قال الشيخ حفظه الله موضحاً: (الدنيا).

وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجَبُونَ، وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ، أَنْتُمْ تَعْجَبُونَ مِنْهُ فِي سَيْرِهِ وَطَرِيقَتِهِ، وَهُوَ يَعْجَبُ مِنْكُمْ لِقَلَّةِ عِلْمِكُمْ وَفَقْهِكُمْ وَضَعْفِ نُورِ بَصِيرَتِكُمْ، فَلِذَلِكَ إِنْ كُنْتُمْ تَتَعْجَبُونَ مِنْهُ فَهُوَ يَسْتَوْحِشُ مِنْكُمْ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ حَيًّا بَيْنَ أَمْوَاتٍ، بَيْنَ مَوْتَى لَا يَرِيدُونَ الْآخِرَةَ، وَإِنَّمَا يَرِيدُونَ الدُّنْيَا {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} (٣٤)، فَإِذَا كَانَ أَهْلُ زَمَانِكَ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ، وَلَا يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ إِلَّا بِهَذِهِ الصُّورَةِ وَبِهَذِهِ النُّظَرَةِ؛ فَإِلَى اللَّهِ الْمَشْتَكَى، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، نَعَمْ.

[المتن]: وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَكْرَهُهُ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ لَاسْتِنكَارَ حَالِهِ.

[الشرح]: وَهَذَا أَشَدُّ، وَهَذَا أَشَدُّ، مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالِاسْتِقَامَةِ عَلَى السَّنَةِ مَنْ يَكْرَهُهُ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ لَاسْتِنكَارِهِ حَالَهُ، يَسْتِنْكِرُونَ طَرِيقَتَهُ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، نَعَمْ.

[المتن]: سَمِعَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ امْرَأَتَهُ مَرَّةً تَقُولُ: أَرَا حَنَا اللَّهَ مِنْكَ، فَقَالَ: آمِينَ.

[الشرح]: وَهَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ الْغَرَبَةُ، هَذَا أَشَدُّ مَا يَكُونُ فِيهِ الْغَرَبَةُ، حِينَمَا يُنْكِرُ الرَّجُلَ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ يَنْكِرُونَ حَالَهُ، وَلَا يَجِدُ مِنْهُمْ عَلَى الْحَقِّ مَعِينًا، بَلْ يَجِدُ مِنْهُمْ الْمُسْتَقْبَلَ لَهُ، فَهَذَا الرَّجُلُ الْآنَ سَمِعَ زَوْجَتَهُ وَهُوَ خَلِيفَةُ (عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ)؛ سَمِعَهَا وَهِيَ تَقُولُ: أَرَا حَنَا اللَّهَ مِنْكَ، قَالَ: آمِينَ، فَاطْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْكَامِلَةِ، عَلَى السَّنَةِ بِمَعْنَاهَا الْكَامِلِ، الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ قَبْلَ قَلِيلٍ عَنْ فَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حِينَمَا كَانَ يُوَازِئُ نَفْسَهُ وَيَحَاسِبُهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَحَاسِبُهَا فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَيَجَاهِدُهَا فِي السَّنَةِ وَمَحَارَبَةِ الْبَدْعِ وَأَهْلِهَا، فَقَدْ كَانَ يَنْظُرُ أَهْلَ الْبَدْعِ، كَمَا حَصَلَ مِنْهُ مَعَ الْخَوَارِجِ، وَكَمَا حَصَلَ مِنْهُ مَعَ الْقَدَرِيَّةِ، وَكَتَابَهُ فِي مَنَازِلِهِ لِلْقَدَرِ مَعْرُوفٌ، وَكَتَابَتُهُ فِي رَدِّهِ عَلَى الْقَدَرِيَّةِ مَعْرُوفٌ فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ دَاسَةَ عَنْ أَبِي دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي رَدِّهِ عَلَى الْمُنْكَرِ لِلْقَدَرِ، فَقَدْ كَانَ مُجَاهِدًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبَدْعِ وَلِأَهْلِ الشَّهَوَاتِ مِنْ أَمْرَاءِ بَنِي

^{٣٤} _ النِّسَاءُ (٧٧).

أُمِيَّة، مِنْ أَهْلِهِ، مِنْ بَنِي عُمُومَتِهِ، فَقَدْ نَزَعَ مِنْهُمْ الْمَظَالِمَ وَرَدَّهَا إِلَى أَصْحَابِهَا وَتَحَرَّى الْحَلَالَ، وَكَانَ خَلِيفَةً لَكُنَّه كَأَحَادِ النَّاسِ لَا يَأْخُذُ إِلَّا مَا يَقُوتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَتَقَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَوْلَادِهِ، يَرِيدُونَ أَنْ يَعْيشُوا عَيْشَةَ الْمُلُوكِ، عَيْشَةَ الْبَدَخِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَعْيشَ عَيْشَةَ مُلُوكِ الْآخِرَةِ، فَلَا يَأْخُذُ إِلَّا مَا لَهُ وَمَا يَحِلُّ لَهُ أَخْذُهُ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَوَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى دَرَجَةٍ أَنْ زَوْجَتَهُ سَمِعَهَا ذَاتَ يَوْمٍ، مَا كَانَتْ كَأَنَّهَا تَرِيدُ (وَاللَّهُ أَعْلَمُ)، لَكِنَّهُ سَمِعَ وَهِيَ تَقُولُ: أَرَا حَنَا اللَّهُ مِنْكَ! فَقَالَ: آمِينَ، يَعْنِي: كَمَا أَنْتُمْ تَطْلُبُونَ الرَّاحَةَ مِنِّي؛ أَنَا أَرَى رَاحَتَكُمْ مِنِّي رَاحَةً لِي مِنْكُمْ، فَإِذَا وَصَلَ الْمَرْءُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ فَمَا بَقِيَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ! نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، وَهَذَا مَوْجُودٌ الْآنَ بَعْضُ النِّسَاءِ وَبَعْضُ الْأَوْلَادِ مَعَ آبَائِهِمْ مِمَّنْ قَلَّ تَوْفِيقُ اللَّهِ لَهُمْ: أَنْتَ مُتَعَصِّبٌ! أَنْتَ مُتَشَدِّدٌ! أَنْتَ مُتَحَجِّرٌ! أَنْتَ مِنَ الْعَصْرِ الْحَجَرِيِّ! أَنْتَ ضَيِّقَتَ عَلَيْنَا! أَنْتَ مَا تَفْعَلُ النَّاسَ! هَؤُلَاءِ الْمَشَايخُ هَذَا هُمْ يَطْلَعُونَ فِي التِّلْفَازِيُونِ، وَانْظُرْ إِلَى أَحْوَالِهِمْ! وَانْظُرْ إِلَى بَيْتِهِمْ! هَؤُلَاءِ...! وَأَنْتَ مَا عِنْدَكَ إِلَّا (هَذَا حَرَامٌ)! (هَذَا حَرَامٌ)! هَذَا مَوْجُودٌ، مَوْجُودٌ، وَيَعْرِفُهُ كَثِيرٌ مِنْكُمْ، لَكِنْ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا نَظَرُوا إِلَى الدُّنْيَا وَهُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْكَ وَأَعْرَفُ النَّاسِ بِكَ مَا يَرِيدُونَ إِلَّا الدُّنْيَا، مَا يَنْظُرُونَ إِلَى مَا أَنْتَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِهِمْ مَا يَخْطُرُ بِبَالِكَ، فَلِذَلِكَ اسْتَثْقَلُوكَ، فَإِذَا وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ، فَكَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: آمِينَ، أَرَا حَكَمَ اللَّهُ مِنِّي وَأَسْتَرِيحُ أَيْضًا أَنَا، هَذَا مَوْجُودٌ، مَوْجُودٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَسْرِ، وَالنَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: {وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ} (٣٥)، وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلَا: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} (٣٦)، وَيَقُولُ: {إِنْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ} (٣٧)، وَمَعَ ذَلِكَ أَمَرَ بِالصَّبْرِ {وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (٣٨)، هَذِهِ فِتْنَةٌ عَظِيمَةٌ، غَرَبَةُ صَاحِبِ السَّنَةِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَى غُرْبَتِهِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ فَهِيَ وَاللَّهُ

^{٣٥} _ الأنعام (١١٦).

^{٣٦} _ التغابن (١٥).

^{٣٧} _ التغابن (١٤).

^{٣٨} _ التغابن (١٤).

مصيبةٌ عظيمةٌ، لا تجد الأنصارَ لك حتّى في أهل بيتك، تجدُ المحارب لك مِنْ أهلك وزوجك وولدك، هذه مصيبةٌ عظيمةٌ، فعليك أنْ [تَدْرَع] ^(٣٩) بالصبر، وأنْ تدعو الله جل وعلا بالثبات، نسأل الله جل وعلا أنْ يثبتنا وإياكم على الحق والهدى، وأنْ يُنَوِّرَ بصائرنا، إنّه جواد كريم.

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمدٍ.

^{٣٩} _ هذا الظاهر، ويحتمل: (تَدْرَع).

[السؤال]

[١] هذه امرأة تقول: في سؤالها: إنها مرضت نهاية رمضان، واستمر بها المرض إلى بعد العيد

وتُوفيت، فهل هل عليها قضاء يقضى عنها ما أفطرت من رمضان؟

لا، لا قضاء عليها؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ} (٤٠)، أي: إذا انقضى السفر وصح المريض وزال المرض فَعِدَّةٌ، وهذه ماتت في مَرَضِهَا، ولا شيء عليها.

[٢] هذا يسأل عن لماذا العلماء تركوا أحاديث بعض الصحابة الذين أكثروا الرواية عن بني

إسرائيل؟ علما بأن النبي صلى الله عليه وسلم أذن في التحديث عن بني إسرائيل.

أخي الكريم لا تعارض في هذا وهذا، أو بين هذا وهذا، فالنبي صلى الله عليه وسلم أذن بالأخذ عن بني إسرائيل فيما لم يأت فيه تكذيب له في كتاب ربنا أو سنة رسولنا صلى الله عليه وسلم، فقال: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" وفي رواية: "لا تُصدّقوهم ولا تكذبوهم، فقد تكذبون بحق، وتصدقون بباطل"، والكلام هنا ليس في ترك روايته مطلقاً، فالصحابي إذا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح الإسناد إليه؛ انتهى الأمر، لا نردّه، ولكن إذا حدث بحديث، ولم ينسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو معروف بالأخذ عن أهل الكتاب؛ فهذا الذي يتوقف فيه؛ لأنه قد يكون ممّا أخذه عن أهل الكتاب، إذا حدث بحديث ولم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن للرأي فيه مجال وهو معروف بالأخذ عن بني إسرائيل؛ فهذا يتوقف فيه العلماء حتى يأتي من طريق أخرى ما يصرح بأنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمّا إذا كان كذلك (على الصورة الأولى)؛ فهذا لا يأخذون عنه، أمّا إذا كان الحديث ممّا لا مجال للرأي فيه ولم يكن الراوي له (الصحابي له) لم يكن معروفاً بالتحديث عن بني إسرائيل؛ فهذا

٤٠ _ البقرة (١٨٤).

يروونه مرفوعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنّ الأخبار الغيبية لا يمكن أن يُخبرَ عنها الصحابيُّ من عند نفسه، فعلم أنّه فقط قَصَرَ في نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لم يرفعه، ونحن نعلم أنّ هذا مما لا يمكن أن يكون للرأي فيه مجالٌ والصحابي أَوْعُ من أن يقول هذا من عند نفسه، فحينئذٍ ننظر: إذا لم يكن معروفاً بالأخذ عن أهل الكتاب فإنّه مرفوعٌ عندنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وحكمه حكم المرفوع.

[٣] وهذا يقول: شابٌ يريد الزواج، ويُلحُّ على الله عز وجل، يعني: في السؤال بأن يبسر له ذلك؟

لا إشكال في هذا، لا إشكال في هذا، ونسأل الله أن يبسر لك.

[٤] وهذا يقول: ما سببٌ وقوع كثيرٍ من الشباب في فتنة التكفير؟

أعظم سببٍ قلة العلم وضعف العقل، فقلة العلم تُورثهم عدم التورع من إطلاق الكفر على المسلمين والمسارة إلى ذلك، وهكذا قلة العقل تُورثهم الجرأة والطيش والسرعة في هذا، والتسرع في باب التكفير وعدم الأناة والعجلة، فسبب ذلك قلة العلم وضعف العقل، والثالث: ضعف الدين، وإلا لو علم علماً يقيناً أنّه مؤاخذٌ على هذا، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرَ، وَلَيْسَ كَمَا قَالَ، إِلَّا حَارَتْ عَلَيْهِ"، اللعنة (وهي اللعنة) تَلْعَنُ أَخَاكَ الْمُسْلِمَ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ فَإِنَّهَا تَرْتَفِعُ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا أُقْلِتَ عَلَيْهَا السَّمَاءُ نَظَرَتْ يَمِينًا أَوْ يَسَارًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاعًا رَجَعَتْ عَلَى صَاحِبِهَا، فَكَيْفَ بِتَكْفِيرِهِ لِعِبَادِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؟! فسبب ذلك ضعف العقل وقلة العلم وضعف الدين، وأيضا ضعف العلماء أحيانا في كثيرٍ من الفتن من التبيين والتكرار، ضعف العلماء عن القيام بالواجب، فإنّه إذا وُجدت فتنة التكفير وجب على العلماء أن يُعيّدوا ويزيدوا فيها ويكرروا الكلام ويحدّثوا الناس من ذلك، ما يكفي مرةً ولا مرتين، ولا بيان أو بيانان، تقول مرةً وتسكتُ سنةً! والناس تأكلُها الشبهات، وتحرقُها الشبهات من هؤلاء المضلين، يجب عليك أن تكررَ أيها العالم، وأن تُعيدَ وتزيدَ وتُبدي وتُرَدِّ الكلام مرةً ومرتين وثلاثاً، تُكثِرُ على

الناس مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يَعْلَمُوا، حَتَّى يَفْقَهُوا، حَتَّى يَحْذَرُوا، حَتَّى يَشِيعَ الْخَيْرُ بِكُلِّ وَجْهِ مِنْ الْوُجُوهِ كَمَا شَاعَ الْبَاطِلُ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

[٥] وهذا يسأل أيضا: ماذا علينا إذا رأينا كتابا من الكتب لسيد قطب في مسجد من المساجد؟

بَيِّنْ لِلْإِمَامِ إِنْ كُنْتَ تَطْمَعُ فِيهِ، وَإِلَّا فَارْفَعْهُ أَنْتَ، وَخُصُوصًا مِنَ الْكُتُبِ الْمُضِلَّةِ الَّتِي لِهَذَا الرَّجُلِ، وَأَكْثَرَ كُتُبِهِ فِيهَا الضَّلَالُ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَخُصُوصًا مِثْلَ: مُعَالِمِ فِي الطَّرِيقِ، وَأَنَا مِنَ الْقَدَمِ أَسْمِيهِ "مُعَالِمِ فِي طَرِيقِ التَّكْفِيرِ"، نَقِصُوا مِنْهُ كَلِمَةً، فَهُوَ مُكْفَرٌ لِلْمُسْلِمِينَ حَكَمًا وَمُحْكُومِينَ، وَمِنْ أَعْظَمِ الْجُرْمِ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ بَعْضِهِمْ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ زُبْدَةٌ وَخُلَاصَةٌ لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ!!! بَرَأَ اللَّهُ كِتَابَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، هَذِهِ الْكَذِبَةُ الَّتِي يُقَالُ عَنْهَا كَذِبَةُ صَلْعَاءٍ مُلْعَاءٍ، لَيْسَ لَهَا أَبٌ وَلَا أُمٌّ إِلَّا مَنْ أَشْرَبَ هَوَاهُ مِنْ هَؤُلَاءِ، فَجَاؤُوا بِهَا لِيَلْبَسُوا عَلَى النَّاسِ لِمَعْرِفَتِهِمْ بِمَحَبَّةِ النَّاسِ لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ.

وَلَعَلَّنَا نَكْتَفِي بِهَذَا الْقَدْرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ^(٤١).

٤١ _ مَا كَانَ مِنْ خَطَا فِي التَّفْرِيعِ فَلَمَّا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُورٍ وَتَقْصِيرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَخْرُجُ الصَّوَابَ، فَجَزَى اللَّهُ مَنْ فَرَعَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

الدرس الثالث مِنْ شرح كتاب:

”كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة“ للحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى

لصاحب الفضيلة المدرس في الجامعة الإسلامية محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى^(٤٢)

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وبَعْدُ: قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى:

[المتن]: وَمِنْ كَلَامِ أَحْمَدَ بْنِ عَاصِمِ الْأَنْطَاكِيِّ (وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الْعَارِفِينَ فِي زَمَانِ أَبِي سَلِيمَانَ الدَّارَانِيِّ): إِنِّي أَدْرَكْتُ مِنَ الْأَزْمَنَةِ زَمَانًا عَادَ فِيهِ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَعَادَ وَصْفُ الْحَقِّ فِيهِ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، إِنَّ تَرْغَبَ فِيهِ إِلَى عَالَمٍ وَجَدْتَهُ مَفْتُونًا بِحُبِّ الدُّنْيَا، يَحِبُّ التَّعْظِيمَ وَالرَّئَاسَةَ، وَإِنْ تَرْغَبَ فِيهِ إِلَى عَابِدٍ وَجَدْتَهُ جَاهِلًا فِي عِبَادَتِهِ مَخْدُوعًا، صَرِيحَ عَدُوِّهِ إِبْلِيسَ، قَدْ صَعِدَ بِهِ إِلَى أَعْلَى دَرَجَةِ الْعِبَادَةِ وَهُوَ جَاهِلٌ بِأَدْنَاهَا؛ فَكَيْفَ لَهُ بِأَعْلَاهَا؟! وَسَائِرُ ذَلِكَ مِنَ الرَّعَاعِ قَبِيحٌ أَعْوَجُ وَذَنَابٌ مُخْتَلَسَةٌ وَسِبَاحٌ ضَارِيَةٌ، وَثَعَالِبٌ صَائِلَةٌ، هَذَا وَصَفُ عَيُونِ أَهْلِ زَمَانِكَ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ وَالْقُرْآنِ وَدُعَاةِ الْحِكْمَةِ، خَرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي الْحِلْيَةِ، فَهَذَا وَصْفُ أَهْلِ زَمَانِهِ! فَكَيْفَ بِمَا حَدَّثَ بَعْدَهُ مِنَ الْعِظَائِمِ وَالِدَوَاهِي الَّتِي لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِهِ وَلَمْ تَدْرُ فِي خِيَالِهِ؟!

[الشرح]: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم

الدِّينِ، أما بعد:

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ (كَمَا سَمِعْتُمْ) مِنْ هَذَا الْعَابِدِ الزَّاهِدِ، يَصِفُ زَمَانَهُ (فِي الْقَرْنِ الثَّانِي)! فَكَيْفَ بِنَا نَحْنُ الْيَوْمَ؟! يَقُولُ: أَدْرَكَ مِنَ الْأَزْمَنَةِ زَمَانًا عَادَ الْإِسْلَامُ فِيهِ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ! وَعَادَ وَصْفُ الْحَقِّ فِيهِ غَرِيبًا! هَذَا وَجْهُ الْغُرْبَةِ، هَذَا بَيَانُ الْغُرْبَةِ، كَيْفَ عَادَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا؟ لِأَنَّ الْحَقَّ قَدْ أَصْبَحَ فِيهِ فِي غَايَةِ الْغُرْبَةِ، كَمَا

٤٢ _ أَلْفَاهُ فِي مَسْجِدِ عَتَبَةَ بْنِ غَزْوَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْأَمَامِ، شَهْرُ شَوَّالٍ، عَامُ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَسَبْعَةٍ وَثَلَاثِينَ مِنْ هِجْرَةِ الْمُصْطَفَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

كان هذا الحق (وهو الإسلام) في أول مجيء النبي صلى الله عليه وسلم به غريبا بين الناس، وذلك لكثرة الجهل وقلة العلم، وكثرة الفسق، وقلة الخير، وكثرة البدع، وقلة المعرفة بالسنة وهكذا، ثم يزيد وصفا له؛ يقول: إذا نظرت إلى عالمٍ وجدته عالمًا لكن عالمًا مفتونًا بحب الدنيا! إذا نظرت فيه إلى عالم؛ لكن عالم إذا نظرت إليه وجدته مفتونًا بحب الدنيا! وهذا صحيح، وفي كل زمان ومكان إذا افتتن العالم بحب الدنيا؛ ذهب من النفوس هيبته ومكانته، وقلت في أعين الناس منزلته.

يَا جَاعِلَ الْعِلْمِ لَهُ بَازِيَا ... يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ

احْتَلَّتْ لِلدُّنْيَا وَلَدَاتُهَا ... بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالْدِّينِ

فَصِرْتَ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا ... كُنْتَ دَوَاءً لِلْمَجَانِينِ

تُزْهَدُ النَّاسَ فِيهَا وَأَنْتَ أَرْغَبُ النَّاسِ فِيهَا !!!

فَصِرْتَ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا ... كُنْتَ دَوَاءً لِلْمَجَانِينِ.

إِنْ قُلْتَ أَكْرِهْتُ فَمَاذَا كَذَا ... زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطِّينِ

هَيْهَاتَ مَا أَبْعَدَ مَا تُكَابِدُ ... لَنْ تُصْلِحَ النَّاسَ وَأَنْتَ فَاسِدٌ

فإذا كان العالم أو من يتلبس لبؤس العلماء يدعو إلى التزهّد في الدنيا والتقليل منها والحرص على الحلال منها والبعد عن الحرام والمشتبهات، ولكن إذا نظرت إلى حاله وجدته غارقا فيها، من أكثر الناس غرقا فيها؛ كيف سيأخذ الناس بكلامه؟! الناس لا تأخذ بكلام الإنسان إلا إذا رأوا فعله يطابق قوله، أما إذا خالف القول الفعل؛ قل الاقتداء به؛ لأنه (كما سبق وقررنا) أن الاقتداء إنما يكون بأهل الاهتداء،

الاقتداء إنما يكون بأهل الاهتداء {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ} ^(٤٣)، فإذا نظَرُوا إليك وأفعالك تخالف الأقوال؛ لم يحصل الاقتداء بك، فالعالم إذا فُتِنَ بالدنيا فقد حَلَّ البلاء، ولا يستمعُ الناسُ إليه، وتَنَقُّصُ منزلته عند الناس، وهكذا إذا كان يحب التعظيم والرياسة، وهذه شهوة خفية، لكنها تظهر بعلاماتها، ويعرفها العارفون، وهذه مصيبة ثانية، إذا كان العالم يحب التعظيم والتَّروُّس؛ هذه مصيبة، يحب الإجلال والتعظيم والتَّروُّس والظهور على الناس والتَّكَبُّرَ عليهم، لا يسلك مسلك النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مسلك التواضع، فإنَّ العبد كلما زاد معرفةً بالله ازداد خوفاً منه، وخشيةً له، وتواضعاً له {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} ^(٤٤)، {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ^(٤٥)، هم الذين يخشونه حقَّ خشيته، ومن خشي الله حقَّ خشيته ممَّن أَوْرَثَهُ اللهُ العلمَ لا يسعى إلى التَّروُّس؛ لأنهم يعلمون أنَّ مَنْ تعلَّم العلمَ لا يتعلَّمه إلا ليماري به السفهاء، أو يجادل به العلماء أو يصرف به وجوه العامة إليه أو ليتصدَّرَ في المجالس؛ فالنتيجة النار النار، فالعالمُ علَّمهُ إنما يزيده تواضعاً وخوفاً من الله جل وعلا، وبُعْدًا عن الرياسات والتعظيم.

وَمَا لِي وَلِلدُّنْيَا وَلَيْسَتْ بِبُغْيَتِي ... وَلَا مُنْتَهَى قَصْدِي وَلَسْتُ أَنَا لَهَا

وَلَسْتُ بِمَيَّالٍ إِلَيْهَا وَلَا إِلَى ... رِئَاسَاتِهَا نُنَّا وَقُبْحًا لِحَالِهَا

هِيَ الدَّارُ دَارُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْعَنَاءِ ... سَرِيعُ تَقْضِيَّتِهَا قَرِيبُ زَوَالِهَا

فالذي يَعْقِلُ لا يحرص على الزائل في مقابل الدائم عند الله جل وعلا، فأهل العلم الحقيقيون إنما يُفيدُهم العلمُ البعدَ عن ذلك، وعن الرغبة فيه، فإذا وجدتَ العالمَ مفتونا بحب الدنيا؛ فهذه والله

^{٤٣} _ الأنعام (٩٠).

^{٤٤} _ الزمر (٩).

^{٤٥} _ فاطر (٢٨).

العظيمة، ماذا أبقي لأهل الدنيا ولأهل الحسب والجاه فيها، إذا كان علمه لم يُورثه التواضع؛ ماذا بقي لأهل الدنيا وفساق أهل الدنيا وقد زاحمهم فيها؟! ويقول رحمه الله: "وإن ترغب فيه إلى عابدٍ وجدته جاهلاً"، فالعابد إنما يعبد الله على بصيرة كما قال جل وعلا في الآية السابقة: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (٤٦)، فالعابد إنما تصحُّ عبادته إذا كانت على العلم، فإذا كان جاهلاً مخدوعاً وجدته في عبادته يُفسد أكثر ممَّا يُصلح، ربما غره إبليس، ودخل عليه في هذا الباب، وأبلاه بالعجب بنفسه في عبادته والفخر بذلك، وهذا من أعظم ما يُفسد عليه، ولذلك يقول المصنف رحمه الله: "قد صعد به إبليس إلى أعلى درجات العبادة، وهو جاهل بأدناها! فكيف له بأعلاها؟!"" يظن أنه ترقى فيها، وهو في الحقيقة ترقى في الجهل، وترقى في الفساد، ما يُفسد أكثر ممَّا يصلح، ولكن لتزيين إبليس له يظن أنه قد وصل إلى الأعلى وهو في الحقيقة لم يُتقن الأدنى، وليعلم أن العبادة إنما تكون عبادة صحيحة مقبولة عند الله جل وعلا إذا اجتمع فيها شرطان: الإخلاص لله جل وعلا، والمتابعة لرسوله صلى الله عليه وسلم، فمن كان جاهلاً كيف يعرف أنه قد أصاب سنة الرسول صلى الله عليه وسلم؟! لا شك أن هذا من الفتن التي يُفتن بها كثير من الناس، يظن أن العبادة أمرها سهل، والعبادة لا تكون (كما قلنا) مقبولة حتى يعلم، كما قال جل وعلا: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} (٤٧)، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، فلا بد أن يكون عالماً بما يأتي، عالماً بما يترك، وإلا وقع في الخطأ وهو لا يعلم أنه خطأ، فإذا كان هذا حال العالم والعابد ماذا بقي؟! يقول رحمه الله: "وسائر ذلك"؛ يعني: باقي الناس "من الرعاع قبيح أعوج"؛ والرَّعَاعُ: هم عامة الناس وسوقتهم، "قبيح أعوج، وذئاب مختلصة، وذئاب ضارية، وثعالب صائلة"؛ الثعالب تتلون، والسباع لا ترحم، إذا وجد فرصة هجم، نسأل الله العافية والسلامة، والأعوج الأهوَجُ هذا لا يقبل التقويم

^{٤٦} _ الزمر (٩).

^{٤٧} _ محمد (١٩).

ولا التعديل، فهذا بقية حال أهل الزمان الذي أدركه هذا الرجل! فكيف لو كان في زماننا هذا؟! ما أدري ما يقول؟ فإذا كان هذا (كما قال ابن رجب رحمه الله) وصف حال الرجل لحال أهل زمانه؛ فكيف بحال مَنْ جاء بعدهم؟! في عصر ابن رجب، في القرن الثامن، والتاسع، فيما بَعْدُ، إلى يومنا هذا، فكيف لو رأى ابن رجب؟! فكيف لو رأى هذا العابد الزاهد حال أهل هذا الزمان وتنافس الناس في الدنيا وقلة الأقبال على الأعمال الأخروية؟! وهكذا ذهاب العلماء (علماء السنة) وقلة كثرة علماء البدعة؛ كيف لو رآهم ابن عاصم الأنطاكي رحمه الله تعالى؟! كيف لو رآهم أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى؟! ما عسى أَنْ يقولوا في مثل زماننا؟! نحن نسأل الله جل وعلا أَنْ يَمُنَّ علينا جميعاً بالثبات على الحق، وألا يفتننا بالدنيا ولا بحبها، وأن يرزقنا وإياكم جميعاً العلم النافع والعمل الصالح إنه جواد، نعم.

[المتن]: وَخَرَجَ الطبراني مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمَتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فساد أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ.

[الشرح]: وهذا الحديث (حديث أبي هريرة) في الطبراني، وهو في الكبير عند الإطلاق، و(الكبير): غير موجود قِسْمُ أحاديث أبي هريرة فيه، وإنما وُجِدَ إسناده في المصادر الأخرى (الواسطة بيننا وبين الطبراني)، فأبو نعيم في (الحلية) دَخَلَ مِنْ طريق الطبراني رحمه الله تعالى إلى هذا الحديث، فأخرجه في الحلية رحمه الله مِنْ طريق الطبراني في (الكبير)، وهو أيضاً عند الطبراني في الأوسط، وهو حديث ضعيف، وأشدُّ ضعفاً منه ما يُروى بلفظ: "المتمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد"؛ فيروى بهذا اللفظ، وهذا مِنْ حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، وهو عند ابن عدي في الكامل، الكامل في الضعفاء، في ضعفاء الرجال، وعند ابن بشران في الأمالي، أمالي ابن بشران المعروف، مِنْ حديث ابن عباس، وعِلَّتُهُ الحسنُ بْنُ قَتَيْبَةَ، متروكُ الحديث، قال فيه الذهبي في الميزان: "هالك"، فالحديث ضعيفٌ جداً، فالحديث ما بين ضعيفٍ وما بين ضعيفٍ جداً، فالروى بلفظ: "المتمسك بسنتي عند فساد

أمتي" مِنْ حديث أبي هريرة؛ هذا حديث ضعيف بهذا اللفظ: "له أجر شهيد" واحدٌ، والمروي مِنْ حديث ابن عباس: "له أجر مائة شهيد"؛ هذا ضعيفٌ جدا، فحديث أبي هريرة عند الطبراني ضعيفٌ، وحديث ابن عباس عند ابن عدي في الكامل وابن بشران في الأمالي بلفظ: "فله أجر مائة شهيد"؛ هذا ضعيفٌ جدا، فَعَلَّتهُ الحسنُ بن قتيبة، قال فيه الدارقطني: متروكٌ، وقال فيه الذهبي بعدما نَقَلَ فيه كلامَ أئمةِ الجرح؛ قال فيه: "هالك"، لَخَصَ أقوالَهُم جميعا بأنَّه أيش؟ "هالك"؛ يعني: لا يَتَقَوَّى، لا يتقوى، هذا معنى هالك، يعني: زاهِبُ الحديث، وهذا أنتم تسمعونونه دائما عن كثيرٍ مِنَ الخطباءِ والوعَّاظِ خاصةً: "التمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر مائة شهيد"؛ هذا ضعيفٌ جدا، مَرَوِيٌّ عن النبي صلى الله عليه وسلم مِنْ حديث مَنْ؟ ابن عباس، وهو ضعيفٌ جدا، عَلَّتهُ مَنْ؟ الحسنُ بن قتيبة، هذا هو الدِّينُ، يأبى الله علينا أَنْ نَسْكُتَ عن مثل هذه الأحاديث الضعاف (شديدة الضعف) تُنْسَبُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أغنى الله الشرع المطهر عنها، وقد ثبت في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى شيءٌ كثيرٌ غيرُ هذا، فَلَسْنَا بحاجةٍ إلى هذه الأحاديث الواهية، وأما حديث أبي هريرة؛ فهو حديثٌ ضعيفٌ، نعم.

[المتن]: وَخَرَجَ أَبُو الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِي بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ بُعِثَ الْيَوْمَ مَا عَرَفَ مِنَ الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ الصَّلَاةُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَإِنْ عَاشَ عَلَى هَذِهِ النُّكْرَاتِ فَرَأَى صَاحِبَ بَدْعَةٍ يَدْعُو إِلَى بَدْعَتِهِ وَصَاحِبَ دُنْيَا يَدْعُو إِلَى دُنْيَاهُ فَعَصَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَلْبُهُ يَحِنُّ إِلَى ذَلِكَ السَّلَفِ الصَّالِحِ فَيَتَّبِعُ آثَارَهُمْ وَيَسْتَنْتُ بِسُنَّتِهِمْ وَيَتَّبِعُ سَبِيلَهُمْ كَانَ لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ.

[الشرح]: نعم، هذا الذي (ذَكَرَهُ المصنف عن الحسن) أَيْضًا رُوِيَ مِثْلُهُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: لَوْ بُعِثَ فِيكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَرَفَ مِنْكُمْ شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ الصَّلَاةُ، وَهَذَا فِي الْقَرْنِ الْأَوَّلِ!!! فَكَيْفَ بَنَّا نَحْنُ الْيَوْمَ؟! وَالْحَسَنُ كَذَلِكَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ؛ يَعْنِي: مِنَ الصَّحَابَةِ، بُعِثَ الْيَوْمَ مَا عَرَفَ مِنَ الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ الصَّلَاةُ؛ وَعَلَى فَرْقٍ فِيهَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ رَضِيَ اللَّهُ

تعالى عنهم وأرضاهم، فَرَّقَ بين صلاتنا وصلاتهم في الخشوع والإطاعة والإتمام لها، فنحن ننقروها نقرا، ونستعجل فيها كثيرا، ونسأل الله جل وعلا أن يعفو، وأن يتسامح عنا، فكيف لو رأى هذه المنكرات التي نحن اليوم فيها؟! صاحبُ البدعة يدعو إلى بدعته، صاحب الدنيا يدعو إلى دنياه، كيف لو رأوا ذلك؟! ما عسى أن يقولوا؟! لكن نقول كما قال المصنف، فنسأل الله أن يعصمنا وإياكم، وأن يجعل قلوبنا وإياكم جميعاً حانيةً إلى ما كان عليه السلف الصالح، نتبع آثارهم ونستن بسنتهم ونتبع سبيلهم، نسأل الله جل وعلا ذلك، فَإِنَّ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى ذَلِكَ فَلَهُ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ: أجرُ الجهاد، وأجرُ الاستقامة والاتباع، فَالنَّفْسُ هَذِهِ إِنْ تَتْرَكُهَا أَهْلَكَتْكَ، وَإِنْ أَنْتَ جَاهَدْتَهَا أَسْعَدَتْهَا وَأَنْجَيْتَهَا، نسأل الله جل وعلا أن يعيننا وإياكم على أنفسنا، نعم.

[المتن]: وَرَوَى الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ ذَكَرَ الْغَنِيَّ الْمُتَرَفَّ الَّذِي لَهُ سُلْطَانٌ يَأْخُذُ الْمَالَ وَيَدَّعِي أَنَّهُ لَا عِقَابَ فِيهِ، وَذَكَرَ الْمُبْتَدِعَ الضَّالَّ الَّذِي خَرَجَ بِسَيْفِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَتَأَوَّلَ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ فِي الْكُفَّارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ قَالَ: سَتُنَكِّمُ (والله الذي لا إله إلا هو) بينهما؛ بين الغالي والجافي، والمُتَرَفِّ والجاهل، فَاصْبِرُوا عَلَيْهَا؛ فَإِنَّ أَهْلَ السَّنَةِ كَانُوا أَقَلَّ النَّاسِ الَّذِينَ لَمْ يَأْخُذُوا مِنْ أَهْلِ الْإِتْرَافِ إِتْرَافَهُمْ، وَلَا مَعَ أَهْلِ الْبِدْعِ أَهْوَاءَهُمْ، وَصَبِرُوا عَلَى سُنَّتِهِمْ حَتَّى أَتَوْا رَبَّهُمْ، فَكَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَكُونُوا^(٤٨).

ثم قال: والله لو أن رجلا أدرك هذه النُّكَرَاتِ؛ يقول هذا: "هَلُمَّ إِلَيَّ"، ويقول هذا: "هَلُمَّ إِلَيَّ"، فيقول: لَا أُرِيدُ إِلَّا سُنَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَطْلُبُهَا وَيَسْأَلُ عَنْهَا، إِنَّ هَذَا لَيُعَرِّضُ لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ، فَكَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَكُونُوا.

[الشرح]: نعم، يقول رحمه الله: "رَوَى الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ عَنِ الْحَسَنِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ؛" يعني: البصري، أَنَّهُ ذَكَرَ الْغَنِيَّ الْمُتَرَفَّ؛ هَذَا صَاحِبُ الدُّنْيَا، الَّذِي لَهُ سُلْطَانٌ، غَنِيٌّ مُتَرَفٌّ لَهُ سُلْطَانٌ، يَأْخُذُ الْمَالَ

^{٤٨} _ قال الشيخ حفظه الله هنا: "الله أكبر".

بالقوة على الناس، ويدَّعي أنَّه لا عقاب فيه! لا يخافُ اللهَ جل وعلا في عبادِه، يأخذُ المالَ مِنْ أيِّ وجهٍ كان، فإذا ذُكِرَ زَعَمَ أنَّه لا عقاب فيه! حُبُّ الدنيا يُسَكِّرُ الإنسانَ حتى لا يدري مِنْ أينَ أخذَ هذا الدينار والدرهم؛ أَمِنْ حلالٍ أَمْ مِنْ حرامٍ؟ أَيَحِلُّ له أخذهُ أو لا يَحِلُّ له أخذهُ؟! فحُبُّه للدنيا أعماه عن التَّورُعِ في المكاسب، فيأخذُه بالسلطان وقوة السُّلطان، ويدَّعي أنَّه لا عقاب عليه! والموعِد عند الله جل وعلا، يَدْخُلُ فقراءَ هذه الأمة قبل أغنيائهم الجنةَ يَوْمَ القيامةِ بِنِصْفِ يومٍ، وما هو ذلك اليوم؟! نعم، خمسين ألف سنة، فقراءَ الأمة يدخلون قبل الأغنياء الجنةَ بهذا المقدار؛ وذلك لأنَّ الفقير مُتَخَفِّفٌ، لا شيءٌ عليه مِنْ السَّؤال في هذا الجانب، فيَقِلُّ حسابُه.

فَطُوبَى لِنَفْسٍ حَوَزَتْ وَتَخَفَّفَتْ ... فَتَنْجُو كَفَافًا، لَّا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا

فالمُتَّقِلُونَ هم المُكثِرُونَ يَوْمَ القيامةِ، المُتَّقِلُونَ مِنَ الدنيا متخفِّفُونَ مِنَ الحسابِ يَوْمَ القيامةِ، أمَّا هؤلاء المكثِّرون فإنهم سيُسألون، لَن تَزُولَ قَدَمَا عبد يَوْمَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربع، ومنها: عن ماله؛ مِنْ أينَ اكتسبه؟ وفيما أنفقَه؟ فلما استكثر العبدُ مِنَ المالِ في الدنيا فإنَّه يَسْتَكْثِرُ مِنَ السَّؤالِ عنه في الآخرة، ولهذا يقولُ شيخُ شيوخنا (كما سَمِعْتُمْ) في الهائية الزُّهديَّة:

فَطُوبَى لِنَفْسٍ^(٤٩) حَوَزَتْ وَتَخَفَّفَتْ ... فَتَنْجُو كَفَافًا لَّا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا

فكلما استكثر العبدُ مِنَ حطام الدنيا؛ إنما يستكثر في الحقيقة مِنَ السَّؤالِ عنه والإيقاف بسببه يَوْمَ القيامةِ، وسيُسألُ مِنْ أينَ أخذه؟ وفيما أنفقَه؟ هذا ما يتعلَّقُ بهذا الذي لا يَشْبَعُ مِنَ حطام الدنيا، والمبتدعُ الضالُّ الذي خرج بسيفه على المسلمين وتأوَّلَ ما أنزَلَهُ الله في الكفار على المسلمين؛ يعني بذلك: الخوارج، فالخوارجُ مبتدعةٌ خرجوا على المسلمين بالسيف، وما خرجوا على المسلمين إلا بعد ما رأوا كُفْرَهُمْ؛ وذلك لأنَّهم عَمَدُوا إلى ما أنزَلَهُ الله مِنَ الآياتِ القرآنيةِ في الكفار؛ فَتَزَلُّوا وتَأَوَّلُوا على المسلمين،

^{٤٩} _ قال الشيخ هنا موضحاً: " يعني الجنة ".

جعلوهم أيش؟ كفارًا، فلمَّا تأوَّلُوا الآيات التي أُنزِلَتْ في الكفار على أهل الإسلام، فأروهم كفارًا كالكفار الأصليين؛ استحلُّوا سَلَّ السَّيْفِ عليهم، فاستحلُّوا دماءهم، فأراد رحمه الله أن يقول لنا مِنْ هذا الكلام المبسوط: إِنَّ الإسلام الحقيقي وَسَطٌ بين أهل الشبهات وأهل الشهوات، فأهلُ فتنة الشبهات هم أهل البدع، وأهلُ فتنة الشهوات هم أهل الدنيا، أمَّا والله ما الفقرَ أخشى عليكم ولكن أخشى أن تُبْسَطَ عليكم الدنيا، فدينُ الله جلَّ وعلا وَسَطٌ بين هؤلاء وبين هؤلاء، أهلُ السُّنَّةِ وَسَطٌ بين أهل فتنة الدنيا وأهل الشهوات وبين أهل البدع وفتنة الشبهات، هؤلاء هم الغرباء، فلا أهل الدنيا يريدونهم أو يحبُّونهم، ولا أهل الشبهات يريدونهم أو يحبُّونهم، فأهل الشبهات يريدونهم كفارًا، وأهل الشهوات لا يريدونهم شيئًا، ويحتقرونهم لِبُعْدِهِم عنهم ولإعراضهم عن الدنيا، فهم وَسَطٌ بين أهل الشبهات وأهل الشهوات، وقد مرَّ الكلامُ على فتنة الشبهات والشهوات، فَهَمْ مُتَّبِعُونَ للسُّنَّةِ، مخالفون لأهل البدع؛ ففارقوا أهل الشبهات، ومعرضون عن الدنيا ومُقبِلُونَ على ما يُصْلِحُ أمرهم في الآخرة؛ فقد فارقوا أهل الدنيا والشهوات؛ لأنَّهم يعرفون أنَّ الدنيا متاعٌ وظلٌّ زائلٌ {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} ^(٥٠)، فقد أعرضوا عنها لأنَّها تُشْغِلُهُم عن الآخرة، وتركوا الشُّبُهَةَ وابتعدوا عنها؛ لأنَّها تَحْرِفُهُم عن الصراطِ السَّوِيِّ الْمُوصِلِ إلى الآخرة، فهم وَسَطٌ بين هؤلاء وهؤلاء، نعم.

[المتن]: وَمِنْ هذا المعنى ما رواه أبو نعيم وغيره عن كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّهُ قَالَ: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمَتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَّجٌ رَعَا أَتْبَاعَ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجِئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ، ثُمَّ ذَكَرَ كَلَامًا فِي فَضْلِ الْعِلْمِ، إِلَى أَنْ قَالَ: هَاهُ إِنَّ هَاهُنَا (وَأشار إلى صدره) عِلْمًا، لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً، بَلْ أَصَبْتُه ^(٥١) لَقَنَّا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ يَسْتَعْمِلُ آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا، يَسْتَظْهَرُ بِحُجَجِ اللَّهِ عَلَى كِتَابِهِ، وَبِنِعْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، أَوْ مُنْقَادًا لِأَهْلِ الْحَقِّ لَا بِصِيرَةٍ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ، يَنْقَدِحُ

^{٥٠} _ النساء (٧٧).

^{٥١} _ قال الشيخ حفظه الله هنا: "أَصَبْتُه؛ يعني: وَجَدْتُهُ، لكن مَنْ هو الذي وَجَدْتُ؟ وَجَدْتُ لِقْنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، نعم، نعم."

الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، لَا ذَا وَلَا ذَا، أَوْ مَنْهُومًا بِالذَّاتِ، سَلِسَ الانْقِيَادِ لِلشَّهَوَاتِ أَوْ مُعَرِّمًا بِجَمْعِ الْمَالِ وَالْإِدْخَارِ، وَلَيْسَ مِنْ دُعَاةِ الدِّينِ، أَقْرَبُ شَبْهًا بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّارِحَةُ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ، اللَّهُمَّ بَلِي لَمْ تَخُلْ الْأَرْضُ عَنْ قَائِمِ اللَّهِ بِحُجَّةٍ لَكِي لَا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ، أُولَئِكَ هُمُ الْأَقْلُونَ عَدَدًا وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا، بِهِمْ يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْ حُجَجِهِ حَتَّى يُوَدُّوَهَا إِلَى نَظَائِهِمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوَعَ مِنْهُ الْمُتَرْفُونَ، وَأَنَسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالنَّظَرِ الْأَعْلَى، أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ وَدُعَاتُهُ إِلَى دِينِهِ، هَاهُ هَاهُ؛ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ، فَقَسَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ^(٥٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَمَلَةَ الْعِلْمِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: قِسْمٌ هُمْ أَهْلُ الشُّبُهَاتِ، وَهُمْ مِنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ، بَلْ يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ، فَتَأْخُذُهُ الشُّبْهَةُ، فَيَقَعُ فِي الْحَيْرَةِ وَالشُّكُوكِ، وَيَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْبِدْعِ وَالضَّلَالَاتِ، وَقِسْمٌ هُمْ أَهْلُ الشَّهَوَاتِ، وَجَعَلَهُمْ نَوْعَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِنَفْسِ الْعِلْمِ، فَيَجْعَلُ الْعِلْمَ آلَةً لِكَسْبِ الدُّنْيَا، وَالثَّانِي: مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ الْعِلْمِ، وَهَذَا النَّوعُ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا: مَنْ هَمُّهُ مِنَ الدُّنْيَا لِدَائِهَا وَشَهَوَاتِهَا، فَهُوَ مَنْهُومٌ بِذَلِكَ، سَرِيعُ الانْقِيَادِ إِلَيْهِ، وَالثَّانِي: مَنْ هَمُّهُ جَمْعُ الدُّنْيَا وَاسْتِنَازُهَا وَإِدْخَارُهَا، وَكُلُّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنْ دُعَاةِ الدِّينِ، وَإِنَّمَا هُمْ كَالْأَنْعَامِ، وَلِهَذَا شَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ حُمِّلَ التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلْهَا بِالْحِمَارِ الَّذِي يَحْمِلُ أَسْفَارًا، وَشَبَّهَ عَالِمَ السَّوِّ الَّذِي انْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَأَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ بِالْكَلْبِ، وَالْكَلْبُ وَالْحِمَارُ أَخْسَرُ الْأَنْعَامِ وَأَضْلَى سَبِيلًا، الْقِسْمُ الثَّلَاثُ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ: هُمْ أَهْلُهُ وَحَمَلَتُهُ وَوَعَاتُهُ وَالْقَائِمُونَ بِحُجَجِ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ، وَذَكَرَ أَنَّهُمُ الْأَقْلُونَ عَدَدًا الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا، بِشَارَةٍ إِلَى قِلَّةِ هَذَا الْقِسْمِ وَعِزَّتِهِ فِي حَمَلَةِ الْعِلْمِ وَغُرْبَتِهِ بَيْنَهُمْ.

[الشرح]: نعم، ما أعظمَ هذا الكلامَ وأحسنَه، وهذه وصيةُ عليٍّ رضي الله تعالى عنه وأرضاهُ لِلْكَمِيلِ بْنِ زِيَادٍ مَعْرُوفَةٌ، هَذَا الْكَلَامُ هُوَ وَصِيَّةُ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ، وَقَدْ شَرَحَهَا ابْنُ الْقَيْمِ شَرْحًا

^{٥٢} قال الشيخ حفظه الله هنا: "هذه هي الخلاصة من النص السابق كله، نعم"

عظيماً رحمه الله تعالى، وهنا ابنُ رجب استفاد كثيراً من كلام ابن القيم (شيخه) رحمه الله تعالى، ورحمهم جميعاً، فأولاً: يجب علينا جميعاً أن نَعْلَمَ أن دينَ الله جل وعلا وسُنَّةَ نبيِّه صلى الله عليه وسلم هي وسط بين الغالي والجافي، فهي وسط بين المترف والجاهل، والمبتدع والمُتَّبِعِ (المتبع للشهوات والمتبع للشبهات)، فدين الله وسط بين هذا وهذا، ويجب على أهل السنة المُتَّبِعِينَ أن يصبروا على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يُجَارُوا أهل التَّرفِ، فيَغْرَقُوا في حبِّ الدنيا وبحرِها حتى يَغْفُلُوا عن الآخرة، ولا يقتربوا من أهل البدع والأهواء؛ فتَجَرَّفَهُمْ حتَّى ينحرفوا عن سبيل الوصول إلى الآخرة، وإنَّما عليهم أن يكونوا سائرين على ما صَحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيفوزوا بهذا الخير العظيم، يقول علي رضي الله عنه في وصيته: "الناس ثلاثة: عالمٌ رباني"؛ هذا واحدٌ، ومتعلِّمٌ على سبيل نجاةٍ، طالبٌ علمٍ، يطلبُ النجاةَ، هذا على سبيل النجاة.

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ... إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

وأعظم سبيلٍ لِلنَّجَاةِ هو العِلْمُ "مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"، "العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يُورثوا دينارا ولا درهما"؛ لو ورث النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا شيئا لكان لهم أن يحتجوا، "نحن معاشر الأنبياء لا نُورث، ما تركناه صدقة"، مات عليه الصلاة والسلام ودرعُه مرهونةٌ عند اليهودي في آصعٍ من شعيرٍ اقْتَرَضَهَا صلى الله عليه وسلم، هذا أفضلُ الخلق على الإطلاق صلوات الله وسلامه عليه، فلو كان الفقرُ عيباً لَعَيِبَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا سَلَّى أصحابه رضي الله عنهم حينما قالوا له: يا رسول الله، أنت تنام على الحصير (على هذه الوسادة)، حينما قالها له عُمَرُ، حَشَوْهَا لَيْفٌ، قد أَثَرَتْ في جنبك، وهم يَتَقَلَّبُونَ في الدنيا (يعني: فارس والروم) فقال: يا عمر، ألا تَرْضَى أن تكونَ لهم الدنيا ولنا الآخرة؟! هذا هو الجوابُ، مَنْ أجاب نفسه بهذا افْتَنَعَ مِنَ الدنيا، كم سيعيش فيها؟ كم سيأخذ معه منها؟! سيتركها ويذهب، فالمال يُقْسَمُ، وربما (أقول: ربّما)؛ ربّما قُسِمَ

بين أولادٍ فساقٍ عَقَقَةٍ لا تَنَالُهُ منهم دعوةٌ، ولا تَصِلُ إليه منهم صدقةٌ، "إذا مات ابنُ آدم انقطعَ عمله إلا من ثلاثٍ: صدقةٍ جاريةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ به، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يدعو له"؛ فإذا لم يَدَعْ لِنَفْسِهِ هو الصدقةَ وَيُعِدُّهَا مَنْ اليوم؛ كبناءِ مسجدٍ وإيقافٍ وَقَفٍ صدقةً جاريةً، رُبَّمَا انتقلَ المالُ إلى مَنْ لا يُتْبَعُهُ منه فِلْسًا واحدًا، تَعَبَ فيه هو، وجمَعَهُ لهم، ينالُهُ حرُّهُ وهم يأخذون قرَّةً، عليه مُرُّهُ ولهم حلاوَتُهُ، فإذا فَكَّرَ العبدُ هكذا (بهذه الصورة)؛ هذا هو المَوْفَّقُ، هو الذي يَسْتَبْقِي لنفسه عند الله يومَ القيامةِ، فَيَبْنِي المساجدَ، يُوقِفُ الأوقافَ، و"خَيْرُ الصدقة ما كان عن ظهر غنى"؛ أَنْ تَصَدَّقَ أَنْتَ وَأَنْتَ شَاحِشٌ تخشى الفقرَ لو تَصَدَّقْتَ، تقول: يَنْقُصُ مالي، وترجو الغنى، هذه هي الصَّدَقَةُ في هذا، وليست الصدقة إذا حضر أحدنا الموتُ قال: هاه لفلان كذا، ولفلان كذا، فإذا لم تَبْنِ أَنْتَ لِنَفْسِكَ؛ لا تَطَالِبْ غَيْرَكَ أَنْ يَبْنِيَ لَكَ مِنْ بَعْدِكَ، فعالمُ ربانيٍّ، هذا الأول، ومتعلِّمٌ على سبيل نجاةٍ، وهمجٌ رَعَا؛ هذا القسم الثالث، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ؛ والهمجُ: الذين لا علم عندهم، ولا عَقْلٌ صحيح يضبطُهُمْ، وإنما تَتَحَكَّمُ فيهم شهواتُهُمْ ورغباتُهُمْ، ولهذا قال فيهم: أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ؛ يعني: كُلُّ مَنْ صَاحَ صَيَاحًا مُنْكَرًا، فَإِنَّ الصوتَ المنكرَ يُطْلَقُ عليه النعيقُ، كصوت الغراب يُقَالُ له: النعيق؛ لأنَّه مكروهٌ، فالصوت المنكرُ نعيقٌ، فَأَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ مِنْ أَهْلِ الأهواءِ والبدعِ والفُسَاقِ أصحابِ الشهواتِ يميلون مَعَ كُلِّ رِيحٍ، هذا القسم الثالث، وهم همجٌ رَعَا، كيف كانوا همجا رعا؟ لهذا، لا علم ولا عقل صحيح عندهم يضبطُهُمْ، وإنما هو أَتْبَاعُ لِكُلِّ نَاعِقٍ، لِكُلِّ صاحبِ دعوةٍ إلى ضلالٍ وفسادٍ، يميلون مع كل ريحٍ، إِنْ دَعَاهُمْ صاحبُ البدعةِ؛ أَجَابُوهُ، وَإِنْ دَعَاهُمْ صاحبُ الفسقِ؛ أَجَابُوهُ، لماذا؟ لأنَّهُمْ لم يستضيئُوا بنور العلم، فيحاكموا المقالاتِ إلى كلامِ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فَيَفْحَصُوا مقالاتِ هؤلاءِ النَاعِقِينَ؛ فَإِنْ كَانَتْ بدعةً رَدُّوْهَا، وَإِنْ كَانَتْ دعوةً إلى فسقٍ أو شهوةٍ رَدُّوْهَا، هذا مَنْ يستطيعه؟ لا يستطيعه إلا العالمُ أو المتعلِّمُ، العالمُ الرِّبَانِيُّ أو المتعلِّمُ الذي هو على سبيل النجاةِ، الذي استضاء بنور العلم، أمَّا هؤلاء الذين لم يستضيئُوا بنور العلم ولم يأوُوا منه إلى ركنٍ وثيقٍ؛ يهلكون، مع هؤلاء تارةً، ومع هؤلاء تارةً، مع أصحابِ الشبهاتِ تارةً، ومع أصحابِ الشهواتِ تارةً، فَإِنْ كَانَ يميلُ إلى الدنيا صاحبُ أصحابِ

الشهوات، وإن كان يميل إلى التَّعَبُّدِ مِنْ غيرِ عِلْمٍ؛ أَخَذَهُ أَصْحَابُ الشُّبُهَاتِ، وهكذا أيضا حتَّى أَصْحَابُ
الشهوات ربما جَرَفَهُمْ أَصْحَابُ الشُّبُهَاتِ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ الشُّبُهَاتِ يَحْرِصُونَ أَيْضًا عَلَى أَصْحَابِ
الْأَمْوَالِ وَعَلَى الْأَغْنِيَاءِ، فَرَبِمَا جَرُّوهُمْ إِلَى مَجَالِسِهِمْ، فَضَرُّوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ، فَهَلَكُوا بِسَبَبِهِمْ، فَيَجْتَمِعُ فِي
حَقِّ هَذَا الشُّبُهَةِ وَالشَّهْوَةِ، تَجْتَمِعُ فِيهِ الْبِدْعَةُ وَتَجْتَمِعُ فِيهِ الشَّهْوَةُ، فَيَنْصُرُ بِدْعَةً بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْمَالِ،
وَيَنْصُرُ الْمُبْتَدِعَةَ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْمَالِ؛ وَذَلِكَ بِسَبَبِ أَنَّهُ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ، فَلَمْ يَسْتَضِئْ بِذَلِكَ بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ
يَلْجَأْ مِنْهُ إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ، يَقُولُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَاهُ إِنَّا هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ لَعَلَّمَا لَوْ أَصَبْتُ لَهُ
حَمَلَةً؛ مَا فِيهِ حَمَلَةٌ يَحْمِلُونَهُ، إِذَا كَانَ هَذَا عَلِيٌّ يَقُولُهُ! فَكَيْفَ الْيَوْمَ؟! ثُمَّ يَقُولُ: بَلْ أَصَبْتُهُ، لَكِنْ لَقِنَّا
غَيْرَ مَأْمُونٍ، وَمَنْ هُوَ اللَّقْنُ؟ اللَّقْنُ: هُوَ بِكسرِ الْقَافِ لَقْنٌ، لَقِنَ، لَقِنَ، وَاللَّقْنُ (بِكسرِ الْقَافِ): هُوَ
الَّذِي يَفْهَمُ بِسُرْعَةٍ لَكِنَّهُ لَا يَبْتَغِي الْحَقَّ، هَذَا هُوَ اللَّقْنُ، يَفْهَمُ بِسُرْعَةٍ، يُقَالُ: شَابَ لَقْنٌ، يَعْنِي: يَفْهَمُ
سَرِيعًا، لَكِنَّهُ لَا يَبْتَغِي الْعِلْمَ لِلْحَقِّ، هَذَا هُوَ اللَّقْنُ، مَا يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِلْحَقِّ، يَفْهَمُ، يَعْلَمُ، لَكِنَّهُ لَا يَتَوَصَّلُ
بِذَلِكَ الْفَهْمِ إِلَى الْحَقِّ، وَلِذَلِكَ قَالَ فِيهِ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ؛ هُوَ لَقْنٌ يَفْهَمُ لَكِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ
عَلَيْهِ، تَعْلَمُ؟ تَعْلَمُ، سَمِعَ، فَهَمَ؟ فَهَمَ، فَهَمَ الْمَقْصُودَ تَمَامًا، لَكِنَّهُ هَلْ هُوَ مَأْمُونٌ عَلَيْهِ؟! يَقُومُ بِهِ؟! يَعْمَلُ بِمَا
فَهَمُهُ؟! لَا، لَا يَبْتَغِي الْعِلْمَ لِلْحَقِّ، هَذَا هُوَ مَعْنَى اللَّقْنِ فِي اللُّغَةِ، لِهَذَا قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: غَيْرَ مَأْمُونٍ
عَلَيْهِ؛ لَيْشَ؟ اسْمَعُوا، قَالَ: يَسْتَعْمَلُ آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا؛ يَأْخُذُ هَذَا الْعِلْمَ وَيَسْتَعْمَلُهُ لِلدُّنْيَا، يَسْتَظْهَرُ بِحُجْجِ
اللَّهِ عَلَى كِتَابِهِ، وَبِنِعْمَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ، يَسْتَظْهَرُ بِذَلِكَ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، لَا يُورِثُهُ هَذَا الْعِلْمُ الْعَمَلَ بِهِ
وَالْتَوَاضَعَ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَإِنَّمَا يَسْتَظْهَرُ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا عَلَى عِبَادِ اللَّهِ، يَتَرَفَّعُ عَلَيْهِمْ،
وَيَتَكَبَّرُ عَلَيْهِمْ، وَيَتَصَدَّرُ بِذَلِكَ الْمَجَالِسَ، وَلَا يَرِيدُ مِنْ أَحَدٍ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ قَوْلًا أَبَدًا، لَا يَرِيدُ إِلَّا رِيَاسَةَ
الدُّنْيَا بِعِلْمِهِ، أَوْ مُنْقَادًا لِأَهْلِ الْحَقِّ، لَا بِصِيرَةٍ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ؛ مُنْقَادٌ لَكِنْ مَا عِنْدَهُ بِصِيرَةٍ، أَوَّلَ مَا يَأْتِيهِ
الشُّكُّ؛ يَنْقَدِرُ فِي قَلْبِهِ، وَتَحْصُلُ الشُّبُهَةُ، فَتُغْطِي قَلْبَهُ، فَيَهْلِكُ بِسَبَبِ ذَلِكَ، وَإِذَا غَلَبَتِ الشُّبُهَةُ عَلَى الْقَلْبِ
وُغْلِقَتْ؛ فَقَدْ اسْتَحْكَمَتِ الْهَلَكَةُ، لَا هَذَا، وَلَا هَذَا، جَمَعَ بَيْنَ الْبَلَاءَيْنِ؛ أُعْطِيَ سَمْعَهُ لِلشُّبُهَاتِ فَغَلِقَتْ

قَلْبِهِ؛ فَوَقَعَ فِي الْهَلَاكِ، فَحِينَئِذٍ تَسْتَحْكِمُ عَلَيْهِ الْهَلَكَةُ، أَوْ مَغْرَمًا بِجَمْعِ الْمَالِ وَالْإِتِّخَارِ، وَلَيْسَ مِنْ دُعَاةِ الدِّينِ، أَقْرَبُ شَبَهٍ بِهِمَا (يعني: بهذا والذي قبله) الْأَنْعَامُ السَّارِحَةُ؛ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ؛ يَعْنِي: هَذَا الْعِلْمُ مَا أَوْرَثَهُمُ الْفَقْهُ فِي الدِّينِ وَالْعَمَلِ بِهِ، فَاِبْتَغُوا عَنِ الشَّبَهَاتِ وَابْتَغُوا عَنِ الشَّهَوَاتِ وَأَخْذُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا يُبَلِّغُهُمْ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، لَا، بِالْعَكْسِ، إِنَّمَا غَرِقُوا فِي جَمْعِ هَذِهِ الدُّنْيَا وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَتَعَلَّمُوا شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي يُزَهِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَحْتُمُّهُمْ عَلَى اخْتِزَابِ الْكَفَافِ مِنْهَا، وَأَنْ يَتَوَصَّلُوا بِذَلِكَ إِلَى اللَّهِ وَالْأَرْوَاحِ الْآخِرَةِ، وَأَلَّا يَنْغَمِسُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَتُلهِيَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ، أَبَدًا، كَأَنَّهُمْ لَمْ يَتَعَلَّمُوا شَيْئًا مِنْ هَذَا، إِمَّا مَعَ الشَّهَوَاتِ، وَإِمَّا مَغْرَمٌ بِجَمْعِ الْعِلْمِ، وَإِمَّا قَدْ أَغْرَقَتْهُ الشَّبَهَاتُ؛ فَصَارَ هَؤُلَاءِ أَقْرَبَ شَبَهًا بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّارِحَةُ، فَيَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ، وَهَؤُلَاءِ يَبْقَوْنَ لَا فَائِدَةَ لِلنَّاسِ فِيهِمْ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، ثُمَّ يَقُولُ: بَلَى، لَمْ تَخُلْ الْأَرْضَ مِنْ قَائِمِ اللَّهِ بِحُجَّةٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا لَا يَجْمَعُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى ضَلَالَةٍ، لَا بَدَّ وَأَنْ تَبْقَى هَذِهِ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ النَّاجِيَةُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ مَعَ قَلَّتِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْغُرَبَاءُ، وَابْقَاءُ اللَّهِ لَهُمْ؛ لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ، يَعْنِي: يَبْقَى الدِّينُ، يَبْقَى مَنْ يَقُومُ بِهِ وَلَوْ كَانُوا قَلَّةً، تَبْقَى الْحُجَّةُ قَائِمَةً بِهِؤُلَاءِ، فَهَمُ الْأَقْلَوْنَ عِدَدًا؛ نَعَمْ، لَكِنْ هُمُ الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِهِمْ يَدْفَعُ اللَّهُ عَنْ حُجَّجِهِ حَتَّى يُوَدُّوَهَا، يُوَدُّوَهَا إِلَى النَّاسِ، إِلَى نَظَائِرِهِمْ، وَيَزْرَعُونَهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، يَعْنِي: مِمَّا يَأْتُونَ إِلَيْهِمْ فَيَأْخُذُونَ عَنْهُمْ الْأَخْذَ الصَّحِيحَ، يُبَلِّغُونَهَا لَهُمْ، وَيَزْرَعُونَهَا فِي قُلُوبِهِمْ حَتَّى إِذَا مَاتُوا؛ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمَزْرُوعُ فِيهِمْ هُمُ الْخَلْفُ الصَّالِحُ لَهُمْ، يَزْرَعُونَهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ الَّذِي صَلَحُوا، وَاسْتَقَامُوا عَلَى الدِّينِ وَالسُّنَّةِ وَابْتَغُوا عَنِ الشَّبَهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ؛ يَعْنِي: عَلَى مَعْرِفَةِ مَا خُلِقُوا لِأَجَلِهِ؛ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَاتِّبَاعِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَصَبَرُوا عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْإِتِّبَاعِ، فِي حِينٍ أَنْ غَيْرَهُمْ يَرَى أَنَّ هَذَا الطَّرِيقَ صَعْبٌ، وَهُمْ يَرُونَهُ سَهْلًا لَيِّنًا، صَبَرُوا عَلَى ذَلِكَ، فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَ مِنْهُ الْمُتَرْفُونَ؛ أَهْلُ الدُّنْيَا لَا يَصْبِرُونَ عَلَى الْأَذَى؛ لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ يَخَالِطُونَ النَّاسَ عَلَى مَا يَهْوَاهُ النَّاسُ، أَهْلُ الْعِلْمِ وَالسُّنَّةِ (أَهْلُ الصِّدْقِ وَالْإِتِّبَاعِ) يَصْبِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ لَا

٧٧

الله تعالى في المذارج)، هؤلاء بلاءٌ، أما أهل السنة لا، هَجَمَ بهم العلمُ على حقيقة الأمر؛ يعني: عرفوا ما أراد الله جل وعلا منهم، وما أعدَّ لهم، فاستلنا ما استوعر الناس؛ الوعرُ هو الصعب في المرتقى، فهم يستلينونه، يرونه سهلاً، فالمُتَرْفُونَ يرون هذا صعباً، المحبون للدين يرون هذا صعباً، أما أهل الحق والهدى فيرونه سهلاً، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون؛ يستوحش الجاهل أن يبقى وحده، وأهل السنة لأ، يقولون: الوحدة خيرٌ من جليس السوء، أهل السنة والأثر يقولون: الوحدة خيرٌ من جليس السوء، قيل لعبدالله بن المبارك رحمه الله تعالى: كيف ما تستوحش وأنت جالس وحدك؟! فقال: كيف استوحش وأنا أعيش مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلفنا الصالح؟! يعني: يقرأ أخبار الصحابة رضي الله عنهم، ويقرأ أخبار التابعين رضي الله عنهم وأتباع التابعين؛ فيجد العجب، فيحتقر نفسه، وعبدالله بن المبارك رضي الله عنه، قال: اجتمع في جميع خصال الخير، وما زاد عليه الصحابة إلا برؤية النبي صلى الله عليه وسلم، كلُّ خصال الخير اجتمعت فيه، فما فاقه الصحابة إلا بالرؤية والاجتماع واللقاء للنبي صلى الله عليه وسلم، مَنْ كان مُبْصِراً؛ رأى النبي صلى الله عليه وسلم، ومَنْ لم يكن مبصراً من الصحابة؛ لقي النبي وسمعه عليه الصلاة والسلام، اجتمعت فيه خصال الخير، ما بقي إلا لقيه للنبي صلى الله عليه وسلم، قالوا له: كيف ما تستوحش من كثرة الجلوس وحدك؟! قال رحمه الله: كيف أستوحش وأنا أعيش مع هؤلاء؟! فيا أخي المسلم، أخي طالب العلم، أنت اطلب طريق السلامة ولو قلَّ السالكون ولا تنخدع بطريق الهلاك (بكثرة الهالكين فيه)، فاطلب السلامة لنفسك، فهؤلاء الغرباء أهل السنة أنسوا بما استوحش منه الجاهلون، الجاهلون يستوحشون من الوحدة، أما أهل السنة (فكما قلت لكم) يصبرون على الأذى ويرون الوحدة خيراً من جليس السوء، خيراً من جليس السوء الذي يحرق ثيابك، يحرق دينك، فلا تتأذى من صحبتِهِ إلا الشرُّ، نسأل الله العافية والسلامة، ثم قال فيهم: صحبوا الدنيا بأبدانهم؛ هؤلاء الصالحين صحبوا الدنيا بأبدانٍ لكن الأرواح معلقة بالآخرة، فهؤلاء خلفاء الله في بلاده، هؤلاء هم الذين يستخلفهم الله في الأرض، وينظر إلى عملهم الصالح، ويُمكن لهم، ويُعلي

ذَكَرَهُمْ، فَهَمَّ الدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الصَّحِيحِ، ثُمَّ تَأَوَّاهُ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، زَفَرَ زَفْرَةً قَائِلًا: "هَاهُ"؛ شَوْقًا إِلَى رُؤْيَيْهِمْ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرَى هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ أَقَلُّ النَّاسِ، وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ، غُرَبَاءُ، قَلَّةٌ ذَاتُ يَدٍ لَكِنَّهُمْ مُكْثَرُونَ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هُمُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ الصَّحِيحِ وَالسُّنَّةِ، يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْخُلَاصَةِ: فَكَسَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ حَمَلَةَ الْعِلْمِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، نَعُودُ الْآنَ نَقْرُؤُهَا، هَؤُلَاءِ مَنْ؟ هَؤُلَاءِ مَنْ؟ حَمَلَةُ الْعِلْمِ، قَسَمَهُمْ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى مَا؟ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، الْأَوَّلُ: أَهْلُ الشُّبُهَاتِ، وَهُمْ مَنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ، تَعَلَّمَ وَلَكِنْ بَقُوا فِي الشُّبُهَاتِ، لَمْ يَنْقَدِحِ الْعِلْمُ الصَّحِيحُ فِي قُلُوبِهِمْ وَيَتَمَكَّنَ، بَلْ بَقِيَ هَذَا الْعِلْمُ ضَعِيفًا، ضَعِيفُ هَذَا الْعِلْمِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلَا بَصِيرَةَ لَهُمْ كَامِلَةً تَمْنَعُهُمْ مِنْ انْقِدَاحِ الشُّكُوكِ فِي قُلُوبِهِمْ، بَلْ ضَعُفَتْ قُلُوبُهُمْ بِسَبَبِ ضَعْفِ عِلْمِهِمْ، فَيَبْقَى هَذَا الضَّعْفُ مَدْخَلًا لِلشَّرِّ إِلَى قُلُوبِهِمْ، فَيَنْقَدِحُ الشُّكُّ فِي قُلُوبِهِمْ فِي بَأْوَلٍ عَارِضٍ مِنْ شُبُهَةٍ، فَتَأْخُذُهُ الشُّبُهَةُ، فَإِذَا أَخَذَتْهُ الشُّبُهَةُ؛ وَقَعَ فِي الْحَيْرَةِ وَالشُّكُوكِ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْبِدْعِ وَالضَّلَالَاتِ، مَا كَأَنَّهُ تَعَلَّمَ، نَعَمْ تَعَلَّمَ لَكِنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى دَرَجَةٍ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعِلْمُ مُورِثًا لِنُورِ الْبَصِيرَةِ، تَعَلَّمَ عِلْمًا، ثُمَّ بَقِيَ هَذَا الْعِلْمُ ضَعِيفًا، لَا يَقْوَى عَلَى دَفْعِ الشُّبُهَاتِ، فَأَيُّ شُبُهَةٍ تَأْتِي عَلَيْهِ؛ تَخْطُفُهُ حَتَّى يَخْرُجَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْبِدْعِ وَالضَّلَالَاتِ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَهَذَا الْقِسْمُ الْأَوَّلُ، قِسْمٌ تَعَلَّمُوا مَعَشَرَ الْإِخْوَةِ، لَكِنْ الْعِلْمُ عِنْدَهُمْ فِيهِ ضَعْفٌ، وَضَعْفُهُ أَنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ بِهِمْ عِلْمُهُمْ إِلَى دَفْعِ الشُّبُهَاتِ وَالشُّكُوكِ الَّتِي تَرِدُ عَلَى الْقُلُوبِ، مَا عِنْدَهُمُ الْأَهْلِيَّةُ، فَيَبْقَوْنَ فِي اضْطِرَابٍ، فَأَوَّلُ مَا يَنْقَدِحُ الشُّكُّ فِي قُلُوبِهِمْ بَأَوَّلٍ عَارِضٍ (بَأَوَّلٍ شُبُهَةٍ تَعْرِضُ) يَأْخُذُهُمْ ذَلِكَ الشُّكُّ وَتِلْكَ الشُّبُهَةُ، فَيَقْعُونَ فِي الْحَيْرَةِ، وَيَقْعُونَ فِي الشُّكُوكِ، وَبِسَبَبِ ذَلِكَ يَخْرُجُونَ إِلَى الْبِدْعِ وَالضَّلَالَاتِ، مَا يَرْجِعُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ لِيُبَصِّرُوهُمْ، لَا، يَسْتَقِلُّونَ هُمْ بِأَنْفُسِهِمْ، يَرُونَ أَنَّ عِنْدَهُمْ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ، وَلَكِنْ فِي الْحَقِيقَةِ هَذَا الْعِلْمُ لَمْ يَبْلُغْ إِلَى دَرَجَةِ دَفْعِ الشُّبُهَاتِ، فَتَتَخَفَّتُهُمُ الشُّبُهَاتُ فَيَهْلِكُونَ، الْقِسْمُ الثَّانِي: نَعَمْ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ، لَكِنَّهُمْ هُمُ أَهْلُ شَهَوَاتٍ، تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، نَعَمْ، تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، لَكِنَّهُمْ هُمُ أَهْلُ شَهَوَاتٍ، يَعْنِي: أَصْحَابُ دُنْيَا، تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَاصْطَادُوا بِهِ الدُّنْيَا.

وَمَنْ بِهِ لَيَقُولَ النَّاسُ يَطْلُبُهُ ... أَخْسِرُ بِصَفَقَتِهِ فِي مَوْقِفِ النَّدَمِ

وَمِنْ عُقُوبَتِهِ أَنْ فِي الْمَعَادِ لَهُ^(٥٣) ... مِنَ الْجَحِيمِ لِحَامًا لَيْسَ كَاللُّجَمِ

يا فلان، أنت تَعَلَّمْتَ؛ هذا خلافُ ما تَعَلَّمْتَ؟! تَكَلَّمْ، هَلْ يَصِحُّ؟ سَكُوتٌ، ما كَأَنَّهُ عِلْمٌ، يرى الباطلَ ولا ينكرُهُ، لم ينفعه عِلْمُهُ، فهؤلاء أصحاب القسم الثاني الذين تَعَلَّمُوا وهم أهلُ شهواتٍ هم أيضا على فرعين: الفرع الأول مَنْ يطلب الدنيا بنفس العلم، فيجعل العلمَ مَصِيدَةً لِلدُّنْيَا، يجعل العلمَ مَصِيدَةً لِلدُّنْيَا، فَيُخَادِعُ النَّاسَ بِزِيِّ الْعِلْمَاءِ وَيَتَأَكَّلُ بِهَذَا الْعِلْمِ، ولذلك يقول المصنف رحمه الله: فيجعل العلمَ آلَةً لِكَسْبِ الدُّنْيَا، "مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيَصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا؛ لَمْ يَرْحُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ"؛ مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ؛ هَذَا هُوَ الشَّرْطُ، تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، التَّفْسِيرَ، الْحَدِيثَ، أَصُولَ التَّفْسِيرِ، أَصُولَ الْحَدِيثِ، وَيَتَعَلَّمُ بَعْدَ ذَلِكَ السَّنَةَ، وَأَصُولَ السَّنَةِ، يَعْرِفُ الصَّحِيحَ مِنَ الضَّعِيفِ، تَعَلَّمَ الْعَقِيدَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ؛ ثُمَّ يَتَعَلَّمُ هَذَا الْعِلْمَ لِيَتَكَسَّبَ بِهِ، يَصْطَادَ بِهِ الدُّنْيَا، لَمْ يَرْحُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذَا الْعَمَلَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ؛ لِأَنَّ صَاحِبَهُ مُتَوَعِّدٌ بِعَدَمِ دُخُولِ الْجَنَّةِ (لَمْ يَرْحُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ)، ثَلَاثَةٌ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ أَوَّلَ مَا تُسَعَّرُ مِنْهُمْ: رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ فَيُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَبِّ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَأَقْرَأْتُهُ فَيْكَ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، إِنَّمَا تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ قَارِئٌ وَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِ، فَيُلْقَى عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ، حَظُّهُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ الذُّكْرُ فِي الدُّنْيَا، يَرِيدُ السُّمْعَةَ، فَإِذَا تَعَلَّمَ الْعَبْدُ الْعِلْمَ، لَا يَرِيدُ بِهِ إِلَّا الدُّنْيَا، هَذَا الْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ نَفِيسٌ، فَإِذَا بَدَّلَهُ مَنْ تَعَلَّمَهُ لِيَنَالَ بِهِ الْخَسِيسَ؛ نَاسَبَ أَنْ يُدَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا أَدَلَّ هُوَ هَذَا النَّفِيسُ فِي الدُّنْيَا، فَاللَّهُ يُدِلُّهُ فَيَجْعَلُهُ خَسِيسًا فِي الْآخِرَةِ كَمَا أَدَلَّ هَذَا الْعِلْمُ النَّفِيسَ وَتَحَصَّلَ بِهِ عَلَى الْخَسِيسِ فِي الدُّنْيَا، فَهَؤُلَاءِ أَصْحَابُ الدُّنْيَا، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعِلْمُ صَيِّنًا، وَإِذَا رَأَيْتَ الْعَالِمَ يَسْتَدْرِجُ بَعْلِمَهُ لِيَتَحَصَّلَ عَلَى الدُّنْيَا فَاعْرِفْ أَنَّهُ لَص.

^{٥٣} _ قال الشيخ حفظه الله موضحاً: " هذا كاتمه ".

يَقُولُونَ لِي فِيكَ انْعِرْ أَلْ وَإِنَّمَا ... رَأَوْا رَجُلًا عَنْ مَوْقِفِ الدُّلِّ أَحْجَمًا
أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ ... وَمَنْ لَزِمَتْهُ عِفَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا
إِذَا قِيلَ هَذَا مَوْرِدٌ، قُلْتُ: قَدْ أَرَى ... وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَامَ
وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لَاحٍ لِي يَسْتَفْزِنِي ... وَلَا كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ أَرْضَاهُ مُنْعِمًا
أَأَرْضِي بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً ... إِذَا فَاتَّخَذَ الْجَهْلُ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا^(٥٤)
وَلَمْ أَبْتَدِلْ فِي طُلُبَةِ الْعِلْمِ مُهْجَتِي ... لِأَخْدِمَ مَنْ لَأَقِيْتُ لَكِنْ لِأَخْدِمَا^(٥٥).
أَأَشْقَى بِهِ غَرْسًا وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً ... إِذَا فَاتَّخَذَ الْجَهْلُ قَدْ كَانَ أَحْزَمًا
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ ... وَلَوْ عَظُمُوهُ فِي النَّفُوسِ لَعَظَّمَا
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ وَدَنَسُوا ... مُحْيَاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجْهَمَا

فإذا رأيت العالم يتخذ العلم على هذا النحو يضطاد به الدنيا؛ فهو كما قال عبدالله بن المبارك.

يَا جَاعِلَ الْعِلْمِ لَهُ بَازِيًا^(٥٦) ... يَصْطَادُ أَمْوَالَ الْمَسَاكِينِ

اِحْتَلَّتْ لِلدُّنْيَا وَلَدَاتُهَا ... بِحِيلَةٍ تَذْهَبُ بِالْدِّينِ

فَصِرْتَ مَجْنُونًا بِهَا بَعْدَمَا ... كُنْتَ دَوَاءً لِلْمَجَانِينِ^(٥٧)

^{٥٤} _ قال الشيخ حفظه الله هنا موضحاً: " أَرَى نَفْسِي مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ".

^{٥٥} _ قال الشيخ حفظه الله موضحاً: " المراد بهذا: ما أخدم أهل الدنيا، أذلُّهُ لَهُمْ، فهذا هو".

^{٥٦} _ قال الشيخ حفظه الله موضحاً: "يعني: البازي هو الطائر الذي يُصَادُّ به، نوع من أنواع الصقور اسمه البازي".

^{٥٧} _ قال الشيخ حفظه الله موضحاً: " أنت أمس تحذر من هذا الطريق!".

أَيْنَ رَوَايَاتِكَ فِي ذِمَّهَا^(٥٨) ... عَنْ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيرِينَ

إِنْ قُلْتَ: أَكْرَهْتُ^(٥٩)، فَمَاذَا كَذَا ... زَلَّ حِمَارُ الْعِلْمِ فِي الطَّيْنِ

فكتب إلى الرشيد يستعفيه، قال: والله لقد لعبَ به ذلك الغلامُ المروزيُّ، يعني: ابن المبارك، عرف الرشيدُ، فأعفاه، قال له: أنا ما عاد أتولَّى بيتَ المال؛ لأنه كان عندهم (رحمهم الله) هذه الولایاتُ محلَّ تهمةٍ، فلا يُعدَّلُ الإنسانُ حتى يضافَ إليه ما يبرؤه من ساحة التهمة، يقولون: وليَ بيتَ المالِ فحَمِدَتْ سِيرَتُهُ (حَمِدَتْ) وهذا موجود في كتب رجال الحديث، راجعوه تجدونه، خذوا هذه اللفظة، وانظروها، والآن الحمد لله (أبو لحسة) موجود، سجَّلُوا فيه هذا العبارة وتجدون التراجم التي وردَ فيها هذا: "وليَ بيتَ المالِ فحَمِدَتْ سيرته"، أنتم الآن اسمعوا (مثلاً) الكلامَ على وزراء المالية في البلدان جميعاً: هذا لصٍّ؛ كلما أراد الحاكمُ يُصلِّحُ الناسَ، ويُحسِّنُ للناسِ؛ [...] ^(٦٠): هذا حرامي! وهذا شيطان! وهذا قاعد في وجوه الخير للناس! إذن الكلام فيمن؟ وزراء المالية، قديماً هم؟ والي المال (بيت المال)، فلا بد أن تأتي التزكية، أن يُقالَ فيه: وليَ بيتَ المالِ فحمدت سيرته، فهنا لما عاتبَ ابنُ البارک ابنَ عليَّةَ بهذه الأبيات استعفى من الرشيد، قال: والله ما عاد أجلس، تُعَفِّينِي، قال: لعبَ به ذلك الغلام المروزي (الفتي المروزي)، فالآن هذه الأموالُ فتنةٌ، فمن جعل العلمَ بازياً يصطاد به الدنيا فهذا من أهل الشهوات، وهذا أشدُّ من الثاني، هذا أشدُّ من الثاني، هذا جاء بكبيرة من كبائر الذنوب. إذ طلب العلم الذي لا يُبتَغى به إلى وجهه الله؛ طلبه لأجل الدنيا، يصطاد به الدنيا، نسأل الله العافية والسلامة، فجعل العلمَ آلةً لكسبِ الدنيا؛ فهذا الذي لم يَرَحْ رائحةَ الجنة، الثاني: من يطلبُ الدنيا لكن بغير العلمِ، هو عندهم علمٌ، لكن يطلبُها بغير العلم، ما يطلبُها بالعلم، هذا يُدَمُّ، لكنّه ليس كالأول، ليس كالأول، وهو أيضاً على قسمين:

^{٥٨} قال الشيخ حفظه الله موضحاً: " ذم الدنيا " .

^{٥٩} قال الشيخ حفظه الله هنا موضحاً: " ذلك لأنه (ابن عليّة) ولي بيت المال للرشيد " .

^{٦٠} كلمة غير ظاهرة.

مَنْ هُمُ الدُّنْيَا لِدَائِهَا وشهواتها، فهو مَنْهُومٌ بذلك، يعني: هذا ضَيَّعَ العلمَ واستغرق طيلةَ حياته فيم؟ في الدنيا، فترك العلمَ الذي شَرَّفَ به ونَزَلَ إلام؟ الدنيا، آتاه الله الرَّفِيعَ، فَتَرَكَهُ وَذَهَبَ واختارَ الوضِيعَ، هو متعلِّمٌ طالبٌ علمٍ شيخٌ مَنْ الله عليه بالمعرفة بشرعه ودينه لكنَّه آثَرَ الدُّنْيَا وترك العلمَ، فاستغرقت حياته، فطغًا جانبُ حُبِّ الدُّنْيَا عليه؛ عَلَامَ؟ على العلم، على العلم، هذا مذمومٌ، إِذْ تَرَكَ الْعَالِيَّ وَأَخَذَ الدَّانِيَّ، والثاني: مَنْ هُمُ جَمْعُ الدُّنْيَا واكتنازُها، فهذا أَهْلَكَ نَفْسَهُ في الجمع، في الجمع، طيلةَ حياته وهو يجمع يجمع يجمع حتى أَنَّهُ أَذْهَبَ وَقْتَهُ فِي ادِّخَارِ هَذَا الْمَالِ وَضَيَّعَ اسْتِفَادَتَهُ مِنَ الْأَوْقَاتِ فِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ، قال رحمه الله: وَكُلُّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنْ دَعَاةِ الدِّينِ، وإنما هم كالأنعام، ولهذا شَبَّهَ اللهُ تَعَالَى مَنْ حُمِّلَ التَّوْرَةَ ثم لم يَحْمِلْهَا بِالْحِمَارِ الذي يَحْمِلُ أَسْفَارًا، لماذا؟ لَأَنَّ هَذِهِ التَّوْرَةَ، وهكذا القرآن يَأْمُرُنَا بِالْخُلُودِ إِلَى الْآخِرَةِ، وعدم الرُّكُونِ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنْ نَأْخُذَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يُبَلِّغُنَا الْآخِرَةَ، وَلَا نَذْهَبُ أَوْقَاتِنَا كُلَّهَا فِي الدُّنْيَا وَتَحْصِيلِهَا، وإنما قال الله جل وعلا: {وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} ^(٦١)، يعني: العملُ كُلُّهُ لِلْآخِرَةِ، أنت تبني لما يُسْتَقْبَلُ، وَأَمَّا هَذَا فَإِنَّمَا هُوَ بُلْغَةٌ، "ما لي وللدنيا"؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عمر (وسياتينا)، فهذا {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْإِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} ^(٦٢) عندهم علمٌ لكنَّهم لم يستفيدوا منه، تراهم مع الهَمَجِ الرِّعَاعِ أَصْحَابِ الشَّهَوَاتِ، عِبَادِ الدُّنْيَا، عيادا بالله مِنْ ذَلِكَ، وَشَبَّهَ عَالِمُ السُّوءِ الذي انسلخ من آيات الله وأُخْلِدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ بِالْكَلبِ {وَاتَّئِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أُخْلِدَ إِلَى الْأَرْضِ} ^(٦٣) أَيْش؟ فكان كأيِّش؟ كالكلب {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ} ليس الكلب فقط، وإنما الكلبُ في أَقْبَحِ صُورِهِ، وهي صورة اللَّهَثِ، صورة الظَّمِّ، يُخْرِجُ لِسَانَهُ، يَنْدَلِقُ لِسَانُهُ، عافانا الله وإياكم مِنْ ذَلِكَ وَأَكْرَمَكُمْ

^{٦١} _ القصص (٧٧).

^{٦٢} _ الجمعة (٥).

^{٦٣} _ الأعراف (١٧٥-١٧٦)، وتكملة الآية: {وَاتَّئِلْ هُوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَهُمْ يَنْفَكُّوْنَ}.

الله، فأقبح حيوانٍ هو الكلب، وصَوَّرَ عالمَ السوءِ الذي انسلخ من آيات الله؛ صَوَّرَهُ وشَبَّهَهُ بالكلب، فهذه الآيات (هذا العلم الشرعي) الذي رَفَعَنَا الله به هو مِثْلُ الجلد يُجَمَّلُنَا، فإذا انسلخ الإنسان من جماله؛ وصل إلى هذه الصورة، جماله هناك العلم، لكنّه لم يرفع به رأساً، فنزل هذا العالم (عالم السوء) وانسلخ من آيات الله وأُخِلد إلى الأرض، يعني: إلى الدنيا ولذائذها، واتَّبَعَ هواه، فأصبح مثيلاً للكلب، مُشَبَّهًا بالكلب، فمَثَلُهُ كمثل الكلب، إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ، أو تتركه يَلْهَثْ، نسأل الله العافية والسلامة، يقول رحمه الله: والكلبُ والحمارُ أخسُّ الأنعامِ وأضل سبيلاً؛ ذاك عالمُ آتاه الله علماً لم يستفد منه، ترك هذا العلم الذي يُرَعِّبُهُ في الدار الآخرة ويُرْهِدُهُ في الدنيا ويأمرُهُ بأن يعمل للآخرة، وأن يَعْمَرَ الآخرة، وأن يَهْتَمَّ بما عند الله جل وعلا من الباقي ويؤثِّره على الفاني؛ تَرَكَ ذلك كُلَّهُ، فآثر العكسَ، اهتَمَّ بالدنيا ولذاتها وآثرَ الفانيَ على الباقي؛ فهذا لم يستفد ممَّا تَعَلَّمَ، فمَثَلُهُ كمثل الحمار يحمل أسفارا.

وَمِنَ الْعَجَائِبِ وَالْعَجَائِبِ جَمَّةٌ ... قُرْبُ الدَّوَاءِ وَمَا إِلَيْهِ وُصُولُ

كَالْعَيْسِ فِي الْبَيْدَاءِ يَقْتُلُهَا الظَّمَا ... وَالْمَاءُ فَوْقَ ظُهُورِهَا مَحْمُولُ

الإبلُ ما تَعْرِفُ تُنَزِّلُ الْقُرْبَ وَتَفْتَحُهَا وَتَشْرَبُ، هكذا هذا؛ مَثَلُهُ كمثل العيس في البيداء، في الصحراء، في الحرِّ، يَقْتُلُهَا الظَّمَا والماء فوق ظهورها محمولٌ، مُنِعَتْ مِنَ الوصولِ إليه، ما تَعْرِفُ، هكذا مَنْ تَعَلَّمَ العلمَ، ولم يستفد منه، وأُخِلِدَ إلى الدنيا؛ فهو كهؤلاء، بل الله جل وعلا قال عن هؤلاء ما هو أَخْسُّ {كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} ^(٦٤) هل الحمار ينتفع بهذه الأسفار التي يحملها؟! لأنه لا يقرأ ولا يعقل، فهؤلاء شَبَّهَهُم بالحمار في حَمْلِهِم لِلْعِلْمِ الذي لم يستفيدوا منه مع إمكانية الاستفادة منه؛ شَبَّهَهُم بالحمار، وعالمُ السوءِ شَبَّهَهُ بالكلب، نسأل الله العافية والسلامة، فبعد هذا يُرْهِدُ في العلم ويُقْبِلُ على الدنيا؟! ما يُقْبِلُ عليها مع ترك ما آتاه الله من هذا الشرف إلا مَنْ سَفِهَ نفسه، عيادا بالله من ذلك، ولهذا

^{٦٤} _ الجمعة (٥).

العلماء أغنياء نفوس، وأصحاب الشهوات أغنياء بالفلوس، وهو غني بالفلس دنيء النفس، وذاك فقير الفلس غني النفس، لو جمعت له الدنيا بحذافيرها ذهباً ما نظر إليها، يراها نتنة جيفة، والشافعي رحمه الله تعرفون أبياته في هذه، ومن أجمل ما قال فيها البيت الأخير:

فَإِنْ تَجْتَنِبَهَا عِشْتَ فِيهَا مُسَالِّمًا^(٦٥) ... وَإِنْ تَجْتَذِبَهَا نَارَ عَتِكَ كِلَابُهَا

هل يحسنُ بالعالم وطالب العلم كلَّ يومٍ في المحاكم بسبب الدنيا؟! عيبٌ عليه، طالبُ العلم يترفعُ، يُعزُّ هذا العلم الذي بين يديه، هل يحسنُ به؛ كلَّ يومٍ وهو مع السُّوقَةِ الرَّعَاعِ؟! لا، بل هو أعلى، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم ما شبَّه أحدًا بمثل ما شبَّه العالم؛ قال: "وفضل العالم على العابد"؛ اسمعوا: "على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب" بدر، ليلة البدر، قمر، أولاً: هو مرتفع، وثانياً: جميلٌ قد اكتمل جماله ليلة البدر، فهكذا أهل العلم، وثالثاً: مضيءٌ للناس، فهو يضيء لغيره، ومع ذلك مرتفعٌ لا يلمسه أحدٌ، فطالبُ العلم والعالم إذا نزلا عن هذه المكانة التي أحلَّهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد سفَّهوا أنفسهم.

ولعلنا عند هذا نقف، ولنا كلامٌ مع القسم الثالث غدا إن شاء الله، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه بإحسان^(٦٦).

^{٦٥} _ قال الشيخ حفظه الله: "أو: مُسَالِّمًا".

^{٦٦} _ مَا كَانَ مِنْ خَطِيئَةٍ فِي التَّفْرِيعِ فَلَمَّا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُورٍ وَتَقْصِيرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّى الصَّوَابَ، فَجَزَى اللَّهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ، وَكَبَّتهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يُلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

الدرس الرابع مِنْ شرح كتاب:

”كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة“ للحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى

لصاحب الفضيلة المدرس في الجامعة الإسلامية محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى^(٦٧)

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى وبعْدُ:

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً:

[المتن]: الْقِسْمُ الثَّالِثُ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ: هُمُ أَهْلُهُ وَحَمَلَتُهُ وَرِعَائُهُ وَالْقَائِمُونَ بِحُجَجِ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ، وَذَكَرَ أَنَّهُمُ الْأَقْلُونَ عِدَدًا الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْرًا، إِشَارَةً إِلَى قِلَّةِ هَذَا الْقِسْمِ وَعِزَّتِهِ فِي حَمَلَةِ الْعِلْمِ وَغُرَبَاتِهِ بَيْنَهُمْ.

[الشرح]: الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعدُ:

فهذا هو الْقِسْمُ الثَّالِثُ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ الَّذِينَ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِمْ فِي تَقْسِيمِ الْمَصْنَفِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ، مُسْتَخْرَجًا ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَدْ تَقَدَّمَ مَعَنَا الْبَارِحَةَ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: وَهُمْ أَهْلُ الشَّبَهَاتِ، وَهُمْ مَنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُمْ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ، الَّذِينَ قَلَّ عِلْمُهُمْ، الَّذِينَ يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ أَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شَبَهَةٍ تُلْقَى عَلَيْهِمْ، فَتَأْخُذُهُمْ تِلْكَ الشَّبَهَةُ، فَتُوقِعُهُمْ فِي الْحَيْرَةِ، وَفِي الشُّكُوكِ، وَتَخْرُجُ بِهِمْ مِنْ ذَلِكَ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ (وَالسُّنَّةِ) الَّذِي تَعَلَّمُوهُ؛ فَتُوقِعُهُمْ فِي الْبِدْعِ وَالضَّلَالَاتِ، هَؤُلَاءِ هُمُ أَهْلُ الشَّبَهَاتِ، وَكَمَا قُلْنَا بِالْأَمْسِ: أَنَّ هَذَا الْقِسْمَ مِنَ النَّاسِ هُمْ مَنْ قَلَّ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ، مَنْ لَمْ يَتَّقَوْا

٦٧ _ ألقاه في مسجد عتبة بن غزوان رضي الله عنه بالدمام، شهر شوال، عام ألف وأربعمائة وسبعة وثلاثين من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

في العلم، مَنْ لم يَرْسُخُوا في العلم، مَنْ لم تَنْبُتْ أقدامُهم في الفقه في دين الله تبارك وتعالى، فهؤلاء إذا بُلُوا بأهل الشبهات؛ إمّا مجالسةً، وإما مصاحبةً، فَالْقَوْا سَمْعَهُمْ إِلَيْهِمْ؛ فَالشُّبُهَةُ خَطَافَةٌ وَالْقُلُوبُ ضَعِيفَةٌ، مع قِلَّةِ العلم أو ضَعْفِ الفقه يَحْصُلُ لَهُمْ هذا فينحرفون، فيصبحون أهلَ شبهات، عندهم علمٌ، لكنهم ما أوتُوا الفهمَ الصحيحَ فيه، فيضعون الأمورَ في غير نصابها، وفي غير محلها، وَتَغْلِبُهُمُ الشُّبُهَاتُ، فلا يفقهون معها شيئاً إلا ما أَشْرَبُوا مِنْ أهوائهم، مهما حاولت فيه بعد ذلك؛ لا يفيدُه، القسم الثاني: هم أهلُ الشهوات، وَذَكَرَهُمْ رحمه الله: أنهم على نوعين (أو: فرعين): الفرع الأول: الذي يَتَّخِذُ هذا العلمَ مصيدةً للدنيا، وتكَلَّمْنَا عليه، الفرع الثاني: مَنْ هَمُّهُ جَمْعُ الدنيا وَلَذَاتِهَا وشهواتِها، فَتَسْتَعْبِدُهُ هذه الدنيا حتى يَنْسَلِخَ مِنَ العلم، كَأَنَّهُ عاميٌّ، كَأَنَّهُ ما تعلمُ، فهؤلاء يقول عنهم جميعاً المصنف رحمه الله: ليسوا مِنْ دُعَاةِ الدين، وَسَبَقَ الكلامُ عليهم، وَأَتَهُمُ كَالْأَنْعَامِ، وَشَبَّهَهُمْ بِمَا شَبَّهَهُمْ بِهِ، وَذَكَرْنَا ذَلِكَ الْبَارِحَةَ، القسم الثالث مِنْ حملة العلم: هم أَهْلُهُ وَحَمَلَتُهُ حَقًّا، نَسَأَلُ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعَلَا وَبِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ، هم حَمَلَتُهُ، وهم أَهْلُهُ، هم أَهْلُهُ حَقًّا، وهم حَمَلَتُهُ الْأَمْنَاءُ عَلَيْهِ، وهم رِعَاتُهُ الَّذِي يَرْعَوْنَهُ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَجَمِيعِ تَصَرُّفَاتِهِمْ، يَرْعَوْنَ هَذَا الْعِلْمَ، فلا يَشِيئُونَهُ بِشَيْءٍ مما يَخْدُشُ كِرَامَتَهُ، هم أهل هذا العلم وَحَمَلُوهُ، هم العدول الذين قاموا بذلك؛ فَرَعَوْهُ، وآثَرُوهُ عَلَى الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا وشهواتِها وَزِينَتِهَا وَزُخْرُفِهَا، هم الملوك حَقًّا، وهم العدولُ حَقًّا، هم حاملوا هذا العلم، هم حَمَاةُ هَذَا الدِّينِ، وَالنَّاصِرُونَ لَهُ، وَالْحَامُونَ لِحَوْزَتِهِ، هم رِعَاةُ هَذَا الْعِلْمِ، الْقَائِمُونَ بِحُجَجِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَبَيِّنَاتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يخافون في ذلك لومةَ لائمٍ، وهم الذين عَنَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَوْلِهِ: "يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عَدُولُهُ"؛ يعني: مِنْ كُلِّ جِيلٍ عَدُولُهُ "يَنْفُونَ عَنْهُ انْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ"؛ فَيَرُدُّونَ عَلَى الْمُبْطِلِ بَاطِلَهُ، وَيَرُدُّونَ عَلَى الْغَاوِي غَوَايَتَهُ (مِنْ أَهْلِ الشُّبُهَاتِ)، وَيَرُدُّونَ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ الَّذِينَ تَظَاهَرُوا بِتَلَبُّسِهِمْ لِبَاسَ الْعِلْمِ وَلَيْسُوا هُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَهَؤُلَاءِ هَذِهِ مَهْمَتُهُمُ الشَّرِيفَةُ، النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهِدَ لَهُمْ

وَعَدَلَهُمْ: "يحمل هذا العلم"؛ يعني: عِلْمُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، يعني: سُنَّتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ التِي وَرَثَهَا؛ كما سبق معنا البارحة في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، "يحمل هذا العلم مِنْ كُلِّ خَلْفٍ عَدُولُهُ"، حديث أبي الدرداء: "إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا"، وَقَفَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَهْلِ السُّوقِ وَقَالَ: يَا أَهْلَ السُّوقِ مَا أَعْجَزَكُمْ! قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قَالَ: مِيرَاثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَسَّمُ فِي الْمَسْجِدِ وَأَنْتُمْ هَاهُنَا! ثُمَّ وَقَفَ لَهُمْ، فَذَهَبُوا، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْهِ، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا وَجَدْنَا شَيْئًا مِمَّا تَقُولُ؟! قَالَ: وَمَا وَجَدْتُمْ أَحَدًا؟! قَالُوا: بَلَى، وَجَدْنَا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، وَقَوْمًا يَتَذَارِسُونَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، قَالَ: فَذَاكَ مِيرَاثُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَّا الدِّينَارُ وَالْدِّرْهَمُ فِي السُّوقِ؛ هَذَا مَا هُوَ مِيرَاثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَمُرُّ عَلَيْهِ الْهَلَالُ وَالْهَلَالُ وَالْهَلَالُ، (ثَلَاثَةُ أَهْلَةٍ) فِي شَهْرَيْنِ مَا يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ (بَلْ فِي بَيْتِهِ كُلُّهَا التَّسْعَةُ وَالْعَاشِرُ بَيْتِ سِرِّيَّتِهِ مَارِيَةً) نَارًا، وَمَا أَكْلَهُمْ؟ الْأَسْوَدَانِ (الْمَاءُ وَالتَّمْرُ)، مِيرَاثُهُ هَذَا هُوَ الْعِلْمُ، فَهَؤُلَاءِ هُمْ وَرَثَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِينَ وَرَثُوا سُنَّتَهُ، "إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ"؛ نَصِيبٍ عَظِيمٍ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ ابْنُ حَبَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى صَاحِبُ الصَّحِيحِ (صَحِيحُ ابْنِ حَبَّانَ)؛ قَالَ: "وَمِيرَاثُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الَّذِي خَلَفَهُ) هُوَ سُنَّتُهُ، فَمَنْ تَعَرَّى عَنْ مَعْرِفَتِهَا (يَعْنِي: مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ وَالسُّنَّةِ) فَلَيْسَ هُوَ مِنْ وَرَثَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"، الْعِلْمُ: هُوَ (قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، أَمَّا الْآرَاءُ فَلَا تَنْضِيطُ، رَأْيُكَ لَيْسَ بِأُوجَهٍ مِنْ رَأْيِي، وَأَنْتَ لَيْسَ بِأَقْوَى مِنِّي، فَالْآرَاءُ مَا تَنْضِيطُ، الْعِلْمُ هُوَ (قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَمَنْ كَانَ عَالِمًا بِسُنَّتِهِ فَهُوَ الْوَارِثُ لَهُ حَقًّا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، "وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِظِّ وَافِرٍ"؛ الْعِلْمُ الَّذِي وَرَثَهُ؛ هُوَ الَّذِي قَالَ فِي وَصِيَّتِهِ لَنَا: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا"، فَهَذَا الْعِلْمُ هُوَ السُّنَّةُ الَّذِي وَصَّانَا بِالْتَّمَسُّكِ بِهِ فِي حَدِيثِ الْعَرَبِاضِ، وَهُوَ الَّذِي وَرَثَهُ هُنَا فِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ، هَذَا هُوَ الْمَوْرُوثُ، وَهَنَّاكَ بَيَانُهُ بِأَنَّهُ سُنَّتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَحَمَلَةُ الْعِلْمِ حَقًّا هُمْ أَهْلُهُ وَرِعَاتُهُ وَالْقَائِمُونَ بِحُجَجِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا

وَبَيِّنَاتِهِ، لَا يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَّا تُمْ، وَهَذَا لَيْسَ إِلَّا لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْأَثَرِ، لَا أَحَدٌ يَنَافِسُهُمْ فِي هَذَا، هُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَحْوَالِهِ الشَّرِيفَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَقَلُوا إِلَيْنَا سِلْمَهُ وَحَرْبَهُ وَقَضَاءَهُ وَفَتَاوَاهُ وَتَعَامُلَاتِهِ مَعَ النَّاسِ فِي بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ وَرَهْنِهِ، وَنَقَلُوا إِلَيْنَا مَعَامِلَتَهُ لِأَهْلِهِ فِي بَيْتِهِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ، وَنَقَلُوا إِلَيْنَا تَبَسُّمَهُ وَالتَّفَاتَاتِ، بَلْ نَقَلُوا إِلَيْنَا تَنَحُّمَهُ وَنَقَلُوا لَنَا بُدُوَ نَوَاجِذِهِ وَعَدَدَ شَعَرَاتِ شَيْبِهِ فِي لِحْيَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَشْيَتَهُ، وَكَيْفَ كَانَتْ؟ وَالتَّفَاتَاتِ، وَكَيْفَ كَانَتْ؟ وَتَبَسُّمِهِ، وَكَيْفَ كَانَ؟ فَلَا أَحَدٌ أَعْلَمُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، أَبَدًا، أَيْنَمَا طُلُبْتَ خَبْرًا وَلَوْ أَدَقَّ مِنَ الشَّعْرَةِ مِنْ أَخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لَا تَجِدُهُ إِلَّا فِي كِتَابِ أَهْلِ الْحَدِيثِ، فَهَمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ.

ارْوِ الْحَدِيثَ وَلِأَهْلِهِ فَهَمْ النَّ... سَاجُونَ نَصًّا صَرِيحًا لِلرَّسُولِ نُمِي

هؤلاء هم الورثة حقًا.

هُمْ الْعُدُولُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ كَيْفَ وَهُمْ... أَوْلُو الْمَكَارِمِ وَالْأَخْلَاقِ وَالشَّيَمِ

هُمْ الْأَفَاضِلُ حَازُوا كُلَّ مَنْقَبَةٍ... هُمْ الْأَلَى بِهِمُ الدِّينُ الْحَنِيفُ حُمِي

كَفَاهُمْ شَرَفًا أَنْ أَصْبَحُوا خَلَفًا... لِسَيِّدِ الْخُنْفَا فِي دِينِهِ الْقِيَمِ

يَرَوُونَ عَنْهُ أَحَادِيثَ الشَّرِيعَةِ لَا... يَأْلُونَ ضَبْطًا لَهَا بِالصَّدْرِ وَالْقَلَمِ

كُلُّ شَيْءٍ مُدَوَّنٌ عِنْدَهُمْ، فَلِذَلِكَ لَا تَعْصِفُ بِهِمُ الْأَهْوَاءُ، وَلِهَذَا يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ بَرَجَلَيْنِ: بِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الرَّدَّةِ، وَبِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ يَوْمَ الْمُحَنَّةِ؛ هَلْ فِيهِ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ فِي الصَّحَابَةِ؟! أَبَدًا، بِاتِّفَاقِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ إِلَّا الرُّوَافِضَ، هَؤُلَاءِ لَا عِبْرَةَ بِهِمْ، لَا هُمْ مُعْتَدُونَ فِي الْوَفَاقِ وَلَا فِي الْخِلَافِ، لَا يُفْرَحُ بِهِمْ وَفَاقًا، وَلَا يُؤْخَرُونَ خِلَافًا، كَمَا قَالَ

الألوسي: ما مثْلُهُمْ إِلَّا كَدِحْشَةٍ فِي عِشَّةٍ، وَشَعْرَةٍ فِي بَعْرَةٍ، وَتَبْنَةٍ فِي لِبْنَةٍ؛ هَذَا ذِكْرُ الْأَلُوسِيِّ عَنْهُمْ، هُوَ كَذَلِكَ: مَا مَثْلُهُمْ إِلَّا كَدِحْشَةٍ فِي عِشَّةٍ، وَشَعْرَةٍ فِي بَعْرَةٍ، وَتَبْنَةٍ فِي لِبْنَةٍ؛ هَلْ يُرَوْنَ؟! لَا يُرَوْنَ، الدَحْشَةُ فِي الْعِشَةِ مَعَ الْقَشِّ؛ لَا تَرَاهَا، وَالشَّعْرَةُ فِي الْبَعْرَةِ (سُودَاءُ فِي بَعْرَةِ سُودَاءُ)؛ لَا تَرَاهَا، وَالتَّبْنَةُ فِي اللَّبْنَةِ؛ لَا تَرَاهَا، كَمْ سَتَعُدُّ؟! فَلَا عِبْرَةَ بِهِمْ، لَا أَحَدٌ أَعْلَمُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، فَكَانَ مَوْقِفُهُ الْعَظِيمُ يَوْمَ الرَّدَةِ، حَتَّى قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ، تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَقَدْ نَزَلَ بِأَبِي مَا لَوْ نَزَلَ بِالْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ لَهَاضَهَا، وَيَقُولُ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَقَدْ وَقَفْنَا مَوْقِفًا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِدْنَا أَنْ نَهْلِكَ فِيهِ جَمِيعًا؛ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِأَبِي بَكْرٍ، هَذَا أَبُو بَكْرٍ، أَحْمَدُ يَوْمَ الْمَحْنَةِ؛ رَحِمَ اللَّهُ بِهِ الْأُمَّةَ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَضَحَّى بِنَفْسِهِ وَثَبَّتَ فِي هَذَا الْبَابِ، وَبَدَّلَ نَفْسَهُ رَخِيسَةً؛ لِأَنَّهُ أَعْرَفُ أَهْلَ زَمَانِهِ وَأَحْفَظُهُمْ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا كَانَ نَصِيبُهُ مِنَ الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ أَوْسَعَ مِنْ غَيْرِهِ؛ نَالَ بِهِ الْمَقَامَاتِ الرَّفِيعَةَ وَالدرجاتِ الْعَلِيَّةَ، فَبَقِيَ إِمَامًا مُطْلَقًا لِأَهْلِ السَّنَةِ مِنْ يَوْمِهِ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، رَحِمَهُ اللَّهُ، إِذَا قِيلَ: "إِمَامُ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ" وَسُكِّتَ؛ فَكُلُّ وَاحِدٍ يَعْرِفُ أَنَّهُ أَحْمَدُ، هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ قَامُوا بِحُجَجِ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ، وَفِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ أَهْلُ السَّنَةِ وَالْأَثَرِ السَّائِرُونَ عَلَى طَرِيقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمُ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِهِذَا، وَهُمْ مَعَ هَذَا الْأَقْلَوْنَ عِدَدًا، طَائِفَةٌ وَاحِدَةٌ فِي مُقَابِلِ ثَنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً! فَأَصْحَابُهَا كَمْ سَيَبْلُغُونَ؟ قَلَّةٌ، وَلَكِنَّهُمْ مَعَ قَلَّتِهِمْ؛ هُمُ الْأَعْظَمُونَ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

تُعِيرُنَا: أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا ... فَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ

وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا ... عَزِيزٌ، وَجَارُ الْأَكْثَرَيْنِ ذَلِيلٌ

ما يضرنا القلة ما دُمنا أعزةً في دين الله جل وعلا، ومن سار معنا يُعزّه الله بعزّ الإسلام والسنة، فالقلة ليست عيباً، فهذا هو الأصل الذي يُفخر به: (اتباع الكتاب والسنة)، حتى قال قائل أهل السنة من الحنابلة في الردّ على من احتجّ عليه بقلّتهم:

يَقُولُونَ لِي: قَدْ قَلَّ مَذْهَبُ أَحْمَدٍ^(٦٨).... فَقُلْتُ لَهُمْ: إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ

ما يضرُّ أهل السنة أن يكونوا قلةً، فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فهم الأقلُّون عدداً لكنَّهم الأعظمون عند الله قدرا، أعيُنهم ساهرةٌ في حماية هذا الدين، وقائمون رحمهم الله بحمايته مع غربتهم وغربته في آخر الزمان، لا يضرُّهم من خذلهم، ولا من خالفهم إلى أن تقوم الساعة، وأمرهم (ولله الحمد) في ظهور، وهم ظاهرون كما بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فهذا القسم: هم الذين في الحقيقة هَجَمَ بهم العلم على الحقيقة؛ فعرفوا الدنيا وحقارتها، فتجافوا عنها، وبذلوا أرواحهم رخيصةً في سبيل إبلاغ هذا العلم وإيصاله كما تركنا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، نعم.

[المتن]: وقد قَسَمَ الحسنُ البصريُّ رحمه الله حملةَ القرآنِ إلى قريبٍ من هذا التقسيم الذي قَسَمَهُ عليُّ رضي الله عنه لحملة العلم، قال الحسن: قَرَأَ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ.

[الشرح]: والقرآن هو ينبوع العلم، ينبوع العلوم كلها: القرآن والسنة، فإذا قَسَمَ الحسن حملة القرآن هذا التقسيم فلم يبعد؛ فإن القرآن أصل العلم، كما قال جل وعلا: {وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}^(٦٩)، {وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا}^(٧٠)، قال جل وعلا: {وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}^(٧١)، قوله سبحانه وتعالى لهذا النبي، ردّ على

^{٦٨} _ قال الشيخ موضحاً: "ما يريدون الفقه، يريدون السنة التي جاء بها، رحمه الله تعالى، ودافع عنها، وثبت في سبيل نصرتها، يقولون لي: قد قلّ مذهب أحمد".

^{٦٩} _ النساء (١١٣).

^{٧٠} _ الإسراء (١٠٦).

^{٧١} _ الفرقان (٣٣).

القائلين: ليش ما نزل مرة واحدة؟! {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا} (٧٢)، هذا هو الكتاب الذي حوى العلوم كلها {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} (٧٣) فأصل العلوم كلها.

وَبَعْدُ: إِنَّ الْعِلْمَ خَيْرٌ مُقْتَنَى ... وَالْفَقْهُ أَوْلَى مَا بِهِ الْعَبْدُ اعْتَنَى

حَضَّ عَلَيْهِ اللَّهُ وَالرَّسُولُ ... فِي جُمَلِ شُرُوحِهَا تَطُولُ

مَنْ لَمْ يَكُنْ يَفْقَهُ؛ كَيْفَ يَعْمَلُ ... بِمُوجِبِ الشَّرْعِ الَّذِي لَا يَعْقِلُ؟!

فهذا العلم أصله الكتاب والسنة.

وَبَعْدُ: فَالْأَدِلَّةُ الشَّرْعِيَّةُ ... فِي جُمْلَةِ الْفَرَائِضِ الدِّينِيَّةِ

يَنْبُوعُهَا هُوَ الْكِتَابُ الْمُقْتَفَى ... وَسُنَّةُ الْهَادِي الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى

وَهَذِهِ أَرْجُوزَةٌ يَسِيرَةٌ ... جَامِعَةٌ لِجُمَلِ كَثِيرَةٍ

جَعَلْتُهَا إِشَارَةً إِلَيْهَا ... تَدُلُّ كُلَّ رَاغِبٍ عَلَيْهَا

وَاللَّهُ أَرْجُو الْمَنْ بِالْإِكْمَالِ ... وَالْعَوْنُ وَالتَّسْدِيدُ فِي الْمَقَالِ

(السُّبُلُ السَّوِيَّةُ لِفَقْهِ السُّنَنِ الْمَرْوِيَّةِ)، فالفقه هو الكتاب والسنة، الفقه هو الكتاب والسنة، فإذا

قَسَمَ الْحَسَنُ هَذَا التَّقْسِيمَ؛ فَعَلِيٌّ: عَمُومُ الْعِلْمِ، وَأَصْلُ الْعِلْمِ الْقُرْآنُ، نَعَمْ.

^{٧٢} _ الفرقان (٣٢).

^{٧٣} _ العلق (١-٥).

[المتن]: صنف: اتَّخَذُوهُ بَضَاعَةً يَأْكُلُونَ بِهِ، وَصَنَفُ: أَقَامُوا حُرُوفَهُ، وَضَيَّعُوا حَدُودَهُ^(٧٤)، وَاسْتَطَالُوا بِهِ عَلَى أَهْلِ بِلَادِهِمْ وَأَسَدُّنُوا بِهِ الْوَلَايَةَ، كَثُرَ هَذَا الضَّرْبُ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ! لَا كَثُرَهُمْ اللَّهُ^(٧٥)، وَصَنَفُ عَمَدُوا إِلَى دَوَاءِ الْقُرْآنِ، فَوَضَعُوهُ عَلَى دَاءِ قُلُوبِهِمْ، فَرَكَدُوا بِهِ فِي مُحَارِبِهِمْ، وَحَنَوْا بِهِ فِي بَرَانِسِهِمْ، وَاسْتَشَعَرُوا الْخَوْفَ، وَارْتَدَّوْا الْحُزْنَ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْقِي اللَّهُ بِهِمُ الْغَيْثَ، وَيَنْصُرُ بِهِمُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَاللَّهُ لَهَؤْلَاءِ الضَّرْبِ فِي حَمَلَةِ الْقُرْآنِ أَعَزُّ مِنَ الْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ^(٧٦)، فَأَخْبَرَ أَنَّ هَذَا الْقِسْمَ (وَهُمُ الَّذِينَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ لِلَّهِ، وَجَعَلُوهُ دَوَاءً لِقُلُوبِهِمْ، فَأَثْمَرَ لَهُمُ الْخَوْفَ وَالْحُزْنَ)؛ أَعَزُّ مِنَ الْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ بَيْنَ قُرَّاءِ الْقُرْآنِ.

[الشرح]: الله أكبر، هذا حالُّهم (كما تقدَّم) في العلم عموماً، وَمِنْ جَمَلَةِ الْعِلْمِ عِلْمُ الْكِتَابِ الْعَظِيمِ، هَذَا الْكِتَابُ الْكَرِيمُ الَّذِي حَوَى مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى، مَادُّبَةُ اللَّهِ تَعَالَى، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَ رَبِّهِ فَلْيَقْرَأِ الْقُرْآنَ، وَأَهْلُ الْقُرْآنِ حَقًّا هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ، وَأَهْلُهُ حَقًّا هُمُ الْحَامِلُونَ لَهُ (كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) غَيْرُ غَلَاةٍ فِيهِ وَلَا جَفَاةٍ عَنْهُ، هَؤُلَاءِ يَجِبُ إِكْرَامُهُمْ، هَؤُلَاءِ يَجِبُ إِكْرَامُهُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَامِلُ الْقُرْآنِ غَيْرُ الْغَالِي فِيهِ وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، بَلْ وَسَطُ بَيْنِ الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ، فَالْصَّنْفُ الْأَوَّلُ: الَّذِينَ اتَّخَذُوهُ بَضَاعَةً يَأْكُلُونَ بِهِ، مِثْلُ مَا تَرَوْنَ الْآنَ الْقُرَّاءَ بِالْفُلُوسِ! الْقُرَّاءَ بِالْفُلُوسِ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الْمَجَالِسِ وَفِي الْمَآتَمِ، يَتَأَكَّلُونَ بِهِ، وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى هَذَا الْقَارِئِ وَإِذَا بِهِ فِي شِقِّ وَجَانِبِ الْقُرْآنِ الَّذِي يَقْرُؤُهُ وَنَسَمِعَهُ مِنْهُ فِي شِقِّ آخَرٍ! لَيْسَ لَهُ إِلَّا التَّلَاوَةُ فِيهِ وَيَأْخُذُ الدَّرَاهِمَ عَلَى الْخَتْمَةِ، وَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِهَذَا، وَمَا نَحْتَاجُ نَظِيلَ فِيهِ، فِي هَذَا الزَّمَنِ خَاصَّةً مُوجُودٌ، وَصَنَفُ أَقَامُوا حُرُوفَهُ؛ يَعْنِي: اعْتَنَوْا بِالتَّجْوِيدِ وَالْإِتْقَانِ فِي الْقِرَاءَةِ لَكِنْ مَعَ إِتْقَانِهِمْ لِلْقِرَاءَةِ يَقْرَءُونَهُ وَيَحْرِصُونَ عَلَى إِقَامَةِ التَّجْوِيدِ وَتَحْسِينِهِ وَعَدَمِ الْإِخْلَالِ بِالْأَدَاءِ وَمَعْرِفَةِ مَخَارِجِ الْحُرُوفِ عِنْدَ الْأَدَاءِ وَالضَّبْطِ لَذَلِكَ كُلُّهُ؛ لَكِنْ مَخَارِجُ الْحُدُودِ لَا يَعْرِفُونَهَا، الْعَمَلُ بِمَا فِيهِ

^{٧٤} _ هُنَا فِي الْأَصْلِ؛ قَالَ الشَّيْخُ حَفْظُهُ اللَّهُ: " هَؤُلَاءِ قُرَّاءُ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ، الصَّنْفُ الْأَوَّلُ: صَنَفٌ ... " .

^{٧٥} _ قَالَ الشَّيْخُ حَفْظُهُ اللَّهُ هُنَا: " اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، نَعَمْ " .

^{٧٦} _ قَالَ الشَّيْخُ حَفْظُهُ اللَّهُ هُنَا: " اللَّهُ أَكْبَرُ " .

ضَيْعُوهُ، إنما غاية ما وصلوا إليه أنهم استطالوا [بهم]^(٧٧) على أهل الإسلام؛ يعني: يترفعون به عليهم؛ هذا حافظ للقرآن، هذا حافظ القرآن، حافظ للقرآن، ونحو ذلك، لكن بعد ذلك لا تجد أثرا لهذا القرآن! [...] ^(٧٨) هذا حافظ القرآن؛ وَلَوْهُ الإمامة، تُوَلُّوهُ الإمامة: تخرج في الشارع؛ تراه مِنْ أَفْجَرِ النَّاسِ، نعوذ بالله مِنْ ذلك، تسمع لسانه؛ مِنْ أَبْذَى النَّاسِ لسانا، ترى تعاملاته؛ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ معاملَةً، نعوذ بالله مِنْ ذلك، فهؤلاء أقاموا الحروف، وأما الحدود فضيَعوها، استطالوا به على الإسلام وأَسَدُّوْا به الولاية، يطلبون به المناصب، ثم يقول الحسن: كَثُرَ هذا الضربُ مِنْ حملة القرآن، في زمانه! الحسن البصري مِنْ كبار التابعين، يقول: لا كَثُرَهُمُ اللهُ! كيف لو جاء اليومَ الحسنُ البصريُّ ورآنا نحن؛ ما عسى أَنْ يقول فينا؟! نسأل الله اللُّطْفَ والمسامحةَ، وأما الصنف الثالث مِنْ حملته: فهم الذين عَمَدُوا إلى دواء القرآن {وَتَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} ^(٧٩)، فهذا الشفاء عَمَدُوا إليه، وداوَوْا به قلوبَهُمْ، فأخرج منها الكفرَ وأحلَّ الإيمانَ، سَقَاها الإيمانَ، أخرج منها الرياءَ، وأحلَّ فيها الإخلاصَ، أخرج منها العجبَ والكبرَ وأحلَّ فيها التواضعَ، أخرج منها الجهلَ وأحلَّ فيها العلمَ، أخرج منها الظلمةَ والشكوكَ والحيرةَ والرَّيْبَ وأحلَّ محلَّ ذلك النورَ والفهمَ والعلمَ وجلاء البصيرةَ، فركدوا به في محاربيهم؛ ثَبَّتُوا به، قاموا بحقه في العبادَةِ، تَجِدُ العبادَةَ {سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ} ^(٨٠)، {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} ^(٨١)، سبحانه وتعالى، ومِمَّا رَزَقَهُمْ يَنْفِقُونَ؛ لأنَّهُمْ استشعروا هذا القرآنَ {أَمَّنْ هُوَ قَانِثُ آتَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} ^(٨٢)؛ الجوابُ: "لا"، هؤلاء هم الصنف الذين

^{٧٧} _ هكذا في الأصل.

^{٧٨} _ كلمة غير ظاهرة.

^{٧٩} _ الإسراء (٨٢).

^{٨٠} _ الفتح (٢٩).

^{٨١} _ السجدة (١٦)؛ وآخرها: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}.

^{٨٢} _ الزمر (٩).

قاموا بالقرآن، فحملهم على هذا الذي قصه الله عنهم {أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آتَاءَ اللَّيْلِ} والقانت: هو المطيئ للقيام في الصلاة، كما سئل النبي صلى الله عليه وسلم: أي الصلاة أفضل؟ قال: أطولها قنوتاً، فكان يقوم صلى الله عليه وسلم حتى تَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فقليل له، فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً؛ لأن الشاكرين قليل {اعملوا آل دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} ^(٨٣)، فأحب صلى الله عليه وسلم أن يكون من هؤلاء الشاكرين، وفي حديث السائب في قيام الليل في رمضان، أخبر أنه كان يُقام بهم حتى إنهم ليتكئون على العصي من طول القيام، هكذا عرفوا هذا الكتاب.

وَبِالتَّدْبِيرِ وَالتَّرْتِيلِ فَاتْلُ كِتَابَ ... بِ اللَّهِ لَا سِيَّمَا فِي حُنْدُسِ الظُّلَمِ

^(٨٤) حَكَمٌ بَرَاهِينُهُ، وَاعْمَلْ بِمُوجِبِهِ ... حِلًّا وَحَظْرًا وَمَا قَدْ حَدَّثَهُ أَقِم

فالواجب على العبد أن يكون من هذا الصنف من الناس الذين استشعروا الخوف من الله، فجعلوه شعاراً، والشعار: هو الذي يلاصق البدن، وارْتَدُّوا الْحُزْنَ؛ جعلوه من فوقهم، من فوق الشعار كالنوب، (العبادة من فوق)، فجعلوها رداءً، فعلاقتهم الحزن مما يروونه في هذه الدنيا، وقلوبهم متعلقة بالآخرة كما ذكر علي رضي الله تعالى عنه بالأمس، فهؤلاء الذين يسقي الله بهم الغيث، إذا استغاث أهل الإسلام فينبغي لهم أن ينظروا إلى أهل الصلاح ويبحثوا عنهم؛ لأنهم أقرب إلى إجابة الدعاء، وهذا منصوص عليه في كتب الفقه، في صلاة الاستغاثة، وينصر الله بهم على الأعداء؛ كما جاء عن عدد من السلف رضي الله تعالى عنهم، ^(٨٥) جاء في قصة (أو: في ترجمة) محمد بن واسع الليثي رحمه الله تعالى، وكان في غزاة في جيش المسلمين، فطلبه الأمير فلم يجده، فأرسل من يبحث عنه وهم في الغزاة في الليل يهَيِّؤُونَ أَمْرَهُمْ لاستقبال عدوهم غداً، فوجدوه قد ترك القوم، واتَّجَهَ إِلَى أَجْمَةٍ مِنَ الْأَجْمَاتِ وَخَلَا بَرَبَّهُ فِيهَا، وَأَخَذَ يُنَاشِدُ

^{٨٣} _ سبأ (١٣).

^{٨٤} _ هنا في الأصل: "إلى أن قال: ".

^{٨٥} _ هنا في الأصل: "هؤلاء".

رَبِّهِ وَيَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ وَيَتَمَلَّقُهُ وَيَدْعُوهُ بالنصر للمسلمين، ويرفع يديه بذلك، فجاءوا للأمير وأخبروه، قال: دَعُوهُ، فوالله لَسَبَّابَتُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ سَيْفٍ شَهِيرٍ يَحْمِلُهُ مِائَةُ أَلْفِ شَابٍ طَرِيرٍ، والله ما علمناه إلا مستجاب الدعوة، فَفُتِحَ عليهم بسببه وبأمثاله بعد رحمة الله جل وعلا، فهؤلاء هم حملة القرآن، تَرَكَ الليلَ مع هؤلاء وذهب لعبادته وعادته، فبهم يُنَصَّرُ على الأعداء، وبهم يستغاثُ ما عند الله في السماء، فهؤلاء الضُّرْبُ مِنْ حملة القرآن قِلَّةٌ، بل كما يقول المصنف: أَعَزُّ مِنَ الْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ، ما تكاد تجدُهُمْ إلا أُنْدَرَ مِنَ النَّادِرِ، نسأل الله جل وعلا أن يرحمنا وإياكم جميعاً برحمته، وَأَنْ يَغْمُرَنَا وإياكم بفضله جل وعلا، وَأَنْ يَسْتُرَنَا بِسِتْرِهِ الْجَمِيلِ، وَأَلَّا يَهْتِكَ لَنَا سِتْرًا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، نعم.

[المتن]: وَصَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَذَا الْقِسْمَ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ بِصِفَاتٍ؛ مِنْهَا: أَنَّهُ هَجَمَ بِهِمْ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ الْعِلْمَ دَلَّاهُمْ عَلَى الْمَقْصُودِ الْأَعْظَمِ مِنْهُ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى، فَخَافُوهُ وَأَحْبَبُوهُ حَتَّى سَهَّلَ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ كُلَّ مَا تَعَسَّرَ عَلَى غَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يَصِلُوا إِلَى مَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِمَّنْ وَقَفَ مَعَ الدُّنْيَا وَزَهَرَتْهَا وَاغْتَرَّتْ بِهَا، وَلَمْ يَبَاشِرْ قَلْبُهُ مَعْرِفَةَ اللَّهِ وَعَظَمَتَهُ وَإِجْلَالَهُ، فَلِذَلِكَ قَالَ: اسْتَلاَنُوا مَا اسْتَوَعَرَ مِنْهُ الْمُتَرَفُّونَ، فَإِنَّ الْمُتَرَفَّ الْوَاقِفَ مَعَ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا وَلذَاتِهَا يَصْعَبُ عَلَيْهِ تَرْكُ لذَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا؛ لِأَنَّهُ لَا عَوْضَ عِنْدَهُ مِنْ لذَاتِ الدُّنْيَا إِذَا تَرَكَهَا، فَهُوَ لَا يَصْبِرُ عَلَى تَرْكِهَا، وَهَؤُلَاءِ فِي قُلُوبِهِمُ الْعَوْضُ الْأَكْبَرُ بِمَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ لَذَّةِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَإِجْلَالِهِ، كَمَا كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: إِنَّ أَحِبَّاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ وَرِثُوا طَيْبَ الْحَيَاةِ وَذَاقُوا نَعِيمَهَا بِمَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ مَنَاجَاةِ حَبِيبِهِمْ، وَبِمَا وَجَدُوا مِنْ لَذَّةِ حُبِّهِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَفِي [...] ^(٨٦) كَلَامٍ يَطُولُ ذِكْرُهُ هَا هُنَا فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَإِنَّمَا أُنِسَ هَؤُلَاءِ بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ؛ لِأَنَّ الْجَاهِلِينَ بِاللَّهِ يَسْتَوْحِشُونَ مِنْ تَرْكِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ سِوَاهَا، فَهِيَ أُنْسُهُمْ، وَهَؤُلَاءِ يَسْتَوْحِشُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَيَسْتَأْنِسُونَ بِاللَّهِ وَبِذِكْرِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، وَالْجَاهِلُونَ بِاللَّهِ يَسْتَوْحِشُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَا يَجِدُونَ الْأُنْسَ بِهِ، وَمِنْ صِفَاتِهِمُ الَّتِي وَصَفَهُمْ بِهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ رَضِيَ

^{٨٦} _ كلمة غير واضحة.

الله عنه: أَنَّهُمْ صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَتَّخِذُوا الدُّنْيَا وَطَنًا، وَلَا رَضُوا بِهَا إِقَامَةً وَمَسْكَنًا، وَإِنَّمَا اتَّخَذُوهَا مَمَرًا، وَلَمْ يَجْعَلُوهَا مُسْتَقَرًّا.

[الشرح]: الله أكبر، نعم، ولهذا قال القائل في وصف هؤلاء:

إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فُطِنَا طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا

نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا ... أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ سَكَنَّا

جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا ... صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُنُنًا

نسأل الله جل وعلا أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ جَمِيعًا مِنْ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ، وَأَنْ يَعِينَنَا عَلَى أَنْفُسِنَا، نَعَمْ.

[المتن]: وَجَمِيعُ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ أَوْصَتْ بِهَذَا، وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ عَنْ مُؤْمِنِي آلِ فِرْعَوْنَ

أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ فِي جُمْلَةٍ وَعَظِهِ لَهُمْ: {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} ^(٨٧).

[الشرح]: والمراد بالمتاع: أَنَّهُ الَّذِي يَنْتَهِي {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا

تُظْلَمُونَ فِتْيَلًا} ^(٨٨)، فالمتاع أُطْلِقَ عَلَيْهِ هَذَا الْاسْمُ؛ لِأَنَّهُ يَتِمَّتُّعُ بِهِ، وَكُلُّ مَا تُمَتَّعُ بِهِ فَسَيَنْتَهِي، إِنْ كَانَ

بِالْأَكْلِ فَسَيَنْتَهِي، وَإِنْ كَانَ بِالسِّنِّ فَسَيَنْتَهِي، وَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ فَسَيَنْتَهِي، وَإِنْ كَانَ بِالشَّرَابِ فَسَيَنْتَهِي، فَإِنَّ

النَّمَتَّعَ بِهِ يُفْنِيهِ، فَهَكَذَا الدُّنْيَا هِيَ مَتَاعٌ، مَتَاعٌ فَانِي، مَتَاعٌ زَائِلٌ، يَتِمَّتُّعُ بِهَا مَنْ يَتِمَّتُّعُ فَتَفْنَى، وَلَكِنْ

الْآخِرَةُ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ، دَارُ الْإِسْتِقْرَارِ وَالْمَقَامِ الدَّائِمِ، الَّذِي لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَحَوَّلُ، نَعَمْ.

[المتن]: وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِابْنِ عَمْرِو: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَفِي

رَوَايَةٍ: وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ.

^{٨٧} _ غافر (٣٩).

^{٨٨} _ النساء (٧٧).

[الشرح]: وهذا الحديث أصلٌ في الحثِّ على الفراغ عن الدنيا والزُّهْدِ فيها، هذا الحديث أصلٌ في هذا الباب، كُنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرٌ سبيل؛ هذا حثٌّ على الفراغ عن الدنيا، تفريغ القلب منها والزُّهْدِ فيها، وأنها ليست بشيءٍ، ما هي بشيءٍ، مهما تمتعتَ، مهما طال العمرُ؛ ستتركها وتغادر، فهي حقيرةٌ، ما هي بشيءٍ، لو كانت عند الله تساوي جناح بعوضةٍ ما سقى منها كافراً شربةً ماءً، إذا هي عند الله أحقرُّ مِنَ البعوضة، فيجب على العقلاء أَنْ يُنْزِلُوهَا مَنْزِلَتَهَا، ما هي شيءٌ، الدنيا ما هي شيءٌ، بِقُصُورِهَا وبحارِها وجبالِها وأنهارِها وكل ما فيها مِنَ البرزخ؛ ليست بشيءٍ، وأنت تنتقل عنها راعماً، وتُخَلِّفُ ما تَخَلِّفُ لِمَنْ يَأْتِي بِعَدِكَ، فهي حقيرةٌ.

هِيَ الدَّارُ دَارُ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْعَنَاءِ سَرِيعُ تَقْضِيَّتِهَا قَرِيبُ زَوَالِهَا

إِذَا أَضْحَكَتْ أَبْكْتَ وَإِنْ رَامَ وَصَلَهَا ... غَبِيٌّ فَيَا سُرْعَ انْقِطَاعِ وَصَالِهَا

دارُ الغرور، ما هي شيءٌ، {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا} (٨٩)، ما هي شيءٌ، هذا الحديث والله أصلٌ في التزهيد والاحتقار للدنيا، وأنها ليست بشيءٍ، والواجبُ على المسلم العاقل أَنْ يأخذَ منها بِالْبُلْغَةِ التي تُعِينُهُ فِي سَفَرِهِ إِلَى دَارِ إِقَامَتِهِ، والمعنى: أَنْكَ لَا تَرَكْنَ إِلَى هَذِهِ الدُّنْيَا، وَلَا تَتَّخِذَهَا وَطَنًا، وَلِتَحْدِثْ نَفْسَكَ بِالْبَقَاءِ فِيهَا مَهْمَا كُنْتَ؛ قَوِيَّ سُلْطَانِكَ، أَوْ عَزَّ جَاهُكَ، أَوْ كَثُرَ مَالُكَ، أَوْ كَثُرَ أَوْلَادُكَ، لَا بَقَاءَ لَكَ فِيهَا، لَا تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إِلَّا بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ، وَالْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ لَا يُثْقِلُ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ دَارُ مَقَامٍ لَهُ فِي هَذَا الْمَكَانِ، فِي هَذَا الْمَكَانِ لَيْسَ دَارُ مَقَامٍ، فَلِذَلِكَ لَا يُثْقِلُ نَفْسَهُ بِالْمَتَاعِ لِأَنَّهُ مُسَافِرٌ، فَهَكَذَا الْغَرِيبُ فِي الدُّنْيَا؛ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَالِنًا مَعَ الدُّنْيَا هَكَذَا، مَا هِيَ شَيْءٌ، مَا هِيَ شَيْءٌ، وَاللَّهُ مَنْ عَمَرَ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ؛ يَرَاهَا أَحْقَرَ مَا تَكُونُ، مَا هِيَ شَيْءٌ، مَا هِيَ شَيْءٌ أَبَدًا، فَلِهَذَا يَقُولُ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا كَالْغَرِيبِ (سَيَأْتِي مَعْنَاهُ) لَا يَجْزَعُ مِنْ دُلَّهَا، يَعْلَمُ أَنَّ طَوْلَ حَيَاتِهِ

^{٨٩} _ النساء (٧٧).

فيها سينقضي، فيتحمل ما يلحقه من قلة ذات اليد والفقر واحتقار أهل الباطل له من الملوك والرؤساء وأرباب الدنيا وأرباب الأموال، وهو يرى نفسه أعز وأعلى منهم، لا يقف بباب أحد منهم، الدنيا كلها ما هي شيء، لا تسوى شيئاً، ما معه بين قلبه وبين جناحيه من الدين والإيمان والتقوى أعظم من ذلك كله، لا ينافس في عزها، للناس حال ولهم حال (سيأتينا إن شاء الله بعد قليل)، فالدنيا ما هي شيء، معشر الأحبة، لهذا كتب فيه بعض السلف إلى بعض إخوانه في هذا، فقال له: يا أخي، يُخيلُ إليك أنك مقيم (يعني: في هذه الدنيا) بل أنت دائب السَّير، أنت دائب السير، مستمرٌ تمشي، تساق مع ذلك سَوْقاً حثيثاً، وأنت لا تشعُر، الموتُ مُتَّجِهٌ إليك، والدنيا تُطَوِّى عنك، هذا [...] ^(٩٠)، ولذلك لما قالوا لعلي رضي الله تعالى عنه: يا أمير المؤمنين قل لنا في الدنيا [...] ^(٩١)، قال لهم: أَتَجَوَّزُ أم أَبْسُطُ؟ قالوا: تَسَمَّحْ، قال: ارتحلت الدنيا مدبرةً، وارتحلت الآخرة مقبلةً، ولكلٍّ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، أنت الآن في الدنيا إذا جئتَ تجلس إلى مَنْ يقومُ عنك؛ تجلس إليه؟ ما تجلس إليه، تعرف أنه لا يُقدِّركَ، ولا يحترمُكَ، فتُعَرِّضُ عنه، وتتركه وشأنه، وإنما تجلس إلى مَنْ يستقبلُكَ، فهكذا الدنيا، الدنيا أنت تجلس إليها وهي معرضةٌ عنك مرتحلةٌ، وأما الآخرة فهي تناديك، ومقبلٌ أنت عليها، وهي مقبلةٌ إليك، وستقبلُ عليها بالقوة رغماً عنك، فالعاقِلُ يأوي إلى مَنْ يستقبله، ولا يأوي إلى مَنْ يُعَرِّضُ عنه ويستدبره، هذا كلامٌ عظيمٌ من أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه، وله في الحكمة كلامٌ كثيرٌ رضي الله تعالى عنه، مَنْ كانت الأيام والليالي مطاياهِ سارت به وإن لم يسرْ يا معشر الأحبة، الأعمارُ هي أيامٌ وليالي.

إِنَّا لَنَفْرَحُ بِالْأَيَّامِ نَقْطَعُهَا ... وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى يَدْنِي مِنَ الْأَجَلِ

^{٩٠} _ كلمة غير ظاهرة.

^{٩١} _ كلمة غير ظاهرة.

فالأيامَ مراحلُ تُطَوَّى، مَنْ كانتِ الأيامُ والليالي هي المطايا له؛ سارت به وإن لم يسر (وإن كان واقفا)، العمرُ يمشي، يمضي من العبد، في هذا يقول القائل:

نَسِيرُ إِلَى الْآجَالِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ... وَأَيَّامُنَا تُطَوَّى وَهَنَّ مَرَّاحِلُ

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْمَوْتِ حَقًّا كَأَنَّهُ ... إِذَا مَا تَخَطَّتْهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ

مَنْ لَمْ يَمُتِ الْيَوْمَ؛ يَغْتَرَّ بِالْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا، يَغُرُّهُ أَنْ أَمَهَلَهُ اللَّهُ جُلَّ وَعَلَا.

وَمَا أَقْبَحَ التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الصَّبَا ... فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ لِلرَّأْسِ شَاعِلُ

إذا اشتعلَ الشَّيْبُ؛ ما بقي شيءٌ من العمرِ {وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ}، {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ} ^(٩٢)؛ والنذيرُ فُسِّرَ بأنه الشَّيْبُ.

تَرَحَّلْ مِنَ الدُّنْيَا بَزَادٍ مِنَ التَّقَى ... فَعُمُرُكَ أَيَّامٌ وَهَنَّ قَلَائِلُ

ماذا يجد الإنسان؟ ما يجد شيئاً، كلُّه سيغادرُه، سَيُلْفُ في لفافةٍ مِنْ قُمَاشٍ فِي مِثْرٍ مِنَ الْأَرْضِ، معشرُ الأحبة، الدنيا زائلةٌ، فيجب على العبد أن ينظر فيما يقربُه إلى الله جلَّ وعلا، وأن ينظر إلى أهل السعادة والتَّقَى، وأن يصحبهم، وأن يقوم بما أوجب الله جلَّ وعلا عليه، فإنه لا يدري متى يَفْجُوهُ الأَجَلُ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفِّقنا وإياكم لاغتنام الأعمار والأوقات وإزهاقها في الصالحات، فإنَّ هذا هو الذي يبقى، وأمَّا حديثُ عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنه فهو حديثٌ صحيحٌ معروفٌ، والزيادةُ التي فيه فيها ضَعْفٌ: "وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ"؛ هذه فيها ضَعْفٌ، والمراد بها: أنه ييأس من أهل الدنيا، ومن طُولِ البقاء فيها، مهما طال فإنه سيغادرُها، هذه الزيادة فيها ضَعْفٌ، وهي عند الإمام أحمد رحمه الله تعالى وابن ماجه، وفيها ضَعْفٌ، والحديث الصحيح هو الذي تقدَّم: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ

^{٩٢} _ فاطر (٣٧).

عابرٌ سبيلٍ"، والمعنى: أنَّ الغريبَ وعابرَ السبيلِ لا يَقَرُّ له قَرَارٌ في مكانِ الغربةِ، والمسافر لا يَقِفُ، فهو دائمُ السَّيْرِ في طريقه حتى يَصِلَ إلى بلده، نعم.

[المتن]: وَمِنْ وصايا المسيح المروية عنه عليه السلام أَنَّهُ قال لأصحابه: اعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا، وعنه عليه السلام: مَنْ الذي يبني على مَوْجِ الْبَحْرِ دَارًا؟! تلك الدُّنْيَا فلا تَتَّخِذُوهَا قَرَارًا.

[الشرح]: نعم، قوله: اعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا؛ المراد به: أَنْ تَتَّخِذَهَا طريقًا، فأنت مسافر، فالطريق هو للعبور والمروء لا لِلْعِمَارَةِ، وهكذا الذي يبني على موجِ البحرِ دارًا؛ مَنْ؟ الدنيا ليس لها قرارٌ، فهي تَتَقَلَّبُ كموج البحر، والذي يَنْشُدُ البناءَ على موج البحر ليس بعاقِل، إنما يُبْنَى على الثابت، والثبات في الآخرة، وأما الدنيا فهي مُتَقَلِّبَةٌ، نعم.

[المتن]: فالْمُؤْمِنُ في الدنيا كالغريب المجتاز ببلدةٍ غيرِ مُستَوطنٍ فيها، فهو يَشْتَأقُ إلى بلده، وهَمُّهُ الرجوعُ إليه، والتَّزَوُّدُ بما يُوصِلُهُ في طريقه إلى وطنِهِ، ولا ينافِسُ أهلَ ذلك البلدِ المستوطنين فيه في عِزِّهِمْ، ولا يَجْزَعُ ممَّا أصابه عندهم مِنَ الدُّلِّ.

[الشرح]: والمراد بالذل عندهم: دُلُّ الغربةِ، حينما يكون غريبًا في هذه البلدة؛ الغريبُ ليس بعزيزٍ بين أهل هذه البلد، ليس له فيها أهلٌ، ولا ولدٌ، ولا عشيرةٌ يَتَّقَوْنَ بهم، فهو ذليلٌ بينهم، فحينما كان بينهم ذليلًا بسبب غربته؛ هكذا أهل الحق (أهل الهدى) في غربةٍ بين أهل الباطل (أهل الشبهات وأهل الشهوات)؛ فلذلك لا ينافِسُهُمْ في عِزِّهِمْ، لأنه لا يُقْبَلُ بينهم، ولا يَجْزَعُ مما يلحقه منهم، لأنه غريبٌ بينهم، والغريب سيغادر، وهكذا صاحب الحق عليه أَنْ يصبر ويَحْتَسِبَ في الثبات على الحقِّ والدَّعْوَةِ إليه والصبرِ على الأذى فيه؛ لأنه سيغادر، ما يَضُرُّه، الذي يَلْحَقُهُ سيزول؛ إما بموتِ عَدُوِّهِ مِنْ أعداء السنة، وإمَّا بذهابِهِ هو، فيكون مُنْتَقِلًا إلى الله جل وعلا، كما قال السلف رحمهم الله: "مستريحٌ ومستراحٌ منه"؛ مستراحٌ مِنْ صاحب الباطل، ومستريحٌ صاحبُ الحقِّ إِنْ غَادَرَ أهلَ الباطلِ، فهو في غربته

هذه (ولله الحمد) لا يحسُّ بها، لا يجزَع؛ لأنَّه يعلم أنَّه منتقل، فهذا يُسلِّيهِ بأنَّ الوقت قصيرٌ، وستنتهي هذه المحنةُ مهما كان، نسأل الله الثبات، نعم.

[المتن]: قال الفضيل بن عياض: المؤمن في الدنيا مهمومٌ حزينٌ، همُّه مَرَمَّةُ جَهَازِهِ، وقال الحسن: المؤمن في الدنيا كالغريب لا يجزع من دُلَّهَآ، ولا ينافس في عزَّهَآ، له شأنٌ وللناسِ شأنٌ، وفي الحقيقة فالمؤمن في الدنيا غريبٌ، لأنَّ أباه إنما كان في دار البقاء.

[الشرح]: يعني: آدمٌ عليه الصلاة والسلام كان في دار البقاء في جنة الخلد، ثم أُهبطَ منها، ثم بقي متعلِّقًا بالرجوع إلى وطنه الذي وُجدَ فيه أولَ مرَّةٍ، نعم.

[المتن]: لأنَّ أباه إنما كان في دار البقاء ثم أُخْرِجَ منها، فَهَمُّهُ الرجوعُ إلى مسكنه الأوَّلِ، فهو أبدًا يَحِنُّ إلى وطنه الذي أُخْرِجَ منه كما يقال: حُبُّ الوطنِ مِنَ الإيمانِ.

[الشرح]: هذا يُروى حديثًا، وليس بحديث، إنما هو مقولةٌ، ليس بحديث، إنما هو مقولةٌ.

[المتن]: وكما قيل:

كَمْ مَنْزِلٍ لِلْمَرْءِ يَأْلِفُهُ الْفَتَى ... وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنْزِلٍ

ولبعض شيوخننا في هذا المعنى:

فَحَيَّ عَلَى جَنَاتٍ عَدَنٍ فَإِنَّهَا ... مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ

وَلَكِنَّا سَبَى الْعَدُوِّ فَهَلْ تَرَى ... نَعُودُ إِلَى أَوْطَانِنَا وَنُسَلِّمُ

وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْغَرِيبَ إِذَا نَأَى ... وَشَطَّتْ بِهِ أَوْطَانُهُ فَهُوَ مُغْرَمٌ

وَأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا النَّيِّ ... لَهَا أَضْحَتِ الْأَعْدَاءُ فِينَا تَحَكَّمَ

[الشرح]: نعم، هذه الأبيات لابن القيم رحمه الله تعالى، وهو شيخه، في قصيدته (الميمية)، التي

مَطلَعُها:

إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ فَإِنَّهَا ... عَلَامَةٌ تَسْلِيْمِي عَلَيْكُمْ فَسَلِّمُوا

وَقُولُوا: مُحِبُّ قَادَةِ الشَّوْقِ نَحْوَكُمْ ...

إلى آخره، فهي قصيدة عظيمة جميلة جداً في الحث على التزوّد للدار الآخرة والإقبال على الله جل وعلا والزهد في هذه الدنيا والصبر على ما فيها، فإن حصل لكم أن تقرؤوها وتمعنوا فيها؛ فطيب، نعم.

[المتن]: والمؤمنون في هذا أقسام، منهم: مَنْ قلبه معلقٌ بالجنة، ومنهم: مَنْ قلبه معلقٌ عند

خالقه، وهم العارفون.

[الشرح]: المراد به: العلماء، هذا اللفظ من ألفاظ الصوفية، ما يُعرفُ للسلف رحمه الله تعالى،

ويصطلحون عليه، العارفون هم العلماء، العلماء العابدون لرَبِّهم جل وعلا، الزاهدون في هذه الدنيا، فالعارف هو العالم حقيقةً، أما هذه الاصطلاحات: يُطلقونها في مقابل العلماء؛ هذا غير صحيح، اصطلاحات القوم ينبغي ألا تغلبنا نحن معاشر طلبة العلم والسنة، فالعارف حقيقةً هو العالم بالله جل وعلا، الذي يعرفُ ربّه جل وعلا حق المعرفة، نعم.

[المتن]: وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم، يروى ذلك عن ربّه تعالى قال: علامة

الطُّهر أن يكون قلبُ العبدِ عندي مُعلّقًا، فإذا كان كذلك...

[الشرح]: قِفْ على هذا، قِفْ على هذا، لعلنا نقفُ عليه، والله أعلم.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ.

[تنبيه]

هذه السؤالات، قبل ذلك أحب أن أنبئه: اليوم الظُّهرُ نَبَّهَنِي بعضُ أبنائي أنني كنتُ في ترجمة عتبة؛ أقول: "المزني"؛ هكذا؟ وهو المازني، أيه نَعَمْ، فأخطأ محمدُ بنُ هادي وأصاب ابني، هو المازني، إن قُلْتُ: "المزني" فهو غلطٌ ظاهرٌ معروفٌ، هو المازني، هو المازني رضي الله تعالى عنه وأرضاه، ذكّرني به الورقةُ هذه الآن، ووعدته بأن يحصلَ الكلامُ إن شاء الله، فالحمد لله، هذا خطأ ظاهرٌ، أخطأ محمدُ بنُ هادي، والله لا يَضرُّني أن أقولها، والله لهي أبردُ على قلبي من هذا الماء الذي أَشْرَبُهُ، وما يضرني؟ ما يضرني ذلك.

[السؤالات]

[١] هذا يقول: كيف يكون القرآن دواءً للقلوب؟ هل يكون بالرقية فقط؟ لأ، لأ، الرقية نوع من

أنواع الأدوية، فقد تكون هذه الرقية ليست للقلب، قد يكون على عضو من أعضائك، وليس للقلب، ولكن القرآن يكون دواءً للقلوب بإذهاب العماية عنها، بإزالة الجهل عنها، بتنويرها بنور العلم والمعرفة، معرفة الله جل وعلا بأسمائه الحسنی وصفاته العلا التي وصف بها نفسه في كتابه وتعرف بها إلى خلقه، وعرفه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في سنته، فأنت إذا تعرفت على الله جل وعلا بأسمائه وصفاته وعمر ذلك قلبك؛ أجلت هذا الإله العظيم، وسعيت فيما يرضيه، وأحجمت عما يخطئه، فهنا دواء للقلوب من المعاصي والأمراض في هذا الجانب، وهو دواء للقلوب من الشكوك والريب، دواء للقلوب من الشكوك والريب الذي يكون فيها، فإنك إذا قرأته زال عنك ذلك بإذن الله تبارك وتعالى، إذا قرأت البعث؛ كيف يكون أهون على الله جل وعلا؟ زال الشك في هذا الجانب، إذا قرأت قدرة الله جل وعلا على خلق السموات والأرض وما فيها ومن فيها؛ عرفت قدرة الله عليك فأورثك ذلك الخشية والخوف من الله، وهذا لا يكون إلا لأهل الإيمان كما قال جل وعلا: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا} (٩٣)، فهذه الرحمة، هذا الشفاء، هذا الدواء للقلوب؛ هذا الذي عناؤه الله جل وعلا بقوله: {قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ} (٩٤)، {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} (٩٥)، فهذه هي الحقيقة، هذا هو الدواء الحقيقي كما سمعتم في قول علي رضي الله تعالى عنه: هجم بهم العلم على هذا الباب فعرفوه تمام المعرفة، فشقيت هذه الصدور {قَدْ

^{٩٣} _ الإسراء (٨٢).

^{٩٤} _ يونس (٥٧).

^{٩٥} _ يونس (٥٨).

جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ^(٩٦) مِنْ جَمِيعِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَسْقَامِ وَالْأَمْرَاضِ الْحَسِيَةِ
وَالْمَعْنَوِيَةِ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

[٢] هذا سائل يسأل يقول: هل تُمَحَى السيئاتُ والدُّنُوبُ مِنْ صحيفة المرءِ إذا تابَ توبةً نصوحاً؟

نقول له: نعم، الله جل وعلا يقول: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}^(٩٧)، و"لعل":
في حقِّ الله جل وعلا على باب القطع، {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}؛ أي: لتفلقوا عند ربكم جل وعلا إذا تَبَّتُمْ توبةً
نصوحاً {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا}^(٩٨)، أَكْمِلُوا، {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}^(٩٩)؛ متى؟ {يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ
يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}^(١٠٠) الآية، فهذه الآية صريحةٌ أيُّها الأخ السائل الكريم، لكن إذا كانت التوبةُ توبةً
نصوحاً، ومتى تكون التوبةُ توبةً نصوحاً؟ إذا توافرت فيها الشروطُ: أَنْ يُقْلَعَ عَنِ الذَّنْبِ، وَأَنْ يَنْدِمَ عَلَى
فعله، وَأَنْ يَعْزِمَ عَلَى عَدَمِ الْعُودِ إِلَيْهِ إِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ، وَإِذَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلْقِ زَادَ شَرْطًا آخَرَ
وهو أَنْ يَنْتَبِرَّ مِنَ الْحَقُوقِ الَّتِي لَهُمْ قَدْ ظَلَمَهُمْ فِيهَا، وَأَخْذَهَا مِنْهُمْ، فَيُعِيدُهَا إِلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ مَظْلَمَةً فِي
عَرَضٍ نَظَر: فَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ أَخَاهُ لَا يَتَرْتَّبُ عَلَى إِخْبَارِهِ فَسَادٌ أَكْبَرُ أَخْبَرَهُ، وَإِلَّا اكْتَفَى بِالْإِعْذَارِ لَهُ
وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُ وَذِكْرِهِ بِخَيْرٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ نَالَ مِنْهُ أَوْ تَكَلَّمَ فِيهِ، فَإِذَا حَصَلَ ذَلِكَ؛ فَهَذِهِ هِيَ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ،
فَالْتَّوْبَةُ النَّصُوحُ تَجِبُ مَا قَبْلَهَا، التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لصاحبه سعدٍ: "أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ التَّوْبَةَ تَجِبُ مَا كَانَ قَبْلَهَا"، بلى، فأبشُرْ أَيُّهَا
الأخ الكريم.

^{٩٦} _ يونس (٥٧).

^{٩٧} _ النور (٣١).

^{٩٨} _ التحريم (٨).

^{٩٩} _ التحريم (٨).

^{١٠٠} _ التحريم (٨).

[٣] هذا يسأل عن ثياب الشهرة؟ سيأتينا (إن شاء الله تعالى، بإذن الله) الكلام عليه.

[٤] هذا يسأل يقول: هل ورد هذا الأثر عن عمر: "لا تحرص على اكتشاف الآخرين أكثر من

اللازم"؟ ما أظن هذا لفظ عمر، ما أظن هذا لفظ عمر، عمر عربي قح، وهذه الألفاظ ليست من ألفاظه، ولكن أنظرني أبحت وأفيدك، أما الآن فلا علم عندي، وما يضرني أن أقول لك: لا أعلم، ولكن أبحت وأنظر وأفيدك إن شاء الله.

[٥] ^(١١١) هذا يقول: كيف نرد على من يقول: إن البراءة من أهل البدع والأهواء تكون من بدعهم

وأفعالهم لا من أشخاصهم؟ طيب وأشخاصهم ماذا تعمل معهم؟! تتلقاهم بما؟ بالأحضان؟! هذا أمر غريب، هذا جمع بين النقيض، الله جل وعلا يقول: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} ^(١١٢) الآية، قال: {أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ}، والنبى صلى الله عليه وسلم لما هجر أصحابه الثلاثة الذين تخلفوا عن الغزو معه (غزوة العسرة) في غزوة تبوك؛ هجر أفعالهم فقط أم أنه قال للصحابة: "لا يسلم عليهم أحد"؟ حتى السلام؛ أمرهم بعدم السلام عليهم، بل أمر نساءهم بأن يعتزلنهم، فيه أكثر من هذا؟! وهذا الحديث أصل عند أهل السنة جميعاً في هجران أهل البدع، وأنه على التأييد حتى يتوبوا، والسلف مجمعون على أنك تلقى المبتدع بوجه مكفهر، ما تنبسط له، وإلا كيف يعرف أنه على بدعة، وعلى خطأ، وعلى ضلال، وعلى انحراف إذا استقبلته بالترحاب؟! اللهم إلا في الحالات المستثناة التي ذكرها أهل العلم، مثل: أن تطمع فيه، أو يغلب على ظنك أنه جاهل فتعلمه وتنصحه، أما المعاند فلا، ليس له إلا هذا أيها الأخ السائل الكريم.

^{١١١} _ هنا في الأصل: " هذا تكرر وقد حصل الجواب عليه".

^{١١٢} _ المجادلة (٢٢).

[٦] هذا أيضا يقول: إذا فيه مجال؛ تنبيه لأصحاب الكراسي في الجلوس في الخلف حتى يتسنى

لنا رؤية الشيخ. يصلك الصوت، والحمد لله، أنت تراني، ولحياتي هذه بيضاء، وهو محمد بن هادي أمامكم جميعاً، أسأل الله أن يسترني بستره الجميل في الدنيا والآخرة.

[٧] ^(١٠٣) هذا يقول: هل المقصود بـ(طالب الحديث): المتخصص في علم الحديث أم بالعلم الشرعي

بشكل عام؟ المراد بذلك العالمون بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته العاملون بذلك، وهل العلم والفقه إلا الحديث؟ كما قال أحمد رحمه الله، فالحديث مبین لكتاب الله جل وعلا، وشارح له، ومفسر له، مقيد لمطلقه، مبین لمجمله، مخصص لعامة، ويأتي بأحكام مستقلة ليست في القرآن، وهو كالقرآن إذا صح إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسناد، ونريد بـ(أهل الحديث) مع هذا: السائر على طريقة أهل الحديث والسنة، وإلا فكَم من شخص يشتغل بالحديث وهو مبتدع؟! لا عبرة بهم، من قديم ما هو من اليوم، افتح التّقریب (تقریب التّهذيب)، وهو من أخصر كتب الرجال عندنا نحن أهل الإسلام، فلان بن فلان ثقة خارجي، من الخوارج، صدوق مرجئ، صدوق قدري، فالعبرة بالعقيدة والسّير على طريقة أهل الحديث، فإن انضاف إليها العلم؛ فالحمد لله، هذا هو الأصل الأوّل الذي كان عليه أهل الحديث، وإلا فالأصل الأصيل هو اعتقاد أهل الحديث وأنّ تسير على طريقة أهل الحديث وكونك تعمل بالحديث وتُعظم الحديث، نعم، فإن انضاف إليه العلم بالحديث؛ فهذا الخير على خير؛ لأنّه هو الأصل الأوّل الذي كان في أئمة الإسلام والسنة، وما نصر الدين إلا حملة الحديث، وهؤلاء الذين ذكرنا لكم أوصافهم رَوَوْا عنهم عند الحاجة بشروط، وقالوا: لنا روايته وعليه بدعته، عند الحاجة إليه بشروط معروفة في مواطنها في كتب علوم الحديث، ليس هذا محلّ البسط فيها، وهو مسألة الرواية عن المبتدع، فإذا كان هذا الإنسان طالب علم حديث وعلى طريق أهل الحديث فقد حاز الخير كلّهُ، نسأل الله من فضله.

^{١٠٣} _ هنا في الأصل: " وهذا نفس الكلام في الهجر الذي تقدم ".

[٨] هذا يسأل: إذا جلس المصلي جلسة الاستراحة؛ متى يُكَبِّرُ؟ إذا شرع في القيام؛ كَبَّرَ.

[٩] وهذا يقول: نرجو من الشيخ أن يتكلَّم عن التقوى؟ يتكلم فيها أمثال أحمد رحمه الله تعالى، ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والقبول والستر والمسامحة، إذا كان أحمد رضي الله عنه يقول: هذا لو كان بشراً حياً هو الذي يتكلَّم فيه! ماذا نقول نحن معاشر الإخوة، نسأل الله ألا يجعل هذا استدراجاً، وأن يعصمنا وإياكم بفضله ورحمته.

[١٠] هذا يقول: (حفظكم الله) وحفظك أيضاً أيُّها الأخ الكريم، يقول: (عندنا بعض المتصدرين للتدريس يثبِّطون من الرحلة لطلب العلم وحضور مثل هذه الدورات بحجة أنه يوجد فيها تفجير، والأمن في بلدنا، وأنه عندما يسافر بعض الطلاب تتغيَّر أفكارهم، فيُنكِّرون عليهم، وربما هجروهم)؟ هذا السؤال عجيب، أما (الرحلة): فقد سمعتم كلام الأئمة فيها فيما سبق، وكلام الإمام أحمد رحمه الله وحنَّه عليها في زمانه! مع وجود الأئمة الكبار في ذلك الحين، وظهور العلم والسنة! فكيف بزماننا هذا مع قلة العلماء وقلة أهل السنة وعلماء أهل السنة؟!

أما (يوجد تفجير): هذا نحن والله الحمد فقط (من بعد العودة الأخرى التي انقطعنا فيها عن الدورات في هذا المسجد) لنا أربعة عشر عاماً ما حصل لنا تفجير، وهذه المساجد والله الحمد تُقام فيها الدورات في هذه البلاد الآمنة المطمئنة من فضل الله جل وعلا، وهم يسهرون على أمننا وراحتنا وإياكم جميعاً، ونحن لا نعلم، جزاهم الله عنا خير الجزاء، ما حصل شيء من هذا، والذي يريد الشر لا يحجزه عنه شيء، ولكن الله جل وعلا قد بشرنا بقوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} ^(١٠٤)، {وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا

^{١٠٤} _ يونس (٨١).

يُبَيِّنُونَ} (١٠٥)، {وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا} (١٠٦)، وَمَنْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهِ فَكَفَى بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَافِظًا لِعِبَادِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ.

وَأَمَّا (كونه عندما يسافر؛ بعض الطلاب تتغير أفكارهم): نعم، التَّغْيِيرُ يحصل بأحد أمرين: إما إلى الخير، وإما إلى الشرِّ، فَإِنْ سافر إلى أهل الشرِّ تَغَيَّرَ إلى أهل الشرِّ، فَمِثْلُ هذا يجب أَنْ يُنصَحَ وَيُؤخَذَ بيده عن الذهاب ويُحْجَزَ وَيُمنَعَ مِنْ أَنْ يذهبَ إلى أهل الشرِّ، أما الذهاب إلى أهل الخير، أهل الإسلام والسنة، عسكر القرآن والحديث؛ فيجب أَنْ يُحَثَّ على الذهاب إليهم بالشُّروطِ المعروفة التي يَذْكُرُهَا العلماءُ في سفر أهل العلم وطلبة العلم لِلتَّعَلُّمِ.

[١١] إذا لم تَكُنْ متردداً فليس عليك أَنْ تستخير، لا يُشْرَعُ لك الاستخارة، إنما الاستخارة إذا تردَّد الإنسان في الأمر بين أن يفعل أو لا يفعل.

[١٢] وهذا يسأل: بين قوله: {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}، و{تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ}؟ هذا نُصِبَ على نزع الخافض، هو سواء، نعم، هو سواء، وهذا كُلُّه جائزٌ في اللغة، وهو مِنْ باب تَغْيِيرِ الأسلوب؛ حتَّى تَجِدَ في هذا القرآن حقيقةً الإعجاز، تارةً هكذا، وتارةً هكذا، في الآيات المتشابهات، ما مِنْ آيةٍ إلا وتجد فيها اختلافاً عن أختها ولو تشابهت في الجملة، نعم.

[١٣] هذا يسأل، يقول: ما هي أنواع الحديث؟ الحديث إذا أراد أقسامه فهي ثلاثة:

١٠٥ _ النساء (٨١).

١٠٦ _ النساء (١٠٨).

١٠٧ _ هنا في الأصل: "هذا السؤال: لعلِّي فقط أشيرُ إليه إشارةً لصاحبه؛ لعلَّه يحرِّره، ففي تحريره نقصٌ، في تحريره نقصٌ وغلطٌ، فإذا هو حرَّره؛ نحن إن شاء الله نجيب عليه، وسأُقيِّمه معي، يتكلَّمُ عَنْ طعنٍ في صحيح البخاري، كيف يتجه إليه الطعن؟! طبعاً هناك كلام مطوي، وهو كان رحمه الله تعالى ورضي عنه لم يَضَعْ حديثاً في صحيحه إلا بعد أن يتوضأ ويصلي ركعتين... يُكْمِلُ أخِي السائل الكريم سؤاله ويحرِّره؛ لأنَّ السؤال فيه غلطٌ ونقصٌ، لأنَّني صاحبُ هذه البضاعة، لي معرفةٌ بها، فأعرف النقصَ والخطأَ في هذا الباب، فلعلَّ أخِي السائل يصحُّ ذلك، ونجيبه عليه".

١٠٨ _ هنا في الأصل: "وجبت الإقامة؟ نعم".

وَأَهْلُ هَذَا الشَّانِ قَسَمُوا السُّنَنَ ... إِلَى صَحِيحٍ وَضَعِيفٍ وَحَسَنٍ

هكذا يقول النَّازِمُ، "أهل هذا الشأن": علماء الحديث، "قَسَمُوا السُّنَنَ إِلَى صَحِيحٍ وَضَعِيفٍ وَحَسَنٍ": فهذه أنواع الحديث، والقَدَامَى كانوا لا يعرفون إلا الصحيح والضعيفَ، والحسنُ عندهم مندرجٌ في الصحيح، محتجٌّ به، فهو مندرجٌ في الصحيح، ولكن مِنْ أَوَّلِ مَنْ شَهَرَهُ وَأَكْثَرَ ذَلِكَ وَنَوَّهَ بِهِ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ أَبُو عَيْسَى مُحَمَّدُ بْنُ سَوْرَةَ التِّرْمِذِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (صاحبُ الجامع)، فعند [...] ^(١٠٩) يقولون: صحيحٌ وحسنٌ وضعيفٌ، وقَدَّمَ الضَّعِيفَ هُنَا لِلْسَّجْعَةِ، لأجل الوزن في البيت، فقال: صحيح وضعيف وحسن، نعم، فإذا أردت هذا؛ فنعم، أما إذا أردت "أنواع الحديث"؛ يعني: علوم الحديث، فهذه تجاوزتِ المائة نوعٍ في عِدِّهَا فِي كُتُبِ علوم الحديث.

[١٤] وأما حكم طلب العلم من الكتب دون الارتحال؟ فأقول لك: هذا معيبٌ عند العلماء، معيبٌ

عند العلماء.

ولعلنا نكتفي بهذا القدر، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمدٍ وعلى

آله وصحبه أجمعين ^(١١٠).

^{١٠٩} _ كلمة غير ظاهرة.

^{١١٠} _ مَا كَانَ مِنْ خَطِيئَةٍ فِي التَّفْرِيعِ فَلَمَّا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُورٍ وَتَقْصِيرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّى الصَّوَابَ، فَجَزَى اللَّهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

الدرس الخامس من شرح كتاب:

”كشف الكربة في وصف حال أهل الغربية“ للحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى

لصاحب الفضيلة المدرس في الجامعة الإسلامية محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى^(١١)

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

المتن: قال المصنف رحمه الله تعالى: والمؤمنون في هذا أقسام: منهم مَنْ قلبه معلقٌ بالجنة، ومنهم مَنْ قلبه معلقٌ عند خالقه، وهم العارفون، ولعل أمير المؤمنين إنما أشار إلى هذا القسم، فالعارفون أبدانهم في الدنيا، وقلوبهم عند المولى، وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم يروي ذلك عن ربه تعالى قال: علامة الطُّهر أن يكون القلب عندي معلقاً، فإذا كان كذلك لم ينسني على حال، وإذا كان كذلك مَنَنْتُ عليه بالاشتغال بي كي لا ينساني، فإذا لم ينسني حرَّكتُ قلبه، فإن تكلم تكلم لي، وإن سكَّت سكَّت لي، فذلك الذي تأتيه المعونة من عندي، وأهل هذا الشأن هم غرباء الغرباء، وغربتهم أعزُّ الغربية، فإنَّ الغربية عند أهل الطريقة غربتان: ظاهرة وباطنة، فالظاهرة غربة أهل الصلاح بين الفساق، وغربة الصادقين بين أهل الرياء والنفاق، وغربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخلاق، وغربة أهل الآخرة بين علماء الدنيا الذين سلبوا الخشية والإشفاق، وغربة الزاهدين بين الراغبين في كل ما ينفد وليس هو بباقي، وأما الغربية الباطنة فغربة الهمة، وهي غربة العارف بين الخلق كلهم، حتى العلماء والعباد والزهاد، فإنَّ أولئك واقفون مع علمهم وعبادتهم وزهدهم، وهؤلاء واقفون مع معبودهم لا يُعرجون بقلوبهم عنه.

[الشرح]: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه

بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

^{١١} _ ألقاه في مسجد عتبة بن غزوان رضي الله عنه بالدمام، شهر شوال، عام ألف وأربعمائة وسبعة وثلاثين من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

فسمعتُ ما قرأه علينا أخونا جزاه الله خيرا، وحقيقةً أهل الإيمان، أهل الصدق في تحقيق العبادة للرحمن، أصحاب السلوك للسنة الكاملة التي تقدّم معنا الكلام عليها، التي هي المراد، سنة النبي صلى الله عليه وسلم بمفهومها العام، وهو طريقته المسلوكة عليه الصلاة والسلام؛ هؤلاء قلوبهم معلقة بالجنة؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد وصّاهم بقوله لابن عمر: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ"؛ فالغريب قلبه معلق بوطنه، لا يَقَرُّ لَهُ قَرَارٌ، ولا يهدأ له بال حتى يرجع إلى وطنه، والوطن الأوّل هو مسكن أبيّنا آدم عليه وعلى نبيّنا أفضل الصلاة والسلام، أَلَا وهو الجنة، التي خَلَقَهُ اللهُ سبحانه وتعالى وأسكنه فيها، ثم ابتلاه بعد ذلك جل وعلا بما ابتلاه به، وله في هذا الحكمة البالغة، والحجّة الدامغة، سبحانه وتعالى، إذ أَهْبَطَهُ إِلَى الْأَرْضِ وابتلاه بهذا العدو (وهو إبليس)؛ لِيَرَى الْمُطِيعَ مِنَ الْعَاصِي، وَالْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ، وَالْبَارَّ مِنَ الْفَاجِرِ، وَالْمُوحِدَ مِنَ الْمُشْرِكِ، وابتلى هذا بهذا، وهذا بهذا؛ لِأَجْلِ أَنْ تَقُومَ سَوْقُ الْآخِرَةِ، يَبْتَلِي اللهُ جُلَّ وَعَلا عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ بِالْآخِرِينَ لِيَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ؟ لَأَنَّهُ وَعَدَ الْجَنَّةَ بِمِلْئِهَا، وَالنَّارَ بِمِلْئِهَا، فَلِأَجْلِ أَنْ يَتَحَقَّقَ ذَلِكَ حَصَلَ الْإِنْزَالُ لِأَدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَكَانَ مَا كَانَ مِنْ شَأْنِهِ وَقِصَّتِهِ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (١١٢)، وسؤالهم هذا ليس سؤال اعتراض، وإنما هو سؤال استفادة وتعلم {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} (١١٣)، ثم عَرَضَهَا عَلَيْهِمْ {ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} (١١٤) إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ، فَظَهَرَ بِذَلِكَ فَضْلُ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَاللَّهُ سبحانه وتعالى قد تَابَ عَلَيْهِ وَهَدَاهُ، فَأَهْلُ الْإِيمَانِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَهْلُ الْعِلْمِ قُلُوبُهُمْ مَعْلُوقَةٌ بِالْجَنَّةِ (بموطنهم الأوّل) وَلَا يَرَوْنَ هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا شَيْئًا، وَمِنْهُمْ مَنْ قَلْبُهُ مَعْلُوقٌ عِنْدَ خَالِقِهِ، هَذَا أَعْلَى،

١١٢ _ البقرة (٣٠).

١١٣ _ البقرة (٣١).

١١٤ _ البقرة (٣١-٣٢).

مثل أهل الإحسان كما تعلمون، إسلام وإيمان وإحسان، فالمؤمنون أعلى درجةً، والمحسنون أعلى، أن تعبدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فتستحضر أنه يراك، وحتى أهل الإحسان يتفاضلون، فمن يعبدُ الله كأنه يراه تعلقاً به ومحبةً له وإجلالاً له أعلى ممن يعبدُه خائفاً فقط ولا شكاً، فهؤلاء هم العالمون بالله، الذي يستخدم فيه المصنّف هذه الألفاظ، وليتَّه لم يستخدمها، فإن هذا اللفظ (لفظ العارف) كما قلت لكم لفظٌ محدثٌ مبتدعٌ، وإنما نحن عندنا (العالم)، الله جل وعلا لم يجعل أحداً أعرفَ به من أهل العلم (أهل الخشية)، فقال جل وعلا: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ^(١١٥)؛ فَقَصَرَ الخشية الحقيقية عليهم، فهؤلاء هم العالمون برَّبِّهم قلوبُهم معلقةٌ بالجنة، ولها يعملون، بعمل أهلها يُوقَّعون، يعملون دائماً، قد أعرضوا عن هذه الحياة، حتى قيل في بعضهم كما قيل في سفيان: لو قيل له: إنَّ الموتَ يأتيك الساعة ما استطاع أن يزيد على ما هو فيه شيئاً من أعمال البرِّ والخير؛ إذا جنَّت إلى العبادة والصلاة رأيتَ عجباً، وإذا جنَّت إلى الزكاة رأيتَ أيضاً محافظةً عليها، إذا جنَّت إلى الإنفاق والتطوُّع فيه رأيتَ عجباً، إذا جنَّت إلى التعليم والصبر على دَعْوَةِ النَّاسِ رأيتَ عجباً، إذا جنَّت إلى الصيام رأيتَ عجباً، إذا جنَّت إلى السَّعي في مصالح الناس ونفعِهم رأيتَ عجباً، وهكذا عدُّ، فقل فيهِ: لو قيل له إنَّ الموتَ يأتيك الساعة ما استطاع أن يزيد على ما هو فيه من عمل الخير؛ اسْتَنْفَدَ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ عاد منكم اليوم مريضاً؟" قال أبو بكر: أنا، مَنْ أَصْبَحَ منكم؟ قال أبو بكر: أنا، إلى آخر الحديث، ثم قال: ما اجْتَمَعَ في مَنْ؟ في رجل إلا أدخله الله الجنة، فجميعُ أبوابِ البرِّ مساهمٌ فيها، هنا وهنا وهنا، فلذلك ميسرٌ له هذا الطريق بجميع أفرعِهِ: الجهادُ فيه، الصيامُ تجده فيه، العطاءُ والبذلُ والإنفاقُ في سبيل الله تجده فيه، مساعدةُ الفقير تجده فيه، عيادةُ المريض تجده فيه، التفريجُ عن المكروب والملهوف تجده فيه، وهكذا عدُّ من ذلك كله، التعزيةُ تجده فيها، اتباعُ الجنائز تجده فيها، فحينئذٍ هؤلاء معلقةٌ قلوبُهم بالجنة، فأوقاتُهم معمورةٌ بأعمالها، ما بقي شيءٌ من الأوقات إلا وهو في العبادة، فهؤلاء هم الذين عرفوا الله حقَّ

المعرفة، ولذلك يقول المصنف رحمه الله: "ولعل أمير المؤمنين إنما أشار إلى هذا القسم"؛ وحقاً هؤلاء العارفون أبدانهم في الدنيا، وقلوبهم عند المولى، حتى قيل: ما سَبَقَكُمْ أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيءٍ وَقَرَ في قلبه، ولهذا يقول الحسن البصري رحمه الله تعالى: ليس الإيمان بالتَّمَنِّي، ولكن بأيش؟ ولكن ما وَقَرَ في القلب وصدقه العمل، وصدقه العمل، فالدِّينُ هو ما وَقَرَ في القلب، تَغْلَغَلَ فيه، حتى سَكَنَ سُودَاءَهُ، وأَثْمَرَ العمل.

وَالدِّينُ قَوْلٌ بِقَلْبٍ وَاللِّسَانُ وَأَعْمَالٌ بِقَلْبٍ وَبِالْأَرْكَانِ مُعْتَمِدٌ

يَزْدَادُ بِالذِّكْرِ وَالطَّاعَاتِ ثُمَّ لَهُ ... بِالْعَقْلِ وَالذَّنْبِ النُّقْصَانُ مُطَرِّدٌ

وَأَهْلُهُ فِيهِ مَفْضُولٌ وَفَاضِلُهُ ... مِنْهُمْ ظُلُومٌ وَسَبَاقٌ وَمُقْتَصِدٌ

{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا} ^(١١٦)، فَجَمَعَهُمْ جَمِيعًا فِي الدُّخُولِ، وَقَسَمَهُمْ مَرَاتِبَ، بَعْدَ أَنْ قَسَمَهُمْ وَبَيَّنَ أَنَّهُمْ مَرَاتِبُ مُتَفَاوِتَةٍ، الْجَمِيعَ لَهُمُ الْجَنَّةُ، لَكِنْ فَرَقُ بَيْنَ دُخُولِ وَدُخُولٍ، وَهَذِهِ الْآيَةُ حُجَّةٌ لَنَا مَعَاشِرَ أَهْلِ السَّنَةِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، إِذْ بَيَّنَّ أَنَّ مِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَهَذَا الَّذِي أَوْبَقَهَا بِالْمَعَاصِي، وَأَنَّ مِنْهُمْ مُقْتَصِدًا، وَالْمُقْتَصِدُ هُوَ الَّذِي أَتَى بِالْوَاجِبَاتِ وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ، قَالَ: دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ، أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ، الثَّالِثُ "لَا"، سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ، {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ} ^(١١٧)، انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ: الْأَوَّلِينَ ثُلَّةٌ، وَالْآخِرِينَ قَلَّةٌ، الْقَلَّةُ بِسَبَبِ الضَّعْفِ الَّذِي يَحْصُلُ عِنْدَ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَهَؤُلَاءِ هُمُ السَّابِقُونَ، فَجَمَعَهُمُ اللَّهُ جُلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ جَمِيعًا، فَقَالَ: {جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا} ^(١١٨)،

^{١١٦} _ فاطر (٣٢-٣٣).

^{١١٧} _ الواقعة (١٠-١٤).

^{١١٨} _ فاطر (٣٣).

فالواؤ واؤ أيش؟ الجمع، يَدْخُلُهَا مَنْ؟ الظالم لنفسه، إمّا ابتداءً إن أدركته رحمة الله، وإما انتهاءً بعد أن يُهْدَبَهُ اللهُ وَيُنْقِيَهُ، فيدخله بقدر ذنوبه النار، لكن مآله إلى الجنة لأنه لا يَخْلُدُ في النار من أهل التوحيد أحد، ولو كان ذنوبه من أعظم الذنوب، إذا كَتَبَ اللهُ عليه دخول النار لا بد وأن يخرج إلى الجنة،

وَيُخْرِجُ اللهُ أَقْوَامًا قَدْ اِمْتَحَشُوا ... مِنَ الْجَحِيمِ قَدْ اسْوَدُّوا وَقَدْ خَمِدُوا

فَيَطْرَحُونَ بَنَهْرٍ يَنْبُتُونَ بِهِ ... نَبَتَ الْحُبُوبِ بِسِيلٍ جَاءَ يَطْرُدُ

هؤلاء أَخْرَجَهُمْ تَوْحِيدُهُمْ وإيمانهم الذي معهم، وأدْخَلَتْهُمْ النارَ ذُنُوبُهُمْ إذا لم تدرِكْهُمْ رحمة الله، فهم داخلون في الجنة، هذا فيه ردٌّ على مَنْ؟ على الخوارج والمعتزلة (طائفتي الوعيدية) الذين يقولون: أنه مَخْلُدٌ في النار، خصوصا أصحاب الكبائر خالدون مخلصون في النار، (في الدنيا): كفارٌ عند الخوارج، و(في الآخرة): مخلصون في النار، وعند المعتزلة (في الدنيا): لا مسلم ولا كافر، منزلة بين المنزلتين، طيب؛ المنزلة (نحن عرفناها) بين المنزلتين، أيش اسمُ صاحبها؟ الآنَ عندكم يقول لك: درجة أولى، وسياحية وبينها درجات أفق، أنتم سَمُّوا لنا، في أيِّ منزلة؟ أيش درجته؟ ما يستطيعون، يقول لك: منزلة بين المنزلتين! طيب، هو في الدنيا كافر ولا مسلم؟ قالوا: لا، لا هو كافر، ولا مسلم، طيب في الآخرة؟ مَخْلُدٌ في النار، إذن هذا كافر، بسْ هَرَبْتُمْ مِنْ ذِكْرِهِ في الدنيا وتكفيره، فَإِنَّ هذه الآية رَدٌّ عليهم، فيَدْخُلُهَا (يَدْخُلُ الْجَنَّةَ) الظالم لنفسه، ويدخل الجنة مَنْ؟ المقتصد، ويدخل الجنة السابق بالخيرات، فهؤلاء هم السابقون السابقون قلوبهم عند المولى، فالقلوب معلقة بالله، لم يَنْسُوا رَبَّهُمْ تبارك وتعالى، بل هم دائما دُوبُونَ في الأعمال كأنما يَرَوْنَ رَبَّهُمْ جل وعلا، فاشتغلوا بما يقربهم إليه، ولم يَشْغَلْهُمْ شيءٌ عنه، فلهذا الذِّكْرُ منهم دائما: "أنا عند" أيش؟ "حَسَنَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وأنا معه حين يَذْكُرُنِي"؛ فإذا كان العبد دائم الذِّكْرِ لِرَبِّهِ جل وعلا إن تكلَّم تكلَّم بالشرع، وإن سكت سكت بالشرع، إمّا أن يقول خيرا فيَعْنَمُ، وإمّا أن يسمع شرا فيسكت عنه فيَسْلَمُ، فهذا هو الموفق، وهو المُعَانُ عند الله جل وعلا، ولذلك تجده

غريباً عند الناس، يرمونه بـ؟ بالتَّشْدُّدِ! ويرمونه بالتضييق على نفسه! ويرمونه بأنه يريد الناس كلهم مثله! والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: ساعة وساعة! لكن هو عَرَفَ معنى: "ساعة وساعة"، ولم يعرفوا معنى: "ساعة وساعة"، هو عرف معنى: "ساعة وساعة"؛ الساعة يُجَمُّ نفسه بالحق ليستعين به على عبادة الحق، وأما أولئك فساعتهم هي إرضاء الخلق، وربما وقعوا في إغصاب الحق تبارك وتعالى، فالغربة على هؤلاء شديدة، الغربة على هؤلاء شديدة ولا شك، ولذلك يقول: "غربتهم أعزُّ الغربة"؛ أغرب ما تكون وأندر ما تكون غربتهم، ثم قال: "الغربة عند أهل الطريقة"؛ هذا أيضاً من الألفاظ التي إنما جاء بها من المتصوفة، ولا تُعرَفُ عند أهل السنة، "ظاهرة وباطنة"، الظاهرة غربة أهل الصلاح بين الفساق؛ هذا صحيح، "وغربة الصادقين بين أهل الرياء والنفاق"؛ هذا صحيح ظاهر، ترى أهل النفاق وترى أهل الصدق، ترى أهل الصلاح وترى أهل الفسق، فتعرف هذا، وتعرف هذا بظاهره، "وغربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخلاق"؛ صحيح، هذا واضح، "وغربة أهل الآخرة بين علماء الدنيا"؛ علماء الآخرة وعلماء الدنيا، فإن علماء الآخرة هم الذين سلكوا سبيل الخشية {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} ^(١١٩)، "وغربة الزاهدين بين الراغبين"؛ الزاهدين في الدنيا المقبلين على الآخرة بين الراغبين في الدنيا المعرضين عن الآخرة، هؤلاء غرباء، هذه غربة ظاهرة، هذه كل واحد يعرفها، يراها بمجرد العين، ثم قال: "الغربة الباطنة"، قال: "غربة الهمة، وهي غربة العارف بين الخلق كلهم حتى العلماء والعباد، فإن أولئك واقفون مع علمهم وعبادتهم وزهدهم، واقفون مع معبودهم، لا يعرجون بقلوبهم عنه"؛ والمراد بذلك: أن أهل العلم أيضاً أنفسهم يتفاوتون، أهل العلم أنفسهم يتفاوتون، فالعارفون هنا هم العلماء، وهم أيضاً مراتب (كما قلنا لكم قبل قليل)، فهل أبو بكر رضي الله تعالى عنه أعلى وأفضل من عمر ولا؟ لا شك، وعمر أفضل من عثمان ولا شك، وعثمان أفضل من علي في أصح قولي أهل السنة، وعلي أفضل الخلفاء الأربعة من بقية العشرة، وهكذا بقية الصحابة يتفاوتون في الفضل، فإذا كان هذا في أصحاب رسول الله

^{١١٩} _ فاطر (٢٨).

صلى الله عليه وسلم؛ فكيف بمن بعدهم وهم أعلم الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله جل وعلا؟! فهؤلاء العلماء أيضاً هم أنفسهم يتفاوتون، فمنهم مع علمه يحصل له شيء من الغفلة، وشيء من الضعف، ومنهم "لأ"، لا تراه إلا مشمراً مجتهداً، كما ذكرنا من حال أبي بكر رضي الله تعالى عنه، فهمه كله متعلق بآخرته، فإنه يستحيي من أن يراه ربّه جل وعلا وهو ساعٍ في عمارة دنياه، معرضاً عن أخراه، فهؤلاء لا شك همّتهم غير همّة الناس، وأبو سليمان الداراني من العباد، من العباد الزهاد رحمه الله تعالى، ولكنه ليس كأحمد رحمه الله ومن معه، وهو في القرن الثاني، جلّ حياته في القرن الثاني رحمه الله، و(دارياً) نزّلها كثيراً من العباد من التابعين وأتباعهم، وصارت لهم من الأخبار في العبادات ومقاماتهم في العبادات ما يعجب منه من يقرأ في تاريخهم، ومنهم أبو سليمان الداراني العابد الناسك، لكن ليس هو على درجة العلم كأحمد رحمه الله والبخاري رحمه الله وأمثال هؤلاء، هؤلاء علمهم ونفعهم متعد ولا شك، فإن وفاة أبي سليمان الداراني في أوائل المائة الثالثة، في عصر أحمد رحمه الله كان، أحمد رحمه الله عاصره، وفاته مائتين وخمسة عشرة تقريباً، ما أضبطها الآن، لكن أظنها مائتين وخمسة عشر، أظنها مائتين وخمسة عشر، ولعل بعض أبنائي ينظر في (أبو لحسة) فإذا استطاع أن يخرج لنا بتاريخ وفاته فطيب، نذكره ونحن هنا، فيفتح عليه، فالشاهد: أنا هكذا أتوقع أنه في هذه المرحلة كان وفاته، في خمسة عشر، أربعة عشر، في هذه الحدود، ستة عشر، لا يزيد عن هذا أبداً، فالشاهد: وفي عصر أحمد، أحمد رحمه الله في مائتين وواحد وأربعين، فأحمد أدركه رحمه الله، فالشاهد: أن هؤلاء همّتهم غير همّة الناس، وإرادتهم من الآخرة غير إرادة الناس، أي: إنهم إنما يعبدون الله جل وعلا، فهو معهم في جميع أوقاتهم، بلغوا إلى رتبة الإحسان، أن تعبد الله كأنك تراه، وهذه رتبة المحبّ المراقب لله جل وعلا، ودونها: فإن لم تكن تراه فإنه يراك، هذه أيضاً المحبّ الخائف، أي نعم، فهذا هو الذي كان عليه هؤلاء، فهؤلاء غربتهم أشد، حتى قيل فيهم: ومن يصبر على ما يصبر عليه أحمد؟! تبغنا كلنا أحمد؟! أبداً، لما قيل ليحيي وقيل لعليّ هذا؟ قال: تبغونا نفعل كأحمد؟! ما نستطيع، وآخر يقولون له ذلك،

قال: أحمد وَقَفَ مواقف الأنبياء؛ تَبَغَّيْ أَفْعَلُ كأحمد؟! أنا ما أستطيع، فهكذا، هؤلاء رحمهم الله تعالى سلكوا هذا المسلك، وأخذوا أنفسهم بقوة الحزم والعزم، فوصلوا إلى ما وصلوا إليه، فجعلهم الله تبارك وتعالى أئمةً يُقْتَدَى بهم بعد أن هداهم سبحانه وتعالى، وبأهل الاقتداء (كما قلنا) يكون الاقتداء، ونكرر هذا دائما، نعم.

[المتن]: وكان أبو سليمان يقول في وَصْفِهِم: هَمَّتْهُمْ غَيْرُ هَمَّةِ النَّاسِ، وَإِرَادَتُهُمْ مِنَ الْآخِرَةِ ^(١٢٠) غَيْرُ إِرَادَةِ النَّاسِ، ودعائهم غيرُ دعاء الناس، وسُئِلَ عن أفضل الأعمال فبكى، فقال: أَنْ يَطَّلَعَ على قلبك فلا يراك تريدُ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ غَيْرَهُ، وقال يحيى بن معاذ: الزَّاهِدُ غَرِيبُ الدُّنْيَا، وَالْعَارِفُ غَرِيبُ الْآخِرَةِ، يشير إلى أَنَّ الزَّاهِدَ غَرِيبٌ بَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْعَارِفَ غَرِيبٌ بَيْنَ أَهْلِ الْآخِرَةِ، لا يعرفه العباد ولا الزهاد، إنما يعرفه مَنْ هُوَ مِثْلُهُ، وَهَمَّتْهُ كَهَمَّتِهِ ^(١٢١) وربما اجتمعت للعارف هذه الْغُرَبَاتُ كُلُّهَا أو كثيرٌ منها أو بعضها، فلا تسأل عن غربته حينئذ، فالعابدون ظاهرون لأهل الدنيا والآخرة، والعارفون مستورون عن أهل الدنيا والآخرة.

[الشرح]: المراد به: الذين عرفوا الله حقَّ المعرفة، وهم العلماء، فلذلك يكتُمون ما يعملون، ولا يتظاهرون بشيءٍ مِنْ ذَلِكَ، لا يتظاهرون بشيءٍ مِنْ ذَلِكَ أَمَامَ النَّاسِ، وإنما يسترونه؛ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يريدون به وَجْهَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، ولا يريدون به الدنيا، يعني: المرء ولا الثناء عليهم بذلك، هؤلاء هم أَهْلُ الزُّهْدِ حَقًّا، فحتى مع العباد ومع العلماء مِنْ أَضْرَابِهِمْ يَتَخَفُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، لا يريدون أَحَدًا أَنْ يَقِفَ مِنْهُمْ على شَيْءٍ فِي هذا الباب؛ لِأَنَّهُمْ يعرفون معنى الإخلاص، فلذلك وصلوا إلى الله جَلَّ وَعَلَا بشدة مؤاخذتهم لأنفسهم في باب الإخلاص لله جَلَّ وَعَلَا، فما يعرفهم إِلَّا مَنْ كَانَ مِثْلَهُمْ، مَنْ يَجَاهِدُ حَالَهُ كَمَا يَجَاهِدُونَ أَحْوَالَهُمْ،

^{١٢٠} — هنا في الأصل: (وجدت شيئا؟ نعم، المشهور أنه مائتين وخمسة عشر، هذا المشهور، والعلم عند الله جَلَّ وَعَلَا، إذا كان من قبلنا ذكروا هذا! الشاهد أنه في هذا الوقت،

أما مائتين وخمسة وثلاثين؛ هذا بعيد، نعم، بعيد، بعيد، جزاك الله خيرا، نعم).

^{١٢١} — هنا في الأصل: (قيل: مائتين وأربعة، وقيل: عشرة؟ لا مائتين وخمسة وثلاثين هذا بعيد، بعيد، خمس عشرة، نعم، نعم).

^{١٢٢} — هنا في الأصل: (نعم كما قال الحسن رحمه الله تعالى، وذكرنا لكم، نعم).

يعرف منهم ما لا يعرفه غيره، وهذا صحيح، والذي يحبُّ ظهورَ العبادة، فيُعرفُ بذلك؛ هذا يُخشى عليه، يُخشى عليه، وأما الذين جاهدوا أنفسهم في باب الإخلاص فهؤلاء هم الذين {يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} (١٢٣)، يصومون، ويصلُّون، ويتصدقون، ويخفون ذلك كله، ويخافون ألا يُقبلَ منهم، فهؤلاء هم، كما يريدون الله والدر الآخرة، نعم.

[المتن]: قال يحيى بن معاذ: العابد مشهور، والعارف مستور، وربما خفي حال العارف على

نفسه لخفاء حاله وإساءته الظن بنفسه.

[الشرح]: عاد هذا شيء زيادة، ما ينترقع، هذا شيء ما يُقبلُ مِنَ المصنف رحمه الله تعالى، وغفر لنا وله، حتى على نفسه! ما يعرف نفسه؟! هذا باب لا يُقبلُ، أما كونه يعملُ ويسيء الظنَّ بنفسه ويُزري بها ويحاسبها ويخافُ عليها؛ هذا معروف في السلف، كثير في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذا أبو بكر اقرأ سيرته رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه، اقرأ سيرته، عمر رضي الله عنه يقول: لقد أتعبت مَنْ جاء بعدك، يقول في أبي بكر، أتعبت مَنْ جاء بعدك، وهكذا قيل في عمر رضي الله تعالى عنه، فالشاهد: أنَّ المرء إذا أراد بهذا الحافظ ابن رجب رحمه الله: أَنَّهُ يسيء الظنَّ بنفسه، وأَنَّهُ يَمُتُّ نفسه، وأَنَّهُ يعمل ما يعمل ويرى نفسه مُقَصِّرًا؛ هذا موجود في السلف كثير، والله جل وعلا قد أخبرنا به في قوله: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا} (١٢٤) وأيش؟ {وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} (١٢٥)، يفعلون أعمال البر والخير ويسابقون إليها، ومع ذلك يخافون ألا تُقبلَ منهم، أما أَنَّهُ نفسه ما يعرفها؛ هذا باب آخر، وبكلام: ما مِنْ أحدٍ إِلَّا يَرُدُّ وَيَرُدُّ عَلَيْهِ، وعبارات العلماء والحكماء تُقَاسُ بِمِيزَانِ الشَّرْعِ، تقاس بميزان الشرع، فَإِنْ أَيْدَهَا الشَّرْعُ قُبِلَتْ، وَإِلَّا تَوَقَّفَ فِيهَا، نعم.

١٢٣ _ المؤمنون (٦٠).

١٢٤ _ المؤمنون (٦٠).

١٢٥ _ المؤمنون (٦٠).

[المتن]: قال إبراهيم بن أدهم: ما أرى هذا الأمر إلا في رجل لا يعرفُ ذاك من نفسه، ولا يعرفُ الناسُ منه ^(١٢٦)، وفي حديث سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ الله يحب العبد الخفي التقي، وفي حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الله يحب من عباده الأخفياء الأتقياء، الذين إذا حضروا لم يُعرفوا، وإذا غابوا لم يُفتقدوا، أولئك أئمة الهدى، ومصابيح العلم.

[الشرح]: وهذا الحديث والذي قبله؛ هل ترونه على هذه الألفاظ التي فيما تقدّم؟ ليست كذلك، إِنَّ الله يحب العبد الخفي التقي، التّقي هو الذي يخاف الله جل وعلا، فيتقيه، بأن يجعل بين نفسه وبين عذاب الله وقايةً بفعل الأوامر واجتناب النواهي، هذه الوقاية، ويخاف على نفسه، فيسابق بالخيرات، يتقرب إلى الله جل وعلا، وكونه خفيًا؛ لأنه يتخفى بذلك، وأما التّقي: فالتقى قد سمعتم معناه وعرفتُموه، فهذا يراقب نفسه في باب الإخلاص لله جل وعلا ^(١٢٧)، نقول: هذا الخفي التّقي يتخفى بعمله ليَتَحَقَّقَ له الإخلاص لله جل وعلا، ورجُلٌ تصدّق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه، عضوان فيه (في جسده)، عضوان في جسده (اليمين والشمال)؛ فيُخفي ما يتصدّق به إلى درجة لا يريد أن شماله ترى ما تُنفق يمينه، هذا كله اهتمامٌ منهم رضي الله عنهم بالإخلاص ومراقبة الله جل وعلا فيما أمرهم به، قال جل وعلا: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} ^(١٢٨)، وهذا الإخلاص هو التّقوى الحقيقية، ففعلوا ذلك لِيُقْبَلَ منهم، فهم أهل التقوى، والدليل قوله جل وعلا: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} ^(١٢٩)، لذلك حَرَصَ السلفُ رحمهم الله، وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: لَيْتَ حظي من صلاتي ركعتان مُتَقَبَّلَتَانِ، إذا تُقُبِّلَت ركعتان؛ هذا شيءٌ عظيمٌ، لأنها شهادة {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ

^{١٢٦} _ قال الشيخ حفظه الله هنا: " هذا محل نظر، نعم "

^{١٢٧} _ هنا في الأصل: (يا ضياء، ضياء، معنا؟ فأنت إذا تَخَفَّيْتَ هناك لست بخفي، إن شاء الله تقي، لكننا نراك، فنقول يا ضياء، أضاء الله لنا ولكم الطريق إليه سبحانه وتعالى حتى لا يخفى علينا ولا يشتهيه).

^{١٢٨} _ البينة (٥).

^{١٢٩} _ المائدة (٢٧).

الْمُتَّقِينَ^(١٣٠)، فهذا فيه تحقيقُ التقوى، فهذا العبدُ التَّقِيّ الخَفِيّ هو الذي يَتَّقِي اللهَ فيعمل بطاعته ويتخَفَى بذلك ليحصل له القَبُولُ، فهؤلاء هم الأتقياءُ الأخفياءُ، إذا حَضَرُوا ما رَأَيْتَ عليهم شيئاً مِنْ آثارِ العبادَةِ، لا يحاولون إظهارَ ذلك، حتى يُمدَحُوا به، ولكن أهلُ المعرفةِ يعرفونهم وإن حاولوا الإخفاءَ، لكن هم إن حضروا لم يُعرفُوا، ما هو يَحُطُّ مَسَبِّحَتِهِ طَوْلُهَا ثَلَاثَةُ (أمتار) أو متران في حَلَقِهِ، وَحَبَّتُهَا هَكَذَا، كما ترى بعض هؤلاء في المسجد الحرام وفي بعض البلدان الإسلامية، سُبْحَتُهُ طَوْلُهَا مِثْرٌ، وهو يمشي في الناس مِثْلَ المجنون، ويقولون هذا: مجذوب، مجذوب، عارف، ونحو ذلك، هل هذه طريقة الصحابة رضي الله عنهم؟! لا، فهؤلاء هم الأتقياءُ الأخفياءُ، إذا حضروا ما تظاهروا بإظهارِ العبادَةِ عليهم حتى يرى ذلك الناس؛ لَأَتَّهَمُ ليسوا في هذا الباب مِمَّنْ اغْتَبِلَ، يخافون على أنفسهم، لا يريدون الرياء، بعيدون كل البعد عن ذلك، وإن غابوا لم يُفْتَقَدُوا، ما يُؤْبَهُ لهم، فهؤلاء هم أئمةُ الهدى ومصابيحُ العلم، رجعت دعوة، والأمر رَجَعَ إلَيَّ؟ إلى العلم، فالعلمُ هو الذي يَهْدِي صاحِبَهُ إلى كل خير، والسلوكُ لطريق العلم هو الذي يَهْدِي صاحِبَهُ إلى الخير، ونحن لسنا بحاجة إلى مثل هذه الاصطلاحات ولا إلى مثل هذه العبارات، والمصنَّفُ رحمه الله يَتَسَمَّحُ في هذا شيئاً، فينبغي أَنْ يُنْظَرَ، فما كان على الطريق الصواب قَبْلَ، وما لا نُقَدِّ، نعم.

لَعَلَّنَا نَقِفُ على هذا لأننا السؤالات تتراكم عندنا وتزداد كل يوم، ونحن لا نقضي منها شيئاً، فلعلنا نكتفي بهذا القدر لنأخذ شيئاً من السؤالات، والله أعلم.

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[السؤال]

[١] ^(١٣١) هذا يقول: إذا عندي بطاقة من بنك الإنماء مثلا، واستخرجتُ مالا من صرافٍ غيرِ

صرافِ بنكِ الإنماء، هل في ذلك شيءٌ؟

ما فيه شيء، الصّرافات بينهم اتفاق، يسمونه شبكة، أليس كذلك؟ شبكة، فالشبكة هذه أنت حينما تأخذ هذه البطاقة؛ فيها جميع البنوك التي الاتفاقُ بينها، فأنت تصرفُ الإنماء في الاهلي، والأهلي من الإنماء، والراجحي من الأهلي، والأهلي من الراجحي، والرياض من... ما في ذلك شيء، وبينهم اتفاقٌ على ذلك، وأظنُّ (أظنُّ) أنه في التعاون بينهم؛ يأخذُ بعضهم من بعضٍ في هذا هلاّلاتٍ يسيرات على تقديم هذا الفرع لهذا الفرع، وهذا الفرع لهذا الفرع، هذا فيما بينهم؛ لا بأس بذلك، نعم.

[٢] وهذا يقول: متى يُقالُ ذِكْرُ: "رضيت بالله ربّا" في الأذان؟ ومتى يُقالُ "وأنا أشهدُ"؟ وهل يقال

الاثنان معا؟

حينما يقول المؤذن: "أشهد ألا إله إلا الله"؛ أنت تقول: "وأنا"، "أشهد أن محمدا رسول الله"؛ أنت تقول: "وأنا"، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: "وأنا وأنا"، وتارة يقول: "وأنا أشهد ألا إله إلا الله"، نعم.

وأما قوله: "رضيت بالله ربّا"؛ فعند قول: "أشهد أن محمدا رسول الله"، فإذا سمعتَ المؤذن يقول ذلك؛ قلْتَ: "رضيت بالله ربّا وبالإسلام ديننا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا".

ثم تُبْقِ بَقِيَّةَ الأذان؛ تقولُ كما يقولُ المؤذن.

وَسَامِعُ الأَذَانِ فَلْيَقُولْ ... إِجَابَةً لَهُ كَمَا يَقُولُ

^{١٣١} _ هنا في الأصل: (سيأتي، صبركم بس علينا، ما أعجلكم، اصبروا ويجيكم، أنا متعمد تركت ذلك، سيأتيكم).

إِلَّا إِذَا حَيَّعَلَفْلِيَحَوْقُلُوا ... وَفِي إِقَامَةِ دَوَامًا سَأَلُوا

يعني: أَقَامَهَا اللهُ وَأَدَامَهَا ما دامت السموات والأرض، وهو حديثٌ ضعيفٌ أيضا عند أبي داود، أصلُه: "أقامها الله وأدامها" وزاد العوام عليها: "ما دامت السموات والأرض" في الصلاة (عند إقامة الصلاة) فأشار إلى الحديث الضعيف.

وسامعُ الأذانِ فليقول إجابةً له كما يقولُ إلا إذا حَيَّعَلَفْلِيَحَوْقُلُوا: حي على الصلاة، حي على الفلاح؛ لا حول ولا قوة، وفي إقامة دَوَامًا سَأَلُوا، يعني: إشارةً إلى أقامها الله وأدامها، وهو في أبي داود، وهو ضعيف، وزيادة "ما دامت السموات والأرض" مِنْ عند العوام، نعم.

[٣] وهذا يقول: هل يجب على المرأة خدمة أهل زوجها؟

لأ، لَكِنَّ هُنَاكَ بَابُ اسْمِهِ بَابُ الْإِحْسَانِ وَالْمَعْرُوفِ، فَالْمَرْأَةُ إِذَا خَدَمَتْ أَبَا الزَّوْجِ إِذَا احتَاجَ، ضَعْفٌ، كَبَرٌ، مَا وَجَدَ مَنْ يَقُومُ بِهِ، أُمُّ الزَّوْجِ، هِيَ تُحْسِنُ فِي هَذَا، وَتَمْلِكُ قَلْبَ زَوْجِهَا وَتَأْسِرُهُ، فَهُنَاكَ أَعْرَافٌ، وَالْأَعْرَافُ يَنْبَغِي أَنْ تُرَاعَى، فَإِنَّ هَذَا مِنَ الْأَعْرَافِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْآدَابِ الْإِنْسَانِيَةِ، فَكَيْفَ بِالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ؟! يعني: تريدني ولا تريدني أبي؟! إذا كان عندي في البيت ومحتاجاً إليّ؛ هذا بمنزلة أبيك، وهذه بمنزلة أمك.

لو كان العكس، لو أَنَّ أَبَاكَ مُحْتَاجٌ إِلَيْكَ وَأَنْتَ وَحِيدَتُهُ، وَأُمُّكَ وَأَنْتَ وَحِيدَتُهَا، كَأُمِّي وَحِيدَةُ أُمِّي وَأَبِيهَا، جَمِيعُ إِخْوَتِهَا أَحَدٌ عَشَرَ مَاتُوا، طَيِّبٌ احتَاجَتْ أُمُّكَ إِلَيْكَ، وَأَبُوكَ إِلَيْكَ، فَمِنْ الْآدَابِ وَالْأَخْلَاقِ أَنْ يُحْسِنَ زَوْجُكَ إِلَيْهِمْ، وَأَنْ يَتَحَمَّلَهُمْ، فَإِذَا أَحْبَبْتَ مِنْهُ ذَاكَ، فَالمرءُ يَحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ، فَإِذَا أَحْبَبْتَ هَذَا مِنْ زَوْجِكَ لِأُمِّكَ وَأَبِيكَ فَاعْلَمِي أَنَّهُ يَحِبُّهُ مِنْكَ لِأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَالدُّنْيَا مَقَايِضُهُ، صَرَفٌ تُعْطَى وَتُعْطَى، فَإِنْ أَحْسَنْتِ مَلَكَتِ شَغَافَ قَلْبِ زَوْجِكَ، فَهَذَا مِنَ الْأَعْرَافِ الْمُسْتَحْسَنَةِ.

وَالْعُرْفُ فِي الشَّرْعِ لَهُ اعْتِبَارٌ ... لِدَا عَلَيْهِ الْحُكْمُ قَدْ يُدَارُ

فَأَحْسِنِي إِلَيْهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَأُبَشِّرِي بِالْخَيْرِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، فِي الدُّنْيَا أَنَّ اللَّهَ يَمْتَعُكَ وَيَقْوِيكَ وَيَجْعَلُ لَكَ الْبَرَكَاتِ فِي جَسْمِكَ وَعَمْرِكَ وَوَقْتِكَ وَيَحْبِبُّكَ إِلَى زَوْجِكَ، وَهَكَذَا فِي الْآخِرَةِ لَا يَضِيعُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ ... لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

فَإِنْ أَحْسَنْتِ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، نَعَمْ

[٤] تقول في زكاة الحلي: هل يجب أن يجمع ما عند المرأة والبنات ويوزن أم كل واحدة على

حدا؟

سواء هذا أو هذا؛ كله يكفي، ولكن إذا جمعه وأدى زكاته مرة واحدة؛ كفى، فلو جمعه وجاء بنصف كيلو؛ زكى، ثم لو فرقه وهذا وهذا وهذا، وجمع زكاة الجميع؛ جاءت هي زكاة نصف كيلو، هي واحدة، ولكن لا تتعبيه، رايح جاي للبياع، يزن عنده، أجمعوا جميعاً ويوزنه ويوزنيه. لو فرضنا زكى للبننت هذه، والبننت هذه، والبننت هذه، والزوجة، ثم جمع المال؛ أليس هو نفسه في حين لما يجمع الذهب كله؟! هو نفسه، نعم.

على كل حال، إذا أرادوا النصاب فالمسألة مسألة الحيلة، مسألته مسألة الحيلة.

على كل حال، أنا أقول: إن كان هؤلاء البنات كل واحدة منها مكلفة؛ فهي مكلفة بمالها بنفسها، أما إن كانوا تحت ولايته [وهو صغير]^(١٣٢)؛ هذا يجمع الجميع ويأتي به، نعم.

^{١٣٢} هكذا الظاهر.

[٥] وهذا يسأل هل تنصحون الطالب المبتدئ أو المتوسط بالقراءة بمدارج السالكين وصيد الخاطر؟

لا، أقول له: لا؛ لأنه فيها أشياء ينبغي أن يتقدم في العلم حتى يدركها، نعم.

[٦] ^(١٣٣) وهذا يسأل عن الجلوس مع تارك الصلاة بالكلية؟

لا تجلس معه إلا واعظاً له ومذكراً له، فإن ترك الصلاة كفر في أصح قولي العلماء، وإذا كان من الأقارب والجيران توجب له النصيحة عليك أوجب وأوجب، فإن قام بحق الله؛ فلا بأس، وأما إذا لم يقم بحق الله ولم يصل؛ فلا تجلس إليه ولو كان من الأقارب أو الجيران، فترك الصلاة كفر.

يَكْفُرُ بِالْإِجْمَاعِ مَنْ لَهَا جَدُّ ... وَلَمْ يُخَالَفْ فِيهِ قَطْعًا مِنْ أَحَدٍ

لِأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الشَّيْطَانُ ... وَكَذَّبَ الرَّسُولَ وَالْقُرْآنَ

وَهُوَ كَغَيْرِهِ مِنَ الْكُفَّارِ ... وَحُكْمُهُمْ يُعْطَى بِلَا تَمَارٍ

فَإِنْ أَقَرَّ بِالْوُجُوبِ وَأَبَى ... فَقَتَلَهُ عَلَى الْأَصَحِّ وَجَبًا

لِلْكُفْرِ أَوْ حَدًّا عَلَى خِلَافٍ ... قَدْ جَاءَ عَنْ أَيْمَةِ الْأَسْلَافِ

فَقَالَ قَوْمٌ إِنَّهُ لَا يَكْفُرُ ... كُلًّا وَلَا يُقْتَلُ بَلْ يُعَزَّرُ

وَحَبْسُهُ حَتَّى يُصَلِّيَ قَدْ رَأَوْا ... وَالْحَقُّ قُلُوبُ مَنْ بَقَتْلِهِ قَضَوْا

هذا هو، فنسأل الله جل وعلا ألا يبتليننا فيمن نحب بهذا الفعل المنكر العظيم، ماذا بقي له؟! بين

المرء وبين الكفر والشرك ترك الصلاة، العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة؛ فمن تركها فقد كفر، و(أل) في

^{١٣٣} _ هنا في الأصل: (هذا لا بد عندك يا شيخ عبدالقادر تحقيقه، لأنه يكفيني، هذه النظارة جديدة ومع ذلك ما استطعت، نعم. هذه التي أضعها في جيبتي، إن شاء الله ما تذهبون إلا وقد أجبتكم عليها، فلا تخافوا).

قوله بين المرء وبين الشرك والكفر (أل) العهد، الكفر المعهود المعروف الناقل عن الملة في أصح التفسيرين
من كلام أهل العلم.

وهكذا من يصلي حيناً ويترك أحياناً، يقول أيضاً: يصلي حين ويترك أحياناً، هكذا من ترك صلاةً
واحدةً حتى يخرج وقتها عامداً متعمداً فقد كفر، نسأل الله العافية والسلامة، إبليس كفر بعدم السجود،
فينبغي للمرء أن يتقي الله جل وعلا.

[٧] هذا يسأل عن التكبير مباشرةً بها بعد السلام قبل الاستغفار؟

لا أعرفه، الذي بعد السلام: "استغفر الله، استغفر الله، استغفر الله" ثلاثاً، ثم يقول: "اللهم أنت
السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام"، ثم يُقبل بوجهه إن كان إماماً على المصلين، ثم
يقول: "لا إله إلا الله".

أنا لا أعرف هذا، ومن علم فليُحسن إليَّ جزاه الله خيراً.

ليس هذا هو، ليس هذا هو، أنت المراد بهذا التكبير والتحميد والتهليل والذكرُ جاء في الروايات
الأخرى، الذكرُ كما في حديث ابن عباس، نعم.

"سبحانه الله، والحمد لله، والله أكبر"؛ هذا هو، لكن بعدُ، هو يسأل يقول: مباشرةً بعد السلام،
هذا هو، مباشرة.

لا، فسرتُه الروايات الأخرى، فسرتُه الروايات الأخرى، وقد جاء بيانه في الروايات الأخرى
التي جاء فيها أنه كان يقول عقب أن يُسلم: "اللهم أنت السلام، ومنك السلام".

وفُسرت المراد بالتكبير هنا: الذكرُ الوارد الذي فيه: "سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر"؛ نعم.

هذا حديثُ ابنِ عَبَّاسٍ أيضًا في الصحيح.

[٨] هذا يقول عنده تقصيرٌ في صلة الرَّحِمِ وغيرهم مِنْ أَقَارِبِ الوالدة والوالد؛ فهل أكون آثماً؟ علماً

بأنَّهم في بلدان متفرقة.

الحمدُ لله، الجوالُ الآن يأتي به ويَحْصُلُ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد قال في الرحم: "بُلُوها ولو بالسلام"، و(البَلُّ) يعني: الشيء الخفيف حتى لا ينقطع الحبل، فأنت أقل ما تَبُلُّ به هذا الحبل حتى لا يَبْسَ وينقطع السلام، فإذا كانوا في بلدان متفرقة غير بلادك؛ فإن حصل لك زيارتهم هذا أفضل وأكمل، وإلا فلا أقلَّ مِنْ أَنْ تتصل وتَسأل، نعم.

[٩] هذا يسأل عن الأحاديث والآيات التي جاءت في طلب العلم، هل يدخل فيها العلوم الدنيوية

أم هي خاصة بالعلوم الشرعية؟

هي أصلاً في العلوم الشرعية؛ لأنَّ العلم إذا أُطْلِقَ إنما المراد به قال الله، قال رسوله صلى الله عليه وسلم، أما العلمُ الدنيوي فلا بد أن يُضَافَ حتى يُعرَفَ، تقول: علم الكيمياء، علم الفيزياء، علم الهندسة، علم الأرض الذي هو الجيولوجيا، والذي فيه التَّخَرُّصُ كثيرٌ، والقول على الله جل وعلا بلا علم، هكذا علم الفلك، وهكذا علم الطب، ونحو ذلك، هذه العلوم لا يمكن أن يَعْلَمَ الناسُ مِنْ كلمتك العلم أنك تريدُها، وإنما يعرفونه بالإضافة، إذا قُلْتَ: علم الطب؛ عرفوا أنك تريد الطب، علم الهندسة؛ أنك تريد علم الهندسة، أما العلم إذا أُطْلِقَ فهو العلم الذي به نورُ القلوب الذي قال الله جل وعلا فيه: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (١٣٤)، فالأجرُ على هذا العلم بمجرد الشُّرُوعِ في طلبه، ولو لم تُحَصِّلْهُ بعد، وهذا مِنْ أعظم فضائل طلب العلم؛ أنك تُوجِرُ على العلم وأنت لم تُحَصِّلْ بعد، "مَنْ سَلَكَ طريقاً يَلْتَمِسُ علماً سَهَّلَ الله به طريقاً إلى الجنة" فأنت تُثَابُّ وأنت لَمَّْا تتعلَّم بعد ما دُمْتَ خارجاً في طلب العلم، وهذا مِنْ فضل العلم

^{١٣٤} _ فاطر (٢٨).

الشرعي، وهذا فيه ردُّ على مَنْ يقول، كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في باب العلم قبل القول والعمل، في صحيح البخاري، لما جاء إليه، باب: العلم قبل القول والعمل، وقول الله: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} (١٣٥)، إلى آخره، جاء، ذكر حديث أبي الدرداء، في أثناء الشرح، لأنه ليس على شرط البخاري، فذكره في أثناء الشرح، وجاء إليه ثم علّق عليه، فقال: هذا فيه ردُّ على مَنْ يقول: إنَّ العلم لا ينفع صاحبه إلا بالعمل؛ هذا صحيح على أصل العلم (مجمال العلم)، لكن في الحقيقة العلم ينفع صاحبه ولو لم يبدأ فيه، هو الآن شارع خارج في الطريق لطلب العلم؛ فحصل له أيش؟ الأجر، فهذا فيه ردُّ على هؤلاء، ردُّ على هؤلاء، فلا يكسل عن طلب العلم، وليعلم أنَّ طلب العلم يبدأ بالثواب عليه في الشروع بالسلوك في طلبه وإن لم يتعلم بعد، فأشرف أفضل من هذا، فالأحاديث الواردة إنما المراد بها هذا النوع من العلم، ويؤجر إن شاء الله في العلوم الدنيوية على نيته، إذا أحسن النية لحاجة المسلمين إلى هذا النوع من العلم وافتقارهم إليه ولا يوجد إلا عند أعدائهم الكفار فقام ليسدهم؛ يؤجر على النية الصالحة، أما هذا العلم في حد ذاته؛ لأ، بدليل: أنَّ هذا العلم الشرعي لا يجوز لك طلبه للدنيا، وذاك يجوز لك أن تطلبه لأجل التَّكسُّب، تَتَعَلَّمُ الطَّبَّ لتتَّكسب (مهنة)، تتعلم الهندسة لتتَّكسب (مهنة)، وهكذا، تعمل بها، أما العلم الشرعي لأ، فهذا هو العلم المراد، والعلم عند الله جل وعلا (١٣٦).

[١٠] هذا يقول: (السلام عليكم) عليكم السلام ورحمة الله وبركاته، يقول: (أجد صعوبة في

الخشوع في الصلاة، وأخاف كثيرا من الرياء في العبادات؛ فماذا أفعل)؟

أقول: هذا من الشيطان، فأنت لا تطعه، فإنك لما فتته وأفلت منه؛ أراد أن يأتيك من الباب الآخر ليُشكِّكَ في العبادة، لم يستطع فيك حتى تتركها، فجاء إليك من هذا الباب، فعليك بالمجاهدة، والبُعد عن

١٣٥ _ محم (١٩).

١٣٦ _ هنا في الأصل: (حان الأذان؟ لأني أسمع العتاريس، صاحت، وهذا يقولون من النكات التي ينكتون بها على معنى النكتة عندنا وإلا النكتة عند الأولين الفائدة، يقول: تَعَجَّرَ أحدهم بعض الحاضرين، قال: أزعقت العتاريس؟ يعني: الديكة، يقصد الديكة، ما يعرف الناس هذا، فوجد هذا فقال له: دُقْ قَيْلَمُ، فقال: ما معنى دق فيلم؟ قال: وأنت ما معنى العتاريس، أنا الآن اسمع هذه الجوالات قد زعقت، نعم، فإذا حان الأذان تفضل دق فيلم، نعم).

أسباب الرياء، البعد عن أسباب الرياء، والبعد عن أسباب الإشغال في الصلاة، كأن تَوَضَّأَ وتأتي مبكرًا، وأيضًا أن تقطع الأعمال التي تتعلق برجوعك إليها بعد الصلاة؛ إِمَّا أَنْ تُنْجِزَهَا، وَإِمَّا أَنْ تَقِفَ عَلَى مَوْقِفٍ يَصْلُحُ الْوُقُوفُ عَلَيْهِ، وَأَنْ تَتْرَكَ مِنْهَا مَا يُشَوِّشُ عَلَيْكَ (مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَى قِيَامٍ عَلَيْهِ) فَتُوقِفُهُ، كَإِذَا كُنْتَ فِي مَطْعَمٍ مَثَلًا، مَا تُخَلِّلِي الْجَزَّ (البوتاجاز) شَغَالًا عَلَى الْقُدُورِ وَتَرْوُحُ تُصَلِّي! تَبْقَى تُصَلِّي؛ وَأَنْتَ هَذَا الْقَدْرَ يَحْرَقُ، وَهَذَا الْقَدْرُ مَا يَحْرَقُ! لَأَ، إِنَّمَا تُقْفِلُ عَلَيْهِ، وَتَوَاصِلُ إِذَا عُدْتَ إِلَيْهِ، هَذَا أَذْكُرُهُ لِأَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِ الْمَطَايِخِ هَكَذَا ذَكَرَ لَنَا عَنْ نَفْسِهِ، فَلَمَّا كَانَ؛ فَهَكَذَا الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذَكَّرُ، فَأَنْتَ تَبْتَغِدُ عَنْ أَسْبَابِ الْإِشْغَالِ عَنِ الْخُشُوعِ، وَهَكَذَا أَيْضًا أَلَا تُصَلِّي عَلَى قَطِيفَةٍ مَرْقَمَةٍ وَسَجَّادَةٍ مَرْقَمَةٍ، فَتَشْغَلَكَ عَنْ صَلَاتِكَ، وَإِنْ بُلِّيتَ بِهَا فِي مَسْجِدٍ لَيْسَ لَكَ فِيهِ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ؛ فَإِنَّكَ تَحَاوُلُ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ الْخُشُوعَ، وَلَوْ أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ؛ لَا إِشْكَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَهَكَذَا أَنْ تَبْتَغِدَ عَنِ النَّظَرِ إِلَى الْجُدْرِ الْمَكْتُوبِ عَلَيْهَا فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ لِلْأَسَفِ، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ الْآنَ حِينَمَا يَضَعُونَ بَعْضَ الْأَذْكَارِ أَمَامَ الْمُصَلِّينَ، أَذْكَارُ الصَّلَاةِ يَلْقَوْنَهَا فِي هَذِهِ الْخُرْقَةِ الْكَبِيرَةِ (قِطْعَةِ الْقِمَاشِ) فَيُصَلِّي وَهُوَ يَقْرُؤُهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، فَتَشْغَلُهُ عَنِ الصَّلَاةِ، النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَّ الْقَطِيفَةَ وَأَمَرَ بِأَنْ يُؤْتَى بِأَنْبِجَانِيَّةٍ أَبِي جَهْمٍ، وَأَخْبَرَ أَنَّ الْقَطِيفَةَ أَلْهَتْهُ آفَا فِي صَلَاتِهِ (شَغَلَتْهُ)، فَكَيْفَ هَذِهِ الرُّقُومُ وَهَذِهِ النُّقُوشُ الَّتِي تَحْصُلُ؟! فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَبْتَغِدَ أَيْضًا عَنْ كُلِّ مَا يَشْغَلُهُ فِي صَلَاتِهِ مِمَّا هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهَكَذَا بَقِيَّةُ الْعِبَادَاتِ إِنْ كُنْتَ تَخَافُ مِنَ الرِّيَاءِ فِي الصَّدَقَةِ؛ فَتَصَدَّقْ عَلَى الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا يَرَاكَ النَّاسُ إِنْ ذَهَبْتَ إِلَيْهِمْ، اذْهَبْ إِلَيْهِمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ، لَا يَرَاكَ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، وَفِي اللَّيْلِ، وَهَكَذَا، أَوْ أَرْسَلْ بِهَا مَعَ مَنْ تَأْمَنُهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا ذَا، قُلْ لَهُ: وَدِّيَ هَذَا إِلَى فُلَانٍ، بَسْ، لَا يَدْرِي مَا هُوَ، تَجْعَلُهُ فِي كَيْسٍ تَضَاعِفُهُ، إِنْ كَانَ مَا لَا جَعْلَتَهُ فِي دَفْتَرٍ، ثُمَّ تَجْعَلُهُ فِي ظَرْفٍ، فَهَذَا مَا يَحْسُ إِلَّا دَفْتَرًا، مَا يَدْرِي بِأَنَّهُ مَالٌ، حَتَّى تَبْتَغِدَ ... وَهَكَذَا، مَا تَعْجَزُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، يَعْنِي: لَوْ أَخَذْتَ الْمَالَ، فَبَدَلَ أَنْ تَضَعَهُ فِي ظَرْفٍ يَحْسُ بِهِ الْإِنْسَانُ أَوْ يَرَاهُ؛ تَجْعَلُهُ فِي دَفْتَرٍ، وَتُقْفِلُ الدَّفْتَرَ عَلَيْهِ، وَتَجْعَلُ الدَّفْتَرَ فِي كَيْسٍ أَوْ

في ظرفٍ، فيذهب، قل: هذا الدَفتر أعطِه لفلان، خَلَصْ وَصَلْ المقصودُ، وابْتَعَدْتَ عن الرِّياء، وهكذا، والطرائقُ كثيرةٌ لله الحمد، وَمَنْ طَلَبَهَا أو سأل عنها؛ إِنْ شاء الله لن يعجز في هذا الباب.

[١١] ^(١٣٧) هذا يقول: أنا ^(١٣٨) شاب أعمل في أحد المصانع، فيُجبرُونَ الشباب على تخفيفِ لِحَاهُمْ

مِنْ أَجْلِ لُبْسِ القناع في العمل، هل هذا جائز؟

لا، ليس بجائز أيها الاخ الكريم، لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الخالق، لا تحلقَ لحيتَكَ، ولا تُقَصِّرْهَا لأجلهم، النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اغفوا للحي، ويقول: وفروا للحي، صلى الله عليه وسلم، وهؤلاء يقولون لك: قَصِّرْهَا! التقصير ضد الإعفاء، وضد التوفير، فَإِنَّ الإعفاء هو الطُّولُ، فالأَرْضُ ذاتُ العفاء هي التي قد نما زرعُها وعفاها، يعني: الحشائش فيها، فإذا جُرَّ فقد قُصِرَ، فلا تُجِبْهُمْ إلى ذلك، وليس ذلك بجائز لك؛ لأنَّ الطاعة إنما هي في المعروف، ولُبْسُ القناع ما يَمْنَعُ أَنْ يكون الإنسانُ ملتحيًا، أيش هذا القناع الذي يمنع؟! ما يمنع، نعم، وإذا كان بإمكانك الخروجَ مِنَ العمل (كما تَذَكَّرُ) والذهابَ إلى مكانٍ ثاني ولكن براتبٍ أقلٍّ؛ إذا قلَّ هذا الراتبُ مِنْ أَجْلِ بقائك على الدين والشرع والسُنَّةِ؛ يجعلُ الله لك في هذا الراتبِ مِنَ البركة ما ليس في الكثير مع تنازلكَ عن شيءٍ مِنْ دِينِكَ، فلا تذهب، وَإِنْ أخرجوك فاذْهَبْ بعد ذلك إلى هذا المكان والله يباركُ لك في هذا القليل.

[١٢] سائلة أمريكية، تقول: ما هي ضوابط الحجاب الشرعي؟ كيف ألتزم به مع مراعاة عُرْفِ

البلاد؟

الحجابُ الشرعي أَنْ تَسْتَتِرِي عن الأجانب، فتغطي وجهك وجسمك بالغطاء الفضفاض الذي لا يُحَجِّمُ الجسدَ، ولا يُظْهِرُ صدرك ولا عجزتك، تغطي يديك ورجليك، فلا يُرَى مِنْ محاسنِكَ شيءٌ، فَإِنْ

^{١٣٧} — هنا في الأصل: (وجدت شيئاً في هذا الذي ترجمته؟ المخطوطة، تقرؤه علينا؟ جزاك الله خيراً، نسخه، نعم، الحمد لله).

^{١٣٨} — هنا في الأصل: (هذا هو، هذا الذي كتبتَه؟ طيب).

ظهر شيءٌ بعد ذلك بغير إرادةٍ؛ فلا شيءٌ عليكِ إن شاء الله، ومن أعظم ما يجبُ عليكِ سترُ الوجه، فإنَّ الوجهَ زينةُ المرأةِ لا تُبديهِ إلا عند ذوي المحارم.

مع مراعاة عُرْفِ البلاد؛ الحمد لله، رأينا المسلمات الصادقات الملتزمات بدين الله المتمسكات بدينه وشرعه؛ رأيناهنَّ محترمات في البلاد الكافرات، وإنَّ حصلتْ هَزَاتٌ في أوقاتٍ معلومةٍ كَرَدَّةٍ فَعَلَ لبعضِ التصرفاتِ ممَّن أسأوا (للأسف) بتصرفاتهم إلى الإسلام والمسلمين، لكن مع هذا أنا رأيتُ شيئاً من ذلك في بلاد الغرب، فرأيتُهنَّ يمشين متسترات تسترا كاملاً، وعليهن العباءات السوداء، وما يَعْرِضُ لهنَّ أَحَدٌ، وتفتَحُ عن عَيْنَيْهَا، وتمشي والله الحمد ولا شيءَ عليها، وهناك في تلك البلاد ما فيه عُرْفٌ مطرد، كلُّ واحد له عرف، العريان له عُرْفٌ وعُرْفٌ، والذي لا بيس طويل له عُرْفٌ وعُرْفٌ، والذي لا بيس لباس الإسلام له عُرْفٌ، فما لهم عُرْفٌ هناك، هم خليط، خليطٌ.

أنا أضربُ لكم مثالا (مثالا واحدا)؛ الهندوسي يذهب إلى البلاد الكافرة، عمامته (هكذا)، هكذا كبرها، رأيتُ عمامة الهندوس؟ ما يزيلها أبداً، ولحيته طويلة، وشاربه تربطُ به قطيعاً من الدواب، يشتغل في المستشفيات، ما يزيل ذلك، ولا يُقالُ له: أزلْهُ، متمسكٌ بباطله، وهكذا يشتغل في المطاعم؛ ما يُقالُ له: أزلْهُ، يشتغل في المحلات المتعددة، هؤلاء على باطلهم أصبرُ منَّا على الحق؟! يا الله العجب، ما أضعفَ أهلَ الحقِّ إذا أرادوا أن يتعلَّقوا بمثل هذه العُلُقِ، نعم.

[١٣] وهذه المرأة أيضاً تقول: هل يجوز للمرأة أن تلبس تنورة واسعة وجاكيت طويلاً في بلاد

الغرب مع مراعاتها للنقاب؟

والله إذا كان التنورة واسعة، أيضا معها شيء آخر وهو ألا تكون رقيقة، ألا تكون رقيقة، يعني: مثل ما يسمونه أيضا اليوم بالاستتش، فإن هذه رقيقة تصف الجسم، وربما لزقت فيه، فحينئذ فلتضع عليه ملاءة، عباءة، ما يكفي هذا، أما مراعاة النقاب فهذا واجب عليها^(١٣٩).

[١٤] هذا يقول: هل الحيُّ من أسماء الله؟

نعم {هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}^(١٤٠)، {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} أشهر آية يُردِّدها الناسُ {الْحَيُّ الْقَيُّومُ}^(١٤١)؛ كيف؟!

[١٥] وهذا يسأل عن المعرفة والإثبات؟ (يعني بهما: المعرفة القلبية)^(١٤٢) والنظر في توحيد

الربوبية) والقصد والطلب؟ (يعني بهما: التوجه)؟

المعرفة: معرفة الله جل وعلا بأسمائه وصفاته وأفعاله، فهذه المعرفة (معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله)، ويشمل نوعي التوحيد: الربوبية والأسماء والصفات؛ لأن الربوبية هو توحيد الله بأفعاله جل وعلا، إفراده بهذا، هو الذي يُفرد بالخلق والرِّزق والإحياء والإماتة والتدبير لشؤون خلقه سبحانه وتعالى، لا يشاركه في ذلك أحد، فهذا إثبات له.

والمعرفة: معرفة الله بأسمائه، وبصفاته، كما قال جل وعلا: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا}^(١٤٣)، فهذه المعرفة والإثبات، يُعني بهما: معرفة الإنسان بأسماء الله جل وعلا وصفاته وأفعاله، وهو مشتمل على نوعي التوحيد: الربوبية والأسماء والصفات.

^{١٣٩} _ هنا في الأصل: (جاء وقت الصلاة؟ طيب).

^{١٤٠} _ غافر (٦٥).

^{١٤١} _ البقرة (٢٥٥). آل عمران (٢).

^{١٤٢} _ هنا في الأصل: (وما أدري أيش؟ كلمة والله ما عرفتيا).

^{١٤٣} _ الأعراف (١٨٠).

وأما القصد والطلب فالمراد به: توحيد الألوهية، وهو إفراد الله بأفعالك أنت أيها العبد، وهذا هو توحيد العبادة، الذي أنزل الله به الكتاب، ولأجله بعث الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، من أولهم نوح إلى آخرهم نبينا محمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم، وكانت الخصومة بينهم وبين أقوامهم فيه، فهذا هو، فحينئذ إذا عرفت القصد والطلب؛ أفردت الله سبحانه وتعالى بأفعالك أنت، فلا تدعو إلا الله، ولا تصلي إلا له، ولا تذبح إلا له، ولا تنذر إلا له، ولا تتوكل إلا عليه، ولا تخاف إلا إياه، ولا تخشى إلا هو سبحانه وتعالى، كالخشية والرغبة والخشوع والخضوع والرغبة والرهبة والإنابة إلى آخره كما تعلمون مما تحفظون مما يجب إفراد الله به، ومن صرف منه شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر، فهذا هو معنى المعرفة والإثبات والقصد والطلب.

[١٦] وهذا يقول: هل يجوز لي أن أصلي تحية المسجد بنية ركعتين قبل الفجر وأجمعهما في

ركعتين فقط؟

أنت أيها الاخ الكريم إذا صليت بنية الأعلى دخل الأدنى فيه، والأعلى هنا هو سنة الفجر التي لم يتركها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حضراً ولا سفيراً، بل في بعض مغازيه لما قفل قال: من يحرسنا الليلة، وقد كان قريب الفجر، قال بلال: أنا، فأخذة النوم رضي الله عنه، فما أيقظ القوم إلا حرارة الشمس، بما فيهم النبي صلى الله عليه وسلم، فكان أول من استيقظ، فأمر أصحابه أولاً بأن ينتقلوا من هذا الموضع، ثم أذن المؤذن، ثم جاء بسنة الفجر، ثم أقام، فصلى صلى الله عليه وسلم، ولم يكن يتركها عليه الصلاة والسلام في السفر، فدل ذلك على تأكيدها، فأنت أيها الأخ الكريم إذا دخلت المسجد والأذان قد أذن؛ فما عليك إلا أن تتيقن فقط أن الأذان في وقته فصل سنة الفجر، فتدخل فيها تحية المسجد.

أما إذا دخلت قبل الوقت؛ فلك أن تصلي تحية المسجد إذا كان في غير النهي، وإذا كان في وقت النهي؛ نظرت فإن كان الفرق قريب دقيقتين، تنتظر يؤذن المؤذن قائماً، فالحمد لله هذا الذي يطلب

منك، فإذا أَدَنَّ المغربُ صَلَّيْتَ بعد ذلك سُنَّةَ الدُّخُولِ (سنة المسجد)، ولا يجوزُ لك أن تجلسَ حتى تصلي،
لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين" هكذا السُّنَّةُ.

وَصَلِّينَ تَحِيَّةً لِلْمَسْجِدِ ... قَبْلَ الْجُلُوسِ فَادِرٌ^(١٤٤) وَاعْمَلْ تَهْتِدِ

وَكُلُّ وَجْهِ الْأَرْضِ مَسْجِدٌ لَنَا ... فَضِيلَةٌ خُصَّ بِهَا نَبِيُّنَا

وَاسْتَتْنِينَ مَا النَّهْيُ عَنْهُ قَدْ نُقِلَ ...

إلى آخره، فالشاهد: يكفيك هذا، ونكتفي بهذا، والله أعلم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين^(١٤٥).

^{١٤٤} _ قال الشيخ موضحاً: (يعني: اعلم)

^{١٤٥} _ مَا كَانَ مِنْ خَطِيئَةٍ فِي التَّفْرِيعِ فَلَمَّا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُورٍ وَتَقْصِيرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّى الصَّوَابَ، فَجَزَى اللَّهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ، وَكَبَّتْهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يُلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

الدرس السادس من شرح كتاب:

”كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة“ للحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى

لصاحب الفضيلة المدرس في الجامعة الإسلامية محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى^(١٤٦)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فهي نحن معشر الأحبة نلتقي في هذا اليوم، ونسأل الله جلَّ وعلاً أن يعيننا وإياكم، ونحن في أواخر هذه الدورة العلمية، التي لم يبقَ منها إلا يومان (غداً وبعد غدٍ)، ونختتم بإذن الله، والحمد لله، ونسأله جلَّ وعلاً بعد الصلاة والسلام حسن الختام، ثم الصلاة بعد والسلام بحمد ربِّي يحسن الختام، فنسأل الله أن يحسن لنا ولكم الخاتمة، وأن يثبتنا وإياكم على الحق والهدى حتى نلقاه، سَمَّ الله.

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه أستعين، وبعد: قال المصنف رحمه الله تعالى:

[المتن]: وفي حديث سعدٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ”إن الله يحبُّ العبدَ الخفيَّ التَّقِيَّ“، وفي حديث معاذٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم: ”إن الله يحبُّ من عباده الأخفاء الأتقياء الذين إذا حضروا لم يُعرفوا، وإن غابوا لم يُفتقدوا، أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم“، وعن عليٍّ: ”طوبى لكلِّ عبدٍ نومة عَرَفَ الناسَ، ولم تَعْرِفْهُ الناسُ، وعَرَفَهُ الله منه برضوانٍ، أولئك مصابيح الهدى، تُجلى عنهم كلُّ فتنةٍ مظلمةٍ“، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: ”كونوا جُددَ القلوبِ، خُلُقَانِ الثيابِ، مصابيحَ الظلامِ، تخفون على أهل الأرض، وتُعرفون في أهل السماء“، فهؤلاء هم أخصُّ أهل الغربة، وهم الفرَّارون بدينهم من الفتن، وهم النَّزاعُ مِنَ القبائل الذين يُحشرون مع عيسى بن مريم عليه السلام، وهم بينَ أهل الآخرة أعزُّ من

١٤٦ _ ألقاه في مسجد عتبة بن غزوان رضي الله عنه بالدمام، شهر شوال، عام ألف وأربعمائة وسبعة وثلاثين من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

الكبريت الأحمر، فكيف يكون حالهم بين أهل الدنيا؟! وتخفى أحوالهم غالباً على الفريقين، كما قال
القائل:

تَوَارَيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ ... فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي

فَلَوْ تَسْأَلُ الْيَّامَ مَا اسْمِي مَا دَرْتُ ... وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِي.

[الشرح]: الحمد لله، يقول المصنف رحمه الله تعالى مواصلاً الحديث عن الغربة، وفي حديث سعد رضي الله عنه، يعني: سعد بن أبي وقاص، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "إِنَّ الله يحب العبد الخفيّ التقيّ"، هكذا ساقه المصنف، هذا الحديث عند مسلم، وله قصة، وأصل القصة هي التي أوردت رواية سعد لهذا الحديث، وذلك (حفظكم الله) أَنَّ سعداً رضي الله عنه لَمَّا حَصَلَتِ الْفِتْنَةُ ابْتَعَدَ، وَكَانَ يَخْرُجُ فِي إِبْلِهِ وَيَبْتَغِدُ عَنِ الْخَوْضِ مَعَ النَّاسِ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي إِبْلِهِ إِذْ رَأَى رَاكِبًا مِنْ بَعِيدٍ، لَمْ يَعْرِفْ مَنْ هُوَ، رَأَى زَوْلاً، رَأَى ظُلماً، لَمْ يَتَبَيَّنْ مِنَ الشَّخْصِ، وَهُوَ فِي إِبْلِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ، يَعْنِي: أَنَا فِي الْبَرِّ، بَيْنَ إِبْلِي مَعْتَزِلٌ، وَيَلْحَقْنِي هَذَا؟! فَهَكَذَا ابْتَدَأَ؛ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا الرَّاكِبِ، وَهَذَا مَصْدَاقُ الْحَدِيثِ: "يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمَرْءِ" أَيْش؟ "غَنِيْمَاتٌ يَذْهَبُ بِهَا فِي شِعَافِ الْجِبَالِ، يَتَّبِعُ مَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَعْبُدُ اللهُ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ"، هَذَا فِي آخِرِ الزَّمَانِ (حفظكم الله) عِنْدَمَا تَكْثُرُ الْفِتَنُ (عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ) يَقُولُ: خَيْرَ مَالِهِ غَنِمَاتٌ، هُوَ وَإِيَّاهَا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فِي شِعَافِ الْجِبَالِ، مَوَاقِعِ الْقَطْرِ، هَذِهِ الْغَنِيْمَاتُ هُوَ مَعَهَا سَاكِنُ النَّفْسِ مَطْمَئِنٌّ، يَعْبُدُ اللهُ وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَا يَشَارِكُ فِي الْفِتَنِ، فَبَيْنَا سَعْدٌ فِي إِبْلِهِ (وَقِيلَ: فِي غَنَمِهِ وَإِبْلِهِ) إِذْ رَأَى هَذَا الرَّاكِبَ مِنْ بَعِيدٍ، لَمْ يَرَهُ، وَإِنَّمَا يَرَى هَذَا الشَّيْخَ، مَا عَرَفَ الْوَجْهَ؛ بَعِيدٌ، فَقَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّاكِبِ، فَلَمَّا اقْتَرَبَ وَإِذَا بِهِ ابْنُ عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ هَا هُنَا وَالنَّاسُ يَتَصَارِعُونَ عَلَى الْمَلِكِ؟! قَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَهَذَا فِي (الصَّحِيحِ)، وَأَنْتُمْ انظُرُوا، يَدُلُّكُمْ ذَلِكَ عَلَى السَّبَبِ

فعلا، هَرَبَ مِنَ الْفِتَنِ، ابْنُهُ يَقُولُ: أَنْتَ هُنَا، قَاعِدٌ فِي إِبْلِكَ وَغَنَمُكَ وَتَتْرُكُ النَّاسَ؟! النَّاسُ يَتَصَارِعُونَ عَلَى الْمُلْكِ وَأَنْتَ مَعَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ؟! لِحَالِكَ فِي الْغَنَمِ؟! قَالَ لَهُ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ"، هَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَوْصَافُ "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ"، فَهُوَ فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ مُجْتَهِدٌ،^(١٤٧) فَقَالَ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ"، (تَقِيٌّ): هَذَا أَوَّلًا، وَالتَّقِيُّ هُوَ الَّذِي جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَذَابِ اللَّهِ وَقَايَةً، وَمِنْ هَذَا أَنْ تَتَّقِيَ الْفِتْنََ الَّتِي تُحْرِقُ دِينَكَ، اتَّقَاءُ الْفِتَنِ الَّتِي تُحْرِقُ دِينَكَ، وَمِنْ هَذِهِ الْفِتَنِ (الَّتِي يَنْحَرِقُ فِيهَا دِينَ الْمَرْءِ) الْاِقْتِتَالُ عَلَى الْمُلْكِ حَتَّى لَا يَعْلَمَ الْقَاتِلُ فِيمَا قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَا قُتِلَ، هَذَا هُوَ، فَالْتَّهَارُجُ بَيْنَ النَّاسِ (وَهُوَ إِسَالَةُ الدِّمَاءِ وَإِرَاقَةُ الدِّمَاءِ فِي هَذَا الْبَابِ)؛ هَذَا أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَهِيَ أَنْتُمْ الْيَوْمَ تَرَوْنَ فِي الْقِتَالِ عَلَى الْمُلْكِ: كَمْ تُزْهَقُ مِنَ الْأَرْوَاحِ؟! فِي الشَّامِ، فِي الْيَمَنِ، فِي الْغَرْبِ، فِي الشَّرْقِ؛ كَمْ؟! فِي الْعِرَاقِ، فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ طَوْلًا وَعَرْضًا، انظُرُوا، بِلَادَ الشَّامِ، سُورِيَا بِمُفْرَدِهَا قَارِبَ الْقَتْلِ الْمِلْيُونِ! أَلَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ الْفِتْنَةُ؟! هَذِهِ وَاللَّهِ الْفِتْنَةُ، وَمَعَ هَذَا يَظْهَرُ كُلُّ مُبْطِلٍ يَرِيدُ أَنْ يَسْتَبِقَ؛ لَعَلَّهُ هُوَ يَلِي الْمُلْكَ لِيَنْصَرَ نَحْلَتَهُ وَضَلَالَتَهُ وَبِدْعَتَهُ، فَأَنْتَ تَنْظُرُ وَتَرَى هَذَا الْبَلَاءَ الَّذِي نَزَلَ بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَالشَّاهِدُ: قَالَ: النَّاسُ يَتَقَاتِلُونَ عَلَى الْمُلْكِ وَأَنْتَ جَالِسٌ فِي غَنَمِكَ؟! فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَمِنَ الثَّقَوَى أَنْ يَبْتَغِدَ الْإِنْسَانُ عَمَّا يُحْرِقُ دِينَهُ فِي هَذَا، فَحِينَئِذٍ نَقُولُ لِلنَّاسِ: لَا تَشْتَرِكُوا فِي مِثْلِ هَذَا وَكُونُوا أَحْلَاسَ بِيوتِكُمْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعَيِّرُونَنَا بِأَنَّا: جَمَاعَةُ الْأَحْلَاسِ! نَعَمْ، وَيَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ؛ قُولُوا مَا شِئْتُمْ، قُولُوا مَا شِئْتُمْ، هَذَا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَوْنَ حَالَهُ، تَرَكَهُمْ جَمِيعًا وَخَرَجَ فِي إِبْلِهِ وَغَنَمِهِ وَابْتَعَدَ عَنِ الشَّرِّ هَذَا؛ طَلَبًا لِلسَّلَامَةِ، السَّلَامَةُ فِي الدِّينِ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ، السَّلَامَةُ رَأْسُ مَالٍ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ، وَأَنْتَ تَدْعُ الْمَقْطُوعَ بِهِ لِلْمُظْنُونِ بِهِ؟! هَلْ تَأْتِي الْأُمُورُ عَلَى مَا تُحِبُّ؟! هَذَا بَابُ مُظْنُونٍ بِهِ، لَكِنْ سَلَامَتُكَ أَنْتَ فِي دِينِكَ؛ تَسْتَطِيعُ

^{١٤٧} _ هُنَا فِي الْأَصْلِ: "أَنَا مَا أَعْرِفُ أَنْطِقَ اسْمَهَا، أَيُّهُ، سَيَارَةُ نَيْسَانَ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، سَيَارَةُ نَيْسَانَ، الظَّاهِرُ اللَّوْحَةُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا الْفَجِيرَةُ، خَمْسَةٌ خَمْسَةٌ خَمْسَةٌ ثَمَانِيَّةٌ، غَرْبِي الْمَسْجِدَ، فَلِلْأَهْمِيَّةِ ضَرُورِي يَخْرُجُ صَاحِبُهَا إِنْ كَانَ مَعْنَى إِزَاحَتِهَا عَنْ مَوْضِعِهَا، الْفَجِيرَةُ خَمْسَةٌ خَمْسَةٌ خَمْسَةٌ، ثَلَاثُ خَمْسَاتٍ، ثَلَاثُ خَمْسَاتٍ، ثُمَّ ثَمَانِيَّةٌ، نَعَمْ.

فيه بإذن الله تبارك وتعالى، فهذا هو التقوى، هذه هي التقوى الحقيقية: أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقايةً بفعلٍ ما يجب وتركٍ ما يحرم، ثم (الغنى): والغنى أصله من النفس، فإن انضاف إليه وجود شيء من الدنيا يستغني به العبد عن الناس فلا يستميلونه بسبب ضعفه بفقره؛ فهذا خيرٌ عظيم، وإلا أصل الغنى غنى النفس، مرَّ رجلٌ كما في صحيح البخاري، مرَّ بالنبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ ذو هيئة، فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: هذا حرٌّ به إن خطبَ أن يُنكح، وإن شفعَ أن يُشفع، وإن قال أن يُسمع له، فسكت، فمرَّ به آخرٌ من فقراء المسلمين، فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: يا رسول الله، والله إن هذا لحرٌّ به إن خطبَ لم يُنكح، وإن شفعَ لم يُشفع، وإن قال لم يُسمع له، فقال: "إن هذا أفضل عند الله من ملء الأرض مثل هذا!" شَف، "إن هذا": يعني: هذا الفقير الذي لا تروُّه شيئاً، "أفضل عند الله من ملء الأرض مثل هذا"؛ الأول، لم؟ لأنَّ هذا أقبلَ في صلاح حاله وإصلاح نفسه واستقامة دينه، ومهمومٌ بأمر آخرته، لا يريد من الناس أن يذكروه، وليس له في الدنيا جاهٌ حتَّى يبجلوه بسببه ويرفع من ذكره، فهو دائمٌ في إصلاح نفسه وإن لم يذكر، فهذا هو الخفي الذي يتخفى بنفسه مع غناه، والغنى غنى النفس (كما قلت لكم)، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ليس الغنى عن كثرة العرض، لكن الغنى غنى النفس"، فإن انضاف إليه ذلك؛ فهذا خيرٌ، لماذا؟ لأنَّ الفتن لا تعصفُ به، فتَن أيش؟ الشهوات، أنتم ترون الآن وتسمعون: بعضهم يقاتل للمال، حتَّى إنكم لتسمعون في الفتن في هذا الأيام في القتال: (المرتزقة) (المرتزقة)؛ ما تسمعون بهذه الكلمة في بعض الجيوش؟ مرتزقةٌ بالدولار والدينار، يأتون يقاتلون، ليس لهم فيها ناقةٌ ولا جملٌ، يقاتل لأجل الدينار والدرهم، لا لأجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، فهذا هو البلاء، نعوذ بالله من ذلك، فالعبد ينبغي له أن يكون تقياً خفياً، وإن من حقيقة التقوى أن يخفي العبد ما بينه وبين الله جلَّ وعلاً حتَّى يتحقق الإخلاص مع العمل فيحصل القبول، فشروط القبول لا بد من أن تتحقَّق حتَّى يحصل القبول، وهي: الإخلاص والمتابعة، فالمتابعة في العمل، والإخلاص في القلوب؛ في منشأ الأعمال، في منشأ العبادات، في منشأ الأقوال، هذه العبادة لله خالصة؛ يُثاب عليه، ليست له

خالصةً؛ "أنا أغنى الشركاء عن الشرك"، هذه العبادة وفقاً لسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ مقبولة، ليست على السنة؛ ليست مقبولة "مَنْ عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ"، "لو كان أخي موسى حياً ما وسَّعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي"، فالله جَلَّ وَعَلَا يحب العبد الذي هو على هذه الصفة، ومثله حديث معاذٍ رضي الله عنه: "إِنَّ الله يحب مَنْ عباده الأَخْفِيَاءَ"؛ الخفي، فجاء هنا بلفظ الجمع: "الأَتَقِيَاءَ"، هناك مفرد: "التقي"؛ وصفٌ، وهنا وصف الجمع، ثم بَيَّنَّ مَنْ هُمْ، ففي حديث مَنْ؟ حديث معاذٍ زيادةً وصفٍ لهؤلاء الأَتَقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ، مَنْ هُمْ؟ "الذين إذا حضروا لم يُعْرَفُوا"؛ هذا وصفٌ لهؤلاء الأَتَقِيَاءَ الأَخْفِيَاءَ؛ مَنْ هُمْ؟ "الَّذِينَ إِذَا حضروا لم يُعْرَفُوا"، ليسوا مِنْ أهل الشهرة وأرباب الشهرة، كما يقولون اليوم: ليسوا مِنْ أصحاب الأضواء، الأضواء ما هي مُسَلَّطَةٌ عليهم، ما أحد يعرفهم، لو جعل عليهم كشافات الدنيا كلها لا يُعْرَفُونَ، فما هم مِنْ أهل الأضواء الَّذِينَ يخرجون للناس بالشهرة، الَّذِينَ يسمُّونهم اليوم: (المشاهير)؛ اليوم عندنا الآن مصطلح اسمه: "الدَّعَاةُ المشاهير"، يُمكنُ سمعُهم بهذا: "الدَّعَاةُ المشاهير"؛ فتقرأ وتسمع لهؤلاء الدعاة المشاهير فتجد الموبقات والمناكير، فلا حول ولا قوة إلا بالله، والذي يعمل لله هو أخوف الناس مِنَ الشهرة وأبعدُ الناس عن الشهرة، ولهذا لا تَطْلُبُوا مِنْ علماء أهل السنة والأثر أَنْ يُجَارُوا أولئك على عتبات المسارح، ولا في القنوات الفضائية، هذا لا يليق بهم، عَمِرَتْ قلوبهم بالإيمان وزانَتْها طاعةُ الرَّحْمَنِ واستشعروا الوقوفَ بين يدي الله جَلَّ وَعَلَا يومَ القيامة، خافوا على أنفسهم مِنَ الافتتان، فَقَرَّبُوا إِلَى الله، فأنت تجدُ نَفْعَ كلامهم وأثره الطَّيِّبَ الجميلَ في الناس، وهم ليسوا مِنْ أهل الأضواء، ما هم حريصون على هذا، يخافون مِنَ الفتن على أنفسهم، يخافون على أنفسهم مَنْ أَنْ يُلْقَى في قلوبهم شيءٌ بسبب حبِّ الشهرة والظهور، فينشوبُ العملُ شيءٌ مِنَ الشرك والرياء، والرياء معشر الأَحِبَّةِ أَخْفَى مِنْ دبيب النملة السوداء على الصَّفاة الصَّماءِ في الليلة الظلماء، ولذلك صاحبه يجدُ في نفسه تَعَبًا ومعاناةً إِذَا أَحَسَّ بشيءٍ مِنْ هذا، مَنْ قَوِيَ يَقيُّنُهُ واستنار قلبه؛ يَخَافُ على نفسه مِنْ أدنى شيءٍ، لهذا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "أخوفُ ما أخافُ عليكم الشرك الخفي"، هذا أخوفُ ما يخاف علينا، الشهوةُ الخفيةُ مصيبةٌ، أنتم ما

ترونها، الله يراها، وهي في قلوبنا إذا دبَّتْ لا يعلمها إلا الله، فالإنسان يعالج نفسه في هذا الباب معالجةً عظيمةً حتَّى يصحَّ له إيمانه، ويصفو عمله لربِّه جلَّ وعلاً، "الذين إذا حضروا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يُفتقدوا"؛ لأنَّ الأضواء لم تُسلَّطْ عليهم (كما قلْتُ لكم)، ما هم من المشاهير، "أولئك أئمة الهدى ومصابيحُ العلم": هكذا جاء هذا الحديث عند الحاكم بهذا اللفظ (بهذا اللفظ)، وهو عند البيهقي في الأسماء والصفات بمثله لكن في آخره: "قلوبهم مصابيحُ الهدى"،^(١٤٨) الشاهد: (نعود إلى حديثنا) وهو أيضاً عند البيهقي في الصفات، آخره يختلف؛ قال: "قلوبهم مصابيحُ الهدى"، قلوبهم مصابيحُ الهدى، "يخرجون من كلِّ غبراءٍ مظلمةٍ"؛ قلوب هؤلاء الغرباء الأخفياء الأتقياء قلوبهم مصابيحُ الدجى؛ العلم، أنارها العلم، يخرجون من كلِّ غبراءٍ مظلمةٍ؛ المراد بذلك: من الفتن، يخرجون من الفتن بنور الله الذي قدَّفه في قلوبهم، وهو نور العلم، فهذا العلم نورٌ يقذفه الله جلَّ وعلاً في القلوب، فإذا سلَّمت القلوب من الشبهات والشهوات أنارها الله جلَّ وعلاً، والدليل على ذلك الأبيات التي تعرفونها جميعاً، وهي أبيات الشافعي مع وكيع، أليس كذلك؟! شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي، فأرشدني إلى تركِ المعاصي، وقال: اعلم بأنَّ العلم نورٌ، ونور الله لا يؤتاه عاصي، فهذا نورٌ يقذفه الله في القلوب، فإذا صفت القلوب من الشهوات والشبهات أنارها الله بنور العلم وازدادت يقيناً واستنارت وازدادت ثباتاً وفقهاً ومعرفةً بالله وبأسمائه وصفاته وبشرعه وبما جاء به رسوله صَلَّى الله عليه وسلَّم، فهؤلاء قلوبهم مصابيحُ الهدى، يخرجون من كلِّ غبراءٍ مظلمة، يُنارُ بها لأهل الحقِّ، فيُرشِدون الخلق وينفعونهم بما آتاهم الله تبارك وتعالى، والحديثان صحيحان، وقد

^{١٤٨} _ هنا في الأصل: "يُعَدُّ إعلانٌ طيبٌ، هذا يقول برّاد، أي: برادو، أه هذا والله من كثر المعرفة بالسيارات، أي: برادو تويوتا حاء نون هاء ثمانية سبعة سبعة واحد، ضروري جداً، مكتوب: يريد الخروج، الله المستعان، والله صرنا في البراريد، وبعد شوية يأتينا دلّة، يلا، توكّل، أحبتي؛ يعني: يحاول الإنسان قدر الاستطاعة، يجتهد بقدر الاستطاعة أن يبتعد عن ما يراه فيه إعاقة للناس، ولو كان بعيداً، أنا ليلتين ماضيتين؛ وقفتُ في آخر الحيّ، كلُّ ذلك حتى لا يأتيني مثل هذا وأنا في أثناء الموقف، وليلةً وقفت في زاوية بيت أختنا أبي عثمان، هذا هو معنا، جزاه الله خيراً، عند الحباس حقّ الكهرباء هذا، فقلت: هذا بيت فلان، لكن لما دخلت، من توفيق الله أن وفقه الله لي، أنا أعرف بيته، قلت: "هذا مفتاحي، ترى أنا لعلّي وقفت أمام سيارتك ضيّقتُ عليكم، فإن احتجتم إليه فخذوه، فأرجو من أحبّتي (الليلة هذه نحن ما بقي معنا إلا القادمة والتي تليها) ألا ننقل على أهل الحيّ، وألا نشقّ عليهم حفظكم الله تبارك وتعالى، وصاحبُ النفس الخفيفة أبيّ، يحسُّ هو من نفسه حتى لا يكون ثقيلاً، فليكن أخفَّ من البعوضة في هذا، إذا وقع؛ ما له صيت، فأنتم توقفون ولو بعيد، ثم تأتون تمشون بإذن الله، ولا تزعجوا جيران الحيّ، فيكفينا منهم تحملهم لنا لمدة عشرة أيام، ولكن إن شاء الله ما يضيع أجرهم عند الله تبارك وتعالى".

رُويَ حديثُ الحاكمِ مِنْ طرقٍ متعددةٍ لا تخلو مِنْ مقالٍ، لكنها يَجْبُرُ بعضُها بعضًا إِنْ شاءَ الله تبارك وتعالى، وأما حديثُ عليٍّ (أو: أثرُ عليٍّ): "طوبى لكلِّ عبدٍ نُومَةٍ (أو: نُومَةٍ)"؛ اختلفَ في ضبطه، والمراد به (نُومَةٍ) بالسكون في الواو أو (نُومَةٍ)؛ المراد به: الخاملُ الذَّكْرُ، الآنَ نتحدَّثُ شويةً بلغةِ العصر؛ ما هو الأطباء تذهب إليه يقول: "فيه فيروسٌ نائمٌ"؟ فيه فيروس نائم، وفيروس خامد، خامد، هكذا يقول: "خامد"، يعني: ما هو منتشر، صح ولّا لأ؟ موجودٌ هذا يا أحبتي في لغة الأطباء؟ يقولون: فيروس خامد أو خامل، إما بالذال وإما باللام، أو نائم، ولا نمثلُ بالآخر، لأنّه ما فيه، كلّهُ شرٌّ، الذي يسمّونه: (خلايا نائمة) ! ما هي نائمة، هذه شرٌّ، هذه تحت الرّمادِ نارٌ، لكن هذا خامد خامد خامل، فهو هذا (النُومَةُ) أو (النُومَةُ)، على واحدٍ مِنَ الضبطين، هو خاملُ الذَّكْرِ، فشَبَّهَ خاملُ الذَّكْرِ المتواضعَ الساكنَ البعيدَ عن الشهرةِ والأضواءِ؛ شَبَّهَهُ بالنائم، بعكس السّاعي في الشهرة، فهو كالماشي القائم، فعليّ رضي الله عنه يقول: "طوبى لكلِّ عبدٍ نُومَةٍ _أو: نُومَةٍ_"؛ يعني: خاملُ الذَّكْرِ، ما يُحِبُّ أَنْ يُذَكَّرَ، ولا يُحِبُّ الشُّهْرَةَ؛ لأنَّه مشغولٌ بما يُصلِحُ قلبه ويقرِّبه لربِّه، يخاف على نفسه مِنَ الرِّياءِ، "عَرَفَ النَّاسُ"؛ يعني: عَرَفَ صالحهم وطالحهم وخيرهم وشرهم وعالمهم وجاهلهم وفاسقهم وفاجرهم ومطيعهم ومبتدعهم وسنيهم وهكذا، "عَرَفَ النَّاسُ"، ولمَ تعرّفهُ الناسُ؟ لماذا عَرَفَ الناسُ؟ يعرف صاحب الخير؛ إِنْ جاء لا يأتي إلا إليه، وإِنْ احتاجَ إلى شيءٍ مِنْ إخوانه لم يُنزلْهُ إلا به بعدَ الله جَلَّ وَعَلَا، "والناسُ لا يعرفونه، عَرَفَهُ الله منه برضوانٍ، أولئك مصابيحُ الهدى" كما جاء أيضًا في الحديث السابق، "أولئك مصابيح الهدى، تُجلى عنهم كلُّ فتنةٍ مُظلمَةٍ"؛ مأخوذٌ ممّا؟ "يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غِراءٍ مُظلمَةٍ"؛ يعني: ظلماتِ الفتنِ يَسْلُمُونَ منها، بسببِ ماذا؟ بسببِ العلمِ الذي معهم، بينما يَهْلِكُ الهالكون، فهم غرباء بين الناس، يُصلِحُونَ أنفسهم، على إحدى الروايات: مَنْ هم الغرباء؟ قال: "الذي يَصْلِحُونَ إذا فَسَدَ النَّاسُ"، فهؤلاء أصلحوا أنفسهم، فإذا جاءتِ الفتنُ والبلايا سَلِمُوا منها لِمَا أثارَ اللهُ سبحانه وتعالى به قلوبهم، وابنُ مسعودٍ يقول: "كونوا جُدُدَ القلوبِ" لَكِنْ "خِلْقَانِ الثِّيابِ، مصابيحُ الظلامِ، تَخْفَوْنَ على أهل الأرض، وتُعرَفُونَ في أهل

السماء؛ يعني: ابتعدوا عن الشهرة، ابتعدوا عن الشهرة، واعتنوا بقلوبكم؛ فإن أعمال القلوب إذا صحت صحت أعمال الجوارح، إذا صحت القلوب صحت أعمال الجوارح، فالقلب هو ملك الأعضاء، إذا عمرت القلوب بالإيمان الصحيح فتأتي عند آخر الزمان عند حصول الفتن؛ هؤلاء أصلحوا قلوبهم فصلحت أعمالهم وإن كانوا خلقان الثياب، قال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: هذا والله حري إن خطب لم ينكح (أو: لم يزوج)، وإن شفع لم يشفع، وإن قال لم يسمع له، بعكس الأول، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هذا عند الله خير من ملء الأرض مثل هذا"، فهؤلاء هم هم، فالعبد لا يوزن ببزته وبثيابه، وإنما يوزن بقوله النافع وبعمله الصالح، فعليك أن تعتني بذلك، وأن تكون من مصابيح الظلام الذي إذا حصلت الفتنة أثار للناس، فإن خفيتم على أهل الأرض لا تخفون على الله جلّ وعلا، ولا تخفون على أهل السماء، هذا القول قول "لا تخفون على أهل السماء"؛ أهل السماء ما يرونا، أين منزعه؟ أين دليله؟ "إن الله إذا أحب العبد نادى جبريل: إني أحب فلانا فأحبّه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: يا أهل السماء، إن الله يحب فلانا فأحبّه، قال: فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض" فأهل السماء يعرفون هؤلاء الصالحين، بماذا؟ لأن الله يحبهم، فقد نادى فيهم جبريل وينادي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: بأن فلانا يحب فلانا من الصالحين، فيعرفه أهل السماء وإن كان أهل الأرض لا يعرفونه، يقول رحمه الله: "فهؤلاء هم أخص أهل الغربة"؛ هم أخص أهل الغربة، "وهم الفرارون بدينهم من الفتن، وهم النزع من القبائل"؛ الفرارون بدينهم من الفتن؛ سمعتموه في حديث من؟ سعد (حديث سعد)، حينما جاءه أبؤه، فهذا فر بدينه من الفتن، وهم النزع من القبائل؛ يعني: هم قلة من الناس كما بيّنا، "وهم بين أهل الآخرة أعز من الكبريت الأحمر، فكيف حالهم بين أهل الدنيا؟!" يعني: بين أهل الصلاح هم حقيقة أقل ما يكونون، فكيف بين أهل الدنيا (أهل الشهوات) وبين أهل الشبهات؟! فنسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنی أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء، وأن يعيننا على أنفسنا، "تَوَارَيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ، فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي"؛ يعني: أرى ما في الدهر من الفتن، فأهرب منها، وليس

يراني الدهر بفتنه فيطلبني؛ لِتَخَفِّيَّ وَبُعْدِيَّ عن الفتن، "فلو تسأل الأيام"؛ ما هو الدهر؟ الدهر هو اليوم والليلة، "فلو تسأل الأيام ما اسمي ما درت"؛ لماذا؟ لأنه ابتعد عن المحن الواقعة في هذه الأيام، فلما تخفّى بدينه وفر؛ لا يعرف، لا يعرف، "وأين مكاني ما عرفن مكاني"؛ لو تسألهم أين مكاني؟ ما يعرفونني؛ لأنني لم أكن من أبناء الفتن الصائرة في الدنيا، فهربت منها، فلما هربت؛ ما عرفني أحد من أبناء الدنيا، هذا هو المراد، نعم، هات يا شيخ، هات.

[المتن]: وَمَنْ ظَهَرَ مِنْهُمْ لِلنَّاسِ فَهُوَ بَيْنَهُمْ بَدَنِهِ وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

فِي وَصْفِهِمْ.

[الشرح]: نعم، والذي تقدّم معنا البارحة، "كما قال أمير المؤمنين"؛ يعني: علياً رضي الله عنه، "في وصفهم"؛ كما تقدّم معنا البارحة، هو معهم بجسمه لكن قلبه ليس معهم، لكن قلبه أو لكن قلبه (كما قلنا أولاً)، كله يصح، إن خففت رفعت، وإن شددت نصبت، نعم.

[المتن]: وكما قيل:

جَسْمِي مَعِيَ غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمْ ... فَالْجِسْمُ فِي غُرْبَةٍ وَالرُّوحُ فِي وَطَنِ

وكانت رابعة تنشد في هذا المعنى:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الْفُؤَادِ مُحَدَّثِي ... وَأَبَحْتُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي

فَالْجِسْمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ ... وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي الْفُؤَادِ أُنَيْسِي

[الشرح]: نعم، يقول رحمه الله: "ومنهم"؛ يعني: من هؤلاء الغرباء، من هؤلاء الغرباء صنف، من هؤلاء الغرباء صنف ولو ظهر للناس وعرف بين الناس بالصلاح والديانة وأواه ببدنه لكن مع هذا كله

ما يُمكنُهُمْ مِنْ قَلْبِهِ، أبداً، لا يُمكنُ الناسَ مِنْ قَلْبِهِ، يعني: أنه وإن عاشَ بينهم لكن لا يعاشِرُهُمْ على ما يَهِوُّونَ، يخافُ على نَفْسِهِ، فهو دائمٌ ودائبٌ في ما يُصْلِحُ نَفْسَهُ، مُتَعَبٌ نَفْسَهُ ومُشْغِلٌ نَفْسَهُ ومُعَلِّقٌ قَلْبَهُ بالعملِ لِلآخِرَةِ، فَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى، يعني: بالجنة، التي هي دارُ الخلدِ، وكما قال الشاعر في هذا: "جسمي معي"؛ يعني: جسمُهُ موجودٌ، "غيرَ أَنَّ الرُّوحَ عندكم"؛ الجسمُ موجودٌ هنا لَكِنَّ الرُّوحَ ما هي هنا، القلبُ مُعَلَّقٌ بِالآخِرَةِ، "فالجسمُ في غربةٍ"؛ في الدنيا، "والرُّوحُ في وطني"؛ التي هي دارُ الخلدِ، فهو لا ينظرُ إلا إلى الآخرة، ولا يعملُ إلا إلى الآخرة، وهذا الجسدُ سيفارقُ الدنيا في يومٍ ما، فهو يحاولُ صيانتَهُ عما يُفْسِدُهُ لِيَصِلَ إلى دارِ إقامَتِهِ، وَقَدْ زَعَمُوا وَأَيُّ اغْتِرَابٍ بَعْدَ غُرْبَتِنَا الَّتِي لَهَا أَضْحَتِ الْأَعْدَاءُ فِينَا تَحَكُّمٌ، وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْغَرِيبَ إِذَا نَأَى، وَشَطَطَتْ بِهِ أَوْطَانُهُ لَيْسَ يَسْلَمُ، وَقَبْلَهَا يَقُولُ: فَحَيَّ عَلَى جَنَاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا مَنَازِلُكَ الْأُولَى وَفِيهَا الْمُخَيَّمُ؛ فهي الدارُ، هي الوطنُ، إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا فُطِنَا، طَلَقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتْنَا، هؤلاء هم العبادُ حقاً، نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ سَكَنَّا، جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفْناً، ما هي بدارِ الوطنِ، ما هي دارُ الإقامة، دارُ الإقامة الدائمةُ عند الله جَلَّ وَعَلَا، لا يمسُّهم فيها نَصَبٌ ولا يمسُّهم فيها لُغُوبٌ عنده جَلَّ وَعَلَا، فالجسمُ وإن كان في الدنيا مِنْ هؤلاء إلا أَنَّ قُلُوبَهُمْ عامرةٌ بمحبةِ الله ومراقبتهِ والشَّوقِ إلى لقائه، فهم دائماً سَاعُونَ فيما يقرَّبُهُمْ إِلَيْهِ وَيُصْلِحُ هذه الأبدانَ يومَ القيامةِ في انقلابها عند ربِّها، فَتَتَنَعَّمُ في جنات النعيم، وَتَحْبِرُ في جناتها وظلالها، نسألُ اللهَ مِنْ فضله، "جسمي معي"؛ يعني: في الدنيا، "غيرَ أَنَّ الروحَ عندكم"؛ يعني: في الآخرة، "فالجسمُ في غربةٍ"؛ يعني: غربةُ الوطنِ، "والروحُ في وطني"؛ لأنَّها ترى الجنةَ ومتعلقةٌ بها، فلا تعملُ إلا لها، وانصرفت عن الدنيا، وهكذا رابعةٌ تقول، ورابعةٌ هي امرأةٌ عابدةٌ، وقد كَذَبَ عليها الصوفيةُ كثيراً، قد كَذَبُوا عليها كثيراً بما لا تستطيعُ حَصْرَهُ، وَأَظُنُّ أَنَّ كَثِيراً مِمَّا يَنْقُلُونَهُ عَنْهَا لا يَصِحُّ، فمما يُذَكَّرُ: "وَلَقَدْ جَعَلْنَاكَ فِي الْفُؤَادِ مُحَدَّثِي، وَأَبْحَثُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي"؛ جسمي جالسٌ مع الجالسين لكنَّه متعلِّقٌ بالله جَلَّ وَعَلَا، "فالجسمُ مِنِّي للجلِيسِ"؛ جسمُها معها ومع مَنْ يجالِسُها مِنْ عبادِ الله، "وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي الْفُؤَادِ أُنَيْسِي"؛

يعني: الله جَلَّ وَعَلَا، فالقلبُ قد عمَّرَ بالله سبحانه وتعالى ومحبتِهِ جَلَّ وَعَلَا والرَّغْبَةُ فيما عنده، فالجسمُ وإن كان في هذه الدنيا (التي ليست هي وطنه)؛ نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ سَكَنَّا (أَوْ: وَطَنًا) جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سَفُنًا، لما رَأَتْ هَؤُلَاءِ؛ تَجَالِسُهُمْ بِالْجِسْمِ وَأَمَّا الْقَلْبُ فَهُوَ مُعَلَّقٌ بِالْآخِرَةِ وبالله جَلَّ وَعَلَا.

وَلَعَلَّنَا نَقِفُ عَلَى هَذَا، فهو موقفٌ حَسَنٌ في قوله: "وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَقْوَى عَلَى مُخَالَطَةِ الْخَلْقِ"، فَإِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي غَدٍ وَبَعْدَ غَدٍ نَخْتِمُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ.

[السؤالات]

[١] ^(١٤٩) تقول السائلة: (شَيْخَنَا الْجَلِيلُ وَفَقَّكُمْ اللَّهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْكُمْ) وَإِلَيْكَ أَيْضًا (سَمِعْنَا فِي الْفَتْرَةِ الْآخِرَةِ أَنَّ هُنَاكَ بَعْضًا مِنَ الدُّعَاةِ وَالتَّرْبَوِيِّينَ مِمَّنْ يُحَلِّلُونَ حَادِثَةَ قَتْلِ الْأُمِّ عَلَى يَدَيِ ابْنَيْهَا الَّذِينَ تَأْتَرَا بِفِكْرِ التَّكْفِيرِ وَالْخَوَارِجِ، فَيُرْجِعُونَ مَا حَصَلَ مِنْهُمَا إِلَى أَسْبَابِ تَرْبَوِيَّةٍ بَحْتَةٍ بَعِيدَةٍ كُلِّ الْبُعْدِ عَنْ كَوْنِهِمَا قَدْ تَأْتَرَا بِفِكْرٍ خَارِجِيٍّ، وَكَأَنَّهُمْ يَلْتَمِسُونَ الْأَعْدَارَ لِابْنَيْهَا الَّذِينَ قَتَلَاهَا، وَيُرْجِعُونَ بِاللُّومِ كَامِلًا عَلَى الْأَبِ وَالْأُمِّ، وَكَذَا الْأَبُ مِنْ جِهَةِ تَقْصِيرِهِمَا فِي اسْتِعْمَالِ الْأَسَالِيبِ التَّرْبَوِيَّةِ مَعَهُمَا)؟

ما شاء الله! ما شاء الله! يعني: أَنَّهُمْ مَا حَصَلَ مِنْهُمْ هَذَا إِلَّا بِسَبَبِ سُوءِ التَّرْبِيَةِ؟! هَذَا كَلَامٌ بَاطِلٌ، وَنَحْنُ يُؤَسِّفُنَا جَدًّا أَنْ نَسْمَعَ مِثْلَ هَذَا، وَمَهْمَا كَانَ لَا يُمْكِنُ [لِابْنٍ] ^(١٥٠) أَنْ يَقْتُلَ أُمَّهُ الَّتِي حَمَلَتْهُ فِي بَطْنِهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَلَحِقَهَا مِنَ الْمَشَقَّةِ وَالتَّعَبِ فِي الْوَحْمِ وَالْحَمْلِ وَالْوِلَادَةِ مَا لَحِقَهَا، ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا رَأَى رَجُلًا يَطُوفُ وَهُوَ يَحْمِلُ أُمَّهُ عَلَى ظَهْرِهِ، كَأَنَّهُ أُعْجِبَ بِعَمَلِهِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَتَرَى أَنِّي كَافَأْتُهَا؟ قَالَ لَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "وَلَا بِزَفْرَةٍ مِنْ زَفَرَاتِهَا"، يَعْنِي: طَلَّقَ الْوِلَادَةَ، زَفْرَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ الزَّفَرَاتِ الَّتِي تَطَلَّقَتْ بِكَ حَتَّى وَلَدْتِكَ؛ مَا تَكَافَوْهَا بِهَا؛ لِأَنَّهَا كَمَ مَرَّةً عَايَنْتِ الْمَوْتَ وَهِيَ تَتَوَلَّدُ بِكَ حَتَّى خَرَجْتَ سَالِمًا؟! دَعُ عَنْكَ مَا قَبْلَ ذَلِكَ مِنَ آلامِ الْحَمْلِ! وَدَعُ عَنْكَ مَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الرِّضَاعِ، وَالتَّرْبِيَةِ، وَالْحَنَانِ، وَالشَّفَقَةِ، الْغَسِيلِ، إِمَاطَةِ الْأَذَى عَنْكَ، وَتَرْبِيَّتِكَ، وَتَغْذِيَّتِكَ حَتَّى جَعَلْتِكَ رَجُلًا، تَكَافُوهَا بِهَذَا؟! هَذَا أَنَا حَقِيقَةٌ (أَنَا وَغَيْرِي مِنْ عَامَّةِ الْعُقَلَاءِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) نَعْجُزُ عَنْ أَنْ نَصِفَ هَذَا الْفِعْلَ الشَّنِيعَ بِوَصْفٍ، مَا هُوَ إِلَّا خِذْلَانٌ مِنَ اللَّهِ، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، يَا مَعْشَرَ الْأَحِبَّةِ، أَنْتُمْ تَقْرَأُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ قِصَّةَ ابْنَيْ آدَمَ،

^{١٤٩} _ هنا في الأصل: "ونستأذن أبناءنا وإخواننا اليوم في السؤالات، فإن النساء بعثوا إلي بهذه العريضة كما ترون، وقد غلبتموهن علينا، فلعلنا اليوم نتجه إلى السؤالات النسائية، فنجيب عليها، وحتى يحصل لهن شيء من تطيب خاطر، نعم، وهذا لهن علينا، فهن ما بين زوجة وأم وبنات وأخت، فلهن علينا الحق، نعم، فهذه السؤالات واردة منهن".

^{١٥٠} _ في الأصل: (لأب).

أليست مُحْزَنَةً؟! {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ} ^(١٥١)، أخوه! أخوه! الأخُ أعزُّ
ولَّا الأمُّ؟ الأمُّ، نَحْنُ ما سمعنا في التاريخ بإنسانٍ فَعَلَ مِثْلَ هذا الفعلِ، يفعلُ مِثْلَ هذا الفعلِ تَقَرُّبًا إلى الله؟!
الأبوانِ اللهُ قد أَخْبَرَ بِمَكَانِهِمَا، ولم يُشْرِكْ في الشُّكْرِ معه (بسبب إحسانه إليك أيُّها العبد) إلا الوالدُ، قال:
{أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا دَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} ^(١٥٢)، أَشَدُّ ما يَكُونُ الوالدُ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا، قال: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ
تُشْرِكَ بِي} ^(١٥٣)، وفي الآية الأخرى: {لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا} ^(١٥٤)، ثم؟ وأمرَ
بصحبتِهِمَا بالمعروف مع أَنَّهما يُجَاهِدَانِكَ على الكفر بالله! فهناك عن طاعتِهِمَا في هذا ونهاك عن
عقوقِهِمَا؛ قال: {وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} ^(١٥٥)، فَكَيْفَ بهذه المرأة وهي مسلمةٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ،
حَمَلْتُكُمَا معًا، اثنانِ تَرْفُسَانِ في بطنِهِمَا، والله لا تَجِدُ لهذا الفعلِ وصفًا أَبَدًا، ما نستطيع أَنْ نُوفِّيَهُ حَقَّهُ مِنْ
الوصفِ إلا أَنَّنَا نقول: هذا مِنْ خِذْلَانِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، ونعوذ بالله مِنَ الخِذْلَانِ، ثم إِنَّا رأينا أَهْلَ الإِجْرَامِ،
المدرسةَ الإِجْرَامِيَّةَ التي صَدَرَتْ هذا الفكرَ الخبيثَ اللعينَ (فكرَ تكفيرِ المسلمين)؛ رأينا بعضهم وهم يُنْتُونُ
على هَدْيَيْنِ المجرِمينِ وَيُبَرِّرونَ لهم الفعلَ! يقول لك أولاً: كَفَرُهم، إذا كانوا كَافِرِينَ؛ كَفَرُهم، وإذا
كَفَرْتَهُمْ؛ {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} ^(١٥٦)، رأينا هؤلاء وإذا بهم ^(١٥٧) كما قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
"حدثاءُ أَسنانٍ سفهاءُ أَحلامٍ، يقولون مِنْ قولِ خَيْرِ البريةِ"، يُنَزِّلُونَ آيَاتِ اللهِ التي نَزَلَتْ في الكافرين؛
يُنَزِّلُونَهَا على المؤمنين! ومع كُفْرِ الوالدينِ (كما قُلْتُ لكم) اللهُ جَلَّ وَعَلَا أمرَ بالذَّاتِ مع الوالدينِ بالمعاملةِ

^{١٥١} _ المائدة (٣٠).

^{١٥٢} _ لقمان (١٤).

^{١٥٣} _ لقمان (١٥).

^{١٥٤} _ العنكبوت (٨).

^{١٥٥} _ لقمان (١٥).

^{١٥٦} _ المجادلة (٢٢)، وتكملة الآية: {وَالْيَوْمَ الْآخِرُ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

^{١٥٧} (هنا في الأصل: "أنا رأيت هذا بعيني في مقاطع في اليوتيوب، أدوات هذه التفاصيل (التي قلت لكم) رأيت ذلك، رأيتهم".

أيش؟ الخاصة {أَنْ اشْكُرْ لِي وَلَوْلَا ذِيكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} (١٥٨)، {وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا} (١٥٩)، أين المعروف هنا؟! فهؤلاء ما حَرَبُوا بِمِثْلِ هذه الأساليب، نعم أساليبهم التربويَّة (أساليب الخوارج) هي التي أَفْسَدَتْهُمْ، اليومَ سمعنا (مِنْ أَشْهَرِ قَرِيبَةٍ)؛ سمعنا وَشَوْشَةً هنا وهناك لِيَصْرِفُوا النَّظَرَ عن مذهب الخوارج وفكر الخوارج، قال: هؤلاء بسبب اللعبة التي طَلَعَتْ (أَنْتَجَتْهَا دَاعِشٌ)!!! أنا أسألكم بالله (وأنتم ما شاء الله عَدَدُكُمْ في المسجد) دَاعِشٌ كَمْ عُمْرُهَا؟ أجيبوني؟ دَاعِشٌ كَمْ عُمْرُهَا منذُ أَنْ وُلِدَ هذا الاسم "دَاعِشٌ"؟ كم؟ أعلى شيءٍ كَمْ؟ هل هؤلاء لعبوا لعبةَ دَاعِشٍ واقتنعوا بها؟! أعمارهم في العشرين وفَوْقَ العشرين، يعني: وَلِدُوا قَبْلَ أَنْ تُوَلَّدَ "دَاعِشٌ" بحوالي سِتِّ عَشْرَةَ (سَبْعَ عَشْرَةَ) سنة، فإذا أَرَدْتَ أَنْ تُصَدِّقَ فَقُلْ مَا يُصَدِّقُ، هذا كَذِبٌ بَيِّنٌ ظَاهِرٌ، كما يُقال: كَذِبَةٌ صَلَءَاءٌ مَلَعَاءٌ، هذه الكذبةُ هي الصلَءاء التي ما يمكن أَنْ تُقْبَلَ، فيقولون هذا مِنَ اللُّعْبِ!!! هذا كَلَامٌ باطلٌ، هذا مِنْ فِكْرِ الخوارج، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ يزيدون، يقولون: أنتم تَحْسُدُونَ أَهْلَ الْإِيمَانِ!!! فَذَكِّرُونِي بِكَلَامِ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ ابْنِ سَحْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: على ماذا نَحْسِدُكُمْ؟! يقول لخوارج زمانه، الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وقالوا عن العلماء رَحِمَهُمُ اللَّهُ في ذلك الحين (خَيْرَةُ الْعُلَمَاءِ)، قالوا عنهم: إِنَّهُمْ أَصْبَحُوا مِدَاهِنِينَ!!! وعلماء سلطان!!! وأنهم يحسدون الموحدين!!! قال: على ماذا يَحْسِدُونَكُمْ؟! أَيَحْسِدُونَكُمْ على منهج الخوارج الذي ارتكَبْتُمُوهُ؟! أم على الجهلِ الْمُرَكَّبِ الذي أُوتِيتُمُوهُ؟! هذا مِمَّا أَذْكَرُهُ في كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ في الرَّدِّ على هؤلاء، فعلماء الإسلام والمسلمين على ماذا يَحْسِدُونَكُمْ؟! على منهج الخوارج الباطل الذي أنتم عليه؟! وَلَّا على الجهلِ المركب الذي أُوتِيتُمُوهُ وتظنون أنفسكم على شيءٍ؟ فَتَحْنُ نقول: أَيُّهَا الْأَحْبَةُ، هؤلاء ما وصلوا إلى هذه الدرجة إلى هذه الفعلَةِ الشَّنِيعَةِ الْقَبِيحَةِ الْخَبِيثَةِ إِلَّا بَعْدَمَا تَشَرَّبَتْ قُلُوبُهُمْ بِمَذْهَبِ الْخَوَارِجِ الْفَاجِرِ الْمُنْحَرِفِ الَّذِي وَصَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ب: أَنَّهُمْ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ، وَيَمْرِقُونَ كَمَا يَمْرِقُ

١٥٨ _ لقمان (١٤).

١٥٩ _ لقمان (١٥).

السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، وَأَنَّهُمْ حَدَّثَاءِ الْأَسْنَانِ سَفَهَاءُ الْأَحْلَامِ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، وَقَالَ فِيهِمْ: هُمْ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا، يَتَكَلَّمُونَ بِالسِّنَتَيْنَا لَكُنْهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، قَالَ: هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، قَالَ عَنْهُمْ: كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ، قَالَ عَنْهُمْ: طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، قَالَ عَنْهُمْ: إِنَّ لِمَنْ قَتَلَهُمْ لَأَجْرًا، وَإِنَّ لِمَنْ قَتَلُوهُ لَأَجْرًا، وَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ الْأَجْرُ الْعَظِيمُ لِهَذِهِ الْوَالِدَةِ الَّتِي لَحِقَهَا مَا لَحِقَهَا مِنْ هَذَا الْإِجْرَامِ مِنْ بَنِيهَا، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، وَيَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَيُّنَمَا وَجَدْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، وَيَقُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لَوْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ، وَيَقُولُ: هُمْ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَرْيَمِ السَّمَاءِ، هَذِهِ كُلُّهَا فِي (صَحِيحِ مُسْلِمٍ) فِيهِمْ، وَأَنْتُمْ تَرَوْنَ أَعْمَالَهُمُ الْإِجْرَامِيَّةَ الْفَاسِدَةَ، وَأَبْشَرُوا فِدْرًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ^(١١٠)، وَاللَّهُ مَا تَبَقِيَ لَهُمْ دَوْلَةٌ، وَهَذَا هُوَ التَّارِيخُ مُدَوَّنٌ، اسْتَعْرَضُوا قِيَامَ الْخَوَارِجِ، كُلَّمَا قَامُوا أَسْقَطَهُمُ اللَّهُ، كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَقِيمُوا دَوْلَةً يَسْلُطَ اللَّهُ عَلَيْهَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ فِي طَوْلِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَعَرْضِهِ، بَلْ وَعَرَضَ الْعَالَمَ الْإِسْلَامِيَّ هُوَ الْأَكْثَرُ، وَاسْتَقْرَؤُوا التَّارِيخَ، هَذَا مُصَدِّقُ قَوْلِ رَسُولِنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كُلَّمَا ظَهَرَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ"، فَأَبْشَرُوا، هَذِهِ بَشَارَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا تَفْرَحُوا بِوُجُودِهِمْ؛ وَاللَّهُ مَا يَقِيمُونَ دِينًا، لَكِنْهُمْ لَا أَقَامُوا دِينًا وَلَا أَبْقَوْا دُنْيَا، لَمْ يَقِيمُوا دِينًا، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، وَالَّذِي أَقُولُهُ أَنَا: يَجِبُ أَنْ يُتَعَاهَدَ الْأَوْلَادُ مِنْ أَنْ يَتَأَثَّرُوا بِهَذَا الْفِكْرِ الْخَارِجِيِّ الْخَبِيثِ، وَعَلَى الْوَالِدِينَ أَنْ يُتَابِعَا الْأَوْلَادَ فِي هَذَا الْجَانِبِ، وَاللَّهُ لَوْ يَذْهَبُ ابْنِي مُغْنِيًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ هَؤُلَاءِ، كَمَا قَالَ ذَلِكَ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ يُقَالُ لَهُ، يَقُولُ: حَبْدًا الْغِنَاءُ الَّذِي شَغَلَهُ عَنْ مَجَالَسَةِ الْمُبْتَدِعَةِ، وَيَقُولُونَ لِلْآخِرِ: رَأَيْنَا مَعَ ابْنِكَ الطَّنْبُورَ؟! يَعْنِي: آلَةٌ مِنْ آلَاتِ الْغِنَاءِ، قَالَ: حَبْدًا الطَّنْبُورُ الَّذِي شَغَلَهُ عَنْ مَجَالَسَةِ الْمُبْتَدِعَةِ، إِذَا رَأَيْتُمْ وَاحِدًا عَلَى فِسْقٍ وَنَصَحْتَهُ يَقُولُ لَكَ: "هَذَا مِنَ الدِّينِ"؟! وَاللَّهُ مَا قَدْ سَمِعْنَاهُ، أَكْثَرُ شَيْءٍ إِذَا تَكَلَّمَ يَقُولُ: "ادْعُ اللَّهَ لَنَا بِالْهُدَايَةِ"، لَكِنْ هَذَا يَدْعُو لَكَ بِالْهُدَايَةِ إِلَى مَذْهَبِهِ الْفَاجِرِ الْخَبِيثِ!!! يَرِيدُكَ أَنْ تَكُونَ مُثْلَهُ!!! نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ، فَأَوْصِي

إخوتي أن يحرصوا غاية الحرص (وأحبتي) على الأولاد من هذا الفكر، من أن يستمعوا لهؤلاء، والآن صحيح (الإنترنت) أصبح مع كل إنسان إلا من قل (في هذا العصر) في الجوالات، فاحرص على ابنك (على ابنتك) أن تدخل إلى مواقع هؤلاء ويقع في قلبه شيء من الشبه، فإن هؤلاء أصحاب شبه، فتتبع الأولاد (أبناء وبنات)، الولد يعم الذكر والأنثى، تتبعهما، لا تدعهما لهؤلاء، ولأن يبقى فاسقا خيرا من أن يصبح مثل هؤلاء المرفقة (الذين مرقوا من الدين)، نسأل الله العافية والسلامة، وهذا الكلام إنما قالوه ليغطوا به على هؤلاء الذين حرقوا الشباب وأضلّوهم، وليحرقوا الأنظار ويصرفوها عن مثل ذلك، فهذا الذي أنا أوجه به، وخصوصاً (كما قلت لكم) فيما يتعلق بالنّت، وأشغلوا الأولاد أيضاً، أشغلوهم، أشغلوهم بالأعمال النّافعة لهم؛ حتّى لا يجدوا وقتاً يستمعون لهؤلاء، وإذا علمت أنّهم يترددون على مجالس من ظاهره التمسك؛ فسأل عن هؤلاء أيضاً، يجب أن تسأل عنهم، إذا غفلت؛ يمكن يكون من الخوارج هؤلاء، فيرتد عليك ابنك فيطعنك غداً كما فعل هذا بهذه الأم وبهذا الأب، هؤلاء في أعناقنا أمانة، فعليك أن تسأل حتّى تحمي الأولاد، قبل وقد قلت هذا من سنين، وبعض أحبتي وإخواني في هذا المسجد، في هذه المدينة، في هذا الحي؛ يعرفون هذا منّي، قلت لهم: قبل كنا إذا رأينا هؤلاء الملتحين والذين يقصرون ثيابهم والله نفرح، الآن لا، نحن نفرح بأهل الخير لكن بعد أن نعرفهم؛ لأن هؤلاء صاروا يخالئوننا بالدين؛ من خدعنا بالله انخدعنا له، ولكن في المقابل: لست بالخيب ولا الخيب يخدعني، فلا بد أن نكون أيش؟ أن نكون متنبهين يقظين، فلا يخدعونا، فالظاهر أصبحت الآن يخدع بها، فلا بد يا معشر الأحبة أن تخبروا هؤلاء، وأن تعرفوا من هم، فلا يغرنك منهم المظهر، فقد يكون مظهرهم أهل الصلاح، لكنهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "قلوبهم قلوب الذئاب"^(١١) نسأل الله العافية، يعني: قلوب خبيثة في ظاهر أهل الصلاح، فيجب أن نراعي هذا الجانب، فإذا رأيت ابنك، نحن يسرنا هذا، لكن لا بد أن نعرف من هم هؤلاء المتمسكون ظاهراً الذين جلس إليهم، هل هم على السنة أم على البدعة؟ فلا بد من موافقة

^{١١} _ هنا في الأصل: "في جثمان إنس، في جثمان شياطين".

الْمَخْبَرِ لِلْمَظْهَرِ، فَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَاحْمَدِ اللَّهَ، وَإِلَّا فَانْتَشِلْ ابْنَكَ مِنْهُمْ وَابْنَتَكَ مِنْهُنَّ قَبْلَ أَنْ يَحْرِفُوَهَا وَيَحْرِفُوهُ.

[٢] ^(١٦٢) تقول السائلة: أحسن الله إليكم، كثر في الآونة الأخيرة وبكثرة توسع النساء الشديد في

استعمالهنّ لوسائل التجميل على اختلافها، ومنها ما يسمى بالرّموش الصناعية، وتطوّر الحال فأصبح منها تركيبيّه مستديماً لفترةٍ مِنَ الزّمن كأسبوعين أو شهرٍ أو شهرين وهكذا، فنريد منكم شيخنا الجليل توجيهاً ونصّاً لهنّ خاصةً، وأتّه قد حصل افتتاحٌ كثيرٌ مِنَ النساءِ بذلك في الأعراس والمناسبات خاصةً؟

أنا رأيت شيئاً من ذلك، وما رأيته تجميلاً، رأيتُ بعضَ النساءِ من ذوي القِرابَةِ رَكَّبَت رَمُوشاً صناعيةً؛ والله ما رأيتهَا تجميلاً، ما رأيتهَا إِلَّا مِثْلَ دَابَّةٍ اسْتَحْي أَن أذكرَهَا لَكُمْ الْآنَ، انْفَجَعْتُ، والله ما أقول ذلك لإضحاككم، لكن أنا بنفسِي تَوَاجَهْتُ معها فكأنه شيءٌ ضَرَبَنِي فِي صَدْرِي، فُجِعْتُ بهذا، ^(١٦٣) فتذكرتُ قولَ القائلِ فِي هَذَا الْبَابِ: يُقْضَى عَلَى الْمَرْءِ فِي أَيَّامِ مُحْنَتِهِ، حَتَّى يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ، يعني: شيءٌ عَجِيبٌ، أَمَّا الْأَلْوَانُ الَّتِي فَوْقَ هَذِهِ الرَّمُوشِ؛ وَاللَّهِ رَأَيْتُهَا كَأَنَّهَا بَبْغَاءٌ، جَمِيعُ أَلْوَانِ الْبَبْغَاءِ الْخَضْرَاءِ الَّتِي تَأْتِي فِي أَمْرِيكَ الْجَنُوبِيَّةِ فِيهَا!!! أَيْنَ الْجَمَالُ؟! اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَحْسَنَ الْخَلْقَةَ ثُمَّ قَالَ: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} ^(١٦٤)، مَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُحَسِّنَ أَكْثَرَ مِنْ تَحْسِينِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا لِخَلْقَةِ ابْنِ آدَمَ، قَالَ: {فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} ^(١٦٥)، فَالنِّسَاءُ الْوَاجِبُ عَلَيْهِنَّ أَنْ يَكُنَّ نِسَاءَ الْإِسْلَامِ عَاقِلَاتٍ، مَا تَتَشَبَّهُ فِي الْكَافِرَاتِ فِي كُلِّ شَيْءٍ تَرَاهُ، هَذَا الْوَاجِبُ، وَأَنَا أَخْشَى أَنَّ نَوْعًا مِنْ هَذِهِ؛ فِيهِ تَشَبُّهُ بِالْكَافِرَاتِ تَمَامًا، تَشَبُّهُ بِالْكَافِرَاتِ تَمَامًا، وَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تُلْصِقَ مَعَهُ أَيْضًا الْعَدَسَاتِ اللَّاصِقَةَ، فَتَرَاهَا كَأَنَّهَا دِيكٌ! عَيْنُهَا

^{١٦٢} _ هنا في الأصل: " السؤال الثاني، حول الموضوع نفسه، والسؤال الثاني أنا قد جاءني أيضا شخصٌ يحمله وهو أخونا الأخ عماد، ولعلي قد أرسلته بالجواب به، نعم، السؤال الثالث".

^{١٦٣} _ هنا في الأصل: "وأنت معي؟ نعم، وهذا الشيخ رياض أبو عبدالله يقول كذلك: رأى شيئاً".

^{١٦٤} _ المؤمنون (١٤).

^{١٦٥} _ التين (٤).

حمراء! كأنها دمّ (عين الديك)! ولّا كأنها (قطو)! عيُنُها زرقاء! مِنْ بعيدِ عيون القطط! وتَرى نفسَها
 جميلة! ما شاء الله! فسبحان الله العظيم! أين ذهبت العقول؟! فالمرأة يجب عليها أن تكون راضيةً، وأن
 تتجملَ الجمالَ الذي تعرفُه أمُّها وعمَّتُها وخالتُها وجدَّتُها، تتجملُ الجمالَ الطيّبَ، تكتحلُ الكحلَ
 الطيّبَ، أن تجعلَ أيضاً... نحنُ ما نحرمُ الطيباتِ، تأخذُ مِنْ أدواتِ الزينةِ وَمِنْ أسبابها ما يصلحُ ويصلحُ،
 أما أن تُشوّهَ نفسَها!!! هذا والله مِنْ نقصِ العقلِ، فأنا أوصي أخواتي ألا يَغْتَرِرْنَ بكلِّ ما يَرينَهُ في صيدلياتِ
 (النَهْدِيِّ) ونحوه مِنْ قسمِ التجميلِ أو في (قَزَان) أو (محمود سعيد)، هذه دائماً نراها في الإعلانات في
 الشوارع، الحمدُ لله ما دخلتُ شيئاً منها، لكن أراها أمامَ عَيْنِي في اللوحاتِ في الشوارع، هذه محلاتِ
 أدواتِ التجميلِ التي تبيعُها، فألا تَغْتَرَّ المرأةُ بكثرةِ ما ترى أو تسمعُ مِنْ هذا، فتَخْرُجُ بنفسِها عن هيئةِ
 الإنسانيةِ إلى الطَّيْرِ والحيوانِ، فحَنَائِكُ خُذِي ما يُجَمِّلُ بالقدرِ الذي لا يُقْبَحُ، ما زاد انْقِلَبَ إلى الضَّدِّ، ما
 تجاوزَ الحدَّ انقلبَ إلى الضَّدِّ، وأيضاً أنا أحذرُ مما يكونُ أيضاً غَرَّاراً، لو كان في خِطْبَةٍ ونحو ذلك، فتَلَبَّسُ
 شيئاً مِنْ هذا ممَّا يُجَمِّلُ أو تَجَمِّلُ، فإذا رأى ذلك منها الخاطبُ، ثم رآها بعدُ على الحقيقةِ زَهْدَ فيها؛ لأ،
 هذا الذي أوصي به: أن تكتفي المرأةُ بجمالِها الذي آتاها الله إياه، وإن حَسَنَتْ نفسَها بالماءِ المباحِ الطيّبِ فلا
 بأسَ عليها في ذلك، ولكن أن تبتعدَ عن المبالغةِ والإسرافِ في هذا حتَّى تصلَ إلى ما سمعتموه، هذا في
 الحقيقةِ يُخْشَى على المرأةِ فيه التَّشَبُّهُ بالكافراتِ، عياداً بالله مِنْ هذا، وخصوصاً في الأعراسِ للأسفِ
 يحصلُ هذا، ويحصلُ شيءٌ مِنَ التَّعَرِّيِّ، تكادُ المرأةُ تكونُ عاريةً ولو كانتَ لابسةً! فنعوذُ بالله، رَبِّ كاسيةٍ
 في الدنيا عاريةً، نعوذُ بالله، وخصوصاً في هذا الزمانِ، وأيضاً في تكويرِ الرَّأسِ والشَّعْرِ؛ كما قال النَّبِيُّ صَلَّى
 اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ"، فيجب على المرأةِ أن تقرأ ما يتعلَّقُ باللباسِ والزينةِ
 وتَتَفَقَّهَ في هذا، فتعرفَ ما يحِلُّ لها، وما يَحْرُمُ عليها، وبالله التوفيق.

[٣] وهذا سؤال^(١١٦): كثيرٌ مِنَ النساءِ يَعْرِفْنَ حَكَمَ النَّمَصِ، لكن وَقَعْنَ فِي التَّحَايِلِ عَلَى ذَلِكَ بِمَا

يُسَمِّيَنَّهُ بِ(التَّشْقِيرِ)؛ مَادَّةٌ تَصْبُغُ الشَّعْرَ الزَّائِدَ مِنَ الْحَاجِبِ بِلَوْنٍ أَشْفَرَ، أَوْ قَصُّ الشَّعْرِ الزَّائِدِ ثُمَّ رَسْمُ

الْحَاجِبِ وَتَحْدِيدُهُ؟

الحمدُ لله، أهلُ العلمِ قد أَفْتَوْا فِي هَذَا، وَفَتَاوَاهُمْ مَوْجُودَةٌ مِنْ قَدِيمٍ، فِي اللِّجْنَةِ الدَّائِمَةِ وَغَيْرِهَا، وَهَذَا لَا يَجُوزُ، وَالنَّمَصُ أَظْهَرُ وَأَظْهَرُ، فَعَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَخَافَ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا، فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ عَدَّ هَذَا مِنَ الْكِبَائِرِ، وَلَعَنَ النَّامِصَةَ وَالْمُتَنَمِّصَةَ وَالْوَاشِرَةَ وَالْمُسْتَوْشِرَةَ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ لَخَلَقَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، فَذَنُوبُ نَقُولُ لِلنِّسَاءِ: اتَّقِينَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَنْفُسِكُنَّ، وَخُذْنَ مِنَ الْجَمَالِ (كَمَا قُلْتُ لَكُمْ) مَا هُوَ مَعْقُولٌ، وَهَذِهِ بَاهِظَةُ الثَّمَنِ (هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي يُنْفِقْنَ فِيهَا)، يُنْفِقْنَهَا فِي الْآخِرِ يُوقِعُهُنَّ ذَلِكَ فِي هَذَا الْمُحَرَّمَ، هَذَا الْمَحْظُورُ فِي التَّشْبِيهِ، مِنَ الْأَقْلَامِ (أَسْمِعْ، سَمِعْتُ مَعَهُمْ) يَقُولُونَ: دَسْكَرَةٌ وَلَا مَسْكَرَةٌ، وَلَا مَا أَدْرِي أَيُّش؟ نَسِيتُ الْآنَ الْأِسْمَ، هَذَا مَسْخَرَةٌ، هَذَا مَسْخَرَةٌ، هَذَا تَقْبِيحٌ، وَالْقَلَمُ بِمِائَةِ! وَالْقَلَمُ بِمِائَةِ عِشْرِينَ! قَلَمٌ، قَلَمٌ مِثْلُ الْمَرْسَامِ الَّذِي يَكْتُبُ بِهِ الطِّفْلُ فِي الْأَوَّلَى الْإِبْتِدَائِيَّةِ، يَشْتَرُونَهُ بِمِائَةِ وَبِمِائَتَيْنِ!!! وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ نَحْنُ لَا نَحَرِّمُ التَّزْيِينَ بِالْمَعْقُولِ، لَكِنْ نَحَرِّمُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ مِنَ التَّشْبِيهِ بِالْكَافِرَاتِ وَالتَّشْبِيهِ بِالْحَيَوَانَاتِ (كَمَا قُلْتُ لَكُمْ قَبْلَ قَلِيلٍ)، تَلْبَسُ هَذِهِ الْعَدَسَاتُ اللَّاصِقَةُ كُلِّ مَذْهَبٍ وَكُلِّ مَخْرَجٍ، هَذِهِ الْمَرْأَةُ إِذَا كَانَتْ مِمَّنْ يَسْتَخْدِمُ الْعَدَسَاتِ؛ تَسْتَخْدِمُ هَذَا (عَدَسَاتٍ تَغَيِّرُ اللَّوْنَ إِلَى لَوْنٍ عَيْنِ الْحَيَوَانِ)، إِمَّا تَطْلُعُ عَيْنَ دِيكِ وَلَا تَطْلُعُ عَيْنَ قِطٍّ، وَلَا تَطْلُعُ عَيْنَ...؛ هَذَا مَا يَجُوزُ، خَلَقَهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى امْرَأَةً سَوِيَّةً، فَتَجْعَلُ عَيْنَهَا عَيْنَ قِطٍّ؟! تَجْعَلُ عَيْنَهَا عَيْنَ دِيكِ حَمْرَاءَ؟! تَظُنُّهَا قَلَّ نَوْمُهَا، مَا قَلَّ نَوْمُهَا، لَكِنْ هِيَ أَعْجَبُهَا هَذَا، فَهَذَا عَجَبٌ! كَيْفَ يَعْجَبُكَ تَصِيرُ الْعَيْنِ كَأَنَّهَا دُمٌ مِثْلُ عَيْنِ الدِّيَكِ؟! عَيْنُ الدِّيَكِ مَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِ، مَا تَصْلُحُ عَلَيْكَ أَنْتِ وَأَنْتِ امْرَأَةٌ، وَعَيْنُ الْقِطِّ مَا تَصْلُحُ إِلَّا عَلَيْهِ، مَا تَصْلُحُ عَلَيْكَ وَأَنْتِ امْرَأَةٌ، هَذَا مَا يَصْلُحُ، فَمِثْلُ هَذَا هُوَ الَّذِي يَحَرِّمُ؛ أَنْ تَتَشَبَّهُ الْمَرْأَةُ فِي خَلْقِهَا بِالْحَيَوَانَاتِ؛ هَذَا لَا يَجُوزُ، وَالتَّشْبِيهِ بِالْكَافِرَاتِ هَذَا لَا

^{١١٦} _ هُنَا فِي الْأَصْلِ: "رَابِعٌ".

يجوز، وما عدا ذلك مِنَ التَّجَمُّلِ الحسن؛ نَحْنُ لَا نُحَرِّجُ عَلَى النِّسَاءِ، وَلَا نُضَيِّقُ عَلَيْهِنَ، هُنَّ شَقَائِقُ الرِّجَالِ، وَلِهِنَّ عَلَيْنَا حَقٌّ، وَنَحْنُ نَعِينُهُنَّ بِأَمْوَالِنَا مِنَ الْإِنْفَاقِ عَلَيْهِنَ، وَنَطْلُبُ لَهُنَّ مَا يَأْتِي بِهِ (بِالْجَمَالِ وَالْحَسَنِ)، لَكِنْ لَا نَرْضَى لَهُنَّ مِثْلَ هَذَا الَّذِي سَمِعْتُمْ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ.

[٤] هذا^(١٦٧) امرأة تقول: مُقِيمَةٌ بِالْمَمْلَكَةِ وَاسْتَشْكَلَ عَلَيْهَا عِنْدَمَا سَمِعَتْ الْجَهْرَ بِالذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ مِنَ الْمُصَلِّينَ فِي الْمَسْجِدِ؛ لَأَنَّ عِنْدَهُمْ فِي بِلَدِهِمْ تَنْتَشِرُ الصُّوفِيَّةُ، وَهُمْ يَجْهَرُونَ جَمِيعًا بِالذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ذِكْرًا جَمَاعِيًّا، فَتَرِيدُ تَوْضِيحَ هَذَا الْجَهْرِ؟

نعم، الفرق بيننا وبين هؤلاء المتصوفة أَنَّ أَوْلَئِكَ يَنْظِمُونَهُ صَوْتًا وَاحِدًا، يَعْنِي: تَتَوَاطَأُ الْأَصْوَاتُ؛ "اللَّهُ أَكْبَرُ" سَوَاءً، وَهَكَذَا، أَمَّا نَحْنُ "لَا"، هَذَا يَذْكُرُ اللَّهُ، وَهَذَا يَذْكُرُ اللَّهُ، وَهَذَا يَذْكُرُ اللَّهُ، فَتَحْدُثُ لَجَّةٌ فِي الْمَسْجِدِ، هَذَا الَّذِي كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الَّذِي جَاءَ فِيهِ حَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ: كُنْتُ أَعْرِفُ انْتِهَاءَ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّكْبِيرِ، وَجَاءَ أَيْضًا فِي اللَّفْظِ الْآخِرِ فِي الصَّحِيحِ: كُنْتُ أَعْرِفُ انْتِهَاءَ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالذِّكْرِ، فَهَذَا الذِّكْرُ؛ يَعْنِي: هَذَا يُكَبِّرُ، وَهَذَا يُهَلِّلُ، وَهَذَا يُسَبِّحُ، وَهَذَا يَحْمَدُ، تَتَوَاطَأُ فَتَرْتَفِعُ الْأَصْوَاتُ فَتَحْدُثُ لَجَّةٌ، لَكِنَّهُمْ مَا هُمْ سَوَاءٌ عَلَى صَوْتٍ وَاحِدٍ، الصُّوفِيَّةُ مِثْلًا تَجِدُ عِنْدَهُمُ الْمَوَاطَاةَ فِي الذِّكْرِ، وَمَا أَرِيدُ أَنَّ أُمْتَلَّ بِمَا يَقُولُونَ، لَكِنَّهُمْ: حَرْفٌ وَاحِدٌ، صَوْتُ وَاحِدٌ، نَغْمٌ وَاحِدٌ، سَكْتَةٌ وَاحِدَةٌ، كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، نَطْقٌ وَاحِدٌ، هَذَا مَا هُوَ عِنْدَنَا، فَالضَّجَّةُ الَّذِي حَصَلَتْ عِنْدَنَا لَيْسَتْ نَاتِجَةً عَمَّا يَفْعَلُونَهُ هُمْ وَأَحْدَثُوا ضَجَّتَهُ، فَضَجَّتُنَا نَحْنُ أَهْلُ السَّنَةِ غَيْرُ ضَجَّةِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ، فَفَرَقُ أَيْتِهَا الْأَخْتُ السَّائِلَةُ، لَا تَظَنِّي أَنَّ جَهْرَنَا بِالذِّكْرِ كَجَهْرِ أَوْلَئِكَ، فَإِنَّ أَوْلَئِكَ الْكَلِمَةَ مَعَ الْكَلِمَةِ، وَالْحَرْفُ مَعَ الْحَرْفِ، وَالسَكْتَةُ مَعَ السَكْتَةِ، وَالنَّطْقُ مَعَ النَّطْقِ، أَمَّا نَحْنُ فَلَا، هَذَا يُسَبِّحُ، وَهَذَا يُهَلِّلُ، وَهَذَا يَحْمَدُ، وَهَذَا يُكَبِّرُ، فَتَرْتَفِعُ الْأَصْوَاتُ مِنَ الْمَجْمُوعِ، فَيَحْصِلُ هَذَا، فَفَرَقُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ، وَهَذَا الَّذِي رَدَّ بِهِ عُلَمَاءُ

^{١٦٧} _ هُنَا فِي الْأَصْلِ: (اسْمَحُوا لِي شَوْيَ بَسْ نَخْتِمُ، السُّؤَالُ الْخَامِسُ).

السنة في مسألة التكبير في "منى"، والاحتجاج بحديث عمر رضي الله تعالى عنه، فيكبر عمر ويكبر الناس بتكبيره؛ المقصود: هو يُذكرهم، ذكر، فذكروا الله جلَّ وعلاً، هذا من عنده، وهذا من عنده، وهذا من عنده، غير ما هو الآن شائع من مؤذني الحرمين في المُكبرية، فإذا كبروا كبر الجميع معهم!!! هذا غلط، هذا خلاف السنة، وقد أنكره سماحة شيخنا وأستاذنا ووالدنا شيخ الإسلام في هذه الأزمان الشيخ عبدالعزيز بن باز في عهد الملك سعود على أهل مكة، وغضبوا منه، والسنة الذي يغضب منها بكيفه، ما همنا، فالشاهد: هذا الفرق بين الجهر بالذكر من الجانبين أيها الأخت السائلة، فهذا ليس ذكراً جماعياً كما يفعله أولئك.

[٥] ^(١٦٨) كَيْفَ تَكُونُ رَقِيَّةُ الْأَطْفَالِ وَتَعْوِيذُهُمْ؟ وهل وَرَدَ في السنة الإمساكُ بناصيةَ الطفل باليد

اليمنى عند رُقِيَّتِهِ؟

إذا كان مريضاً فلتضع يدها على موضع الوجع، كما صحَّ ذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سواءً في رأسه، أو في صدره، أو على كتفه، أو في ظهره، أو في عينه ونحو ذلك، الموضع الذي يشتكي منه، ثم ترقِّيه، وهكذا إذا قرأ في يديه أو قرأت في يديها؛ مسحَ بها ما أقبلَ من جسده، واليوم خطأ في الناس كثير، نراه جميعاً وتروته في المساجد؛ بعضهم يقرأ وينفث في يده وهو جالس ويمسح ما أقبل، وما أدبر ورجليه وتحت الكعب، هذا غلط؛ لأنَّ اليدين فيهما آثار الذكر، وهو ذكر مبارك، فلا يناسب أن يمسح به هذا الموضع، وإنما ما أقبلَ من الجسد من الوجه، الرأس المواجه، والصدر ونحوه، أما أنه الخلف والعجيزة ونحو ذلك؛ هذا غلط، هكذا كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفعل، وعائشة أيضاً لما مرض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانت تمسح ما أقبلَ من جسده عليه الصلاة والسلام، يقرأ هو وينفث في يدها، وتمسح

^{١٦٨} _ هنا في الأصل: "السؤال السادس، تقول السائلة، سامحونا اليوم كله للنساء، يستاهلن، كيف؟! كما قلت: هم ما بين أم وأخت وزوجة وبنت وعمة وخالة وجدّة وأخت في الإسلام، يستاهلن، كيف لا يكون وهن مربيّات الأجيال؟! فليسمح الإخوة والأحبة اليوم لأخواتنا أن تكون السؤالات اليوم كلها لهن، نعم".

ما أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ^(١٦٩)، فالشاهد: هو هذا، فَتَرْقِي المرأة ابْنَهَا، والنساء مع الأولاد (مع الصغار، مع الأطفال) خَاصَّةً بِحَاجَةٍ إِلَى هذا، لِمَ؟ لِأَنَّهَا تَخْرُجُ بِأَطْفَالِهَا مَعَهَا، وَرَبْمَا حَصَلَ مَا لَمْ نَعْلَمْهُ نَحْنُ الرِّجَالُ، فَعَلَيْهَا أَنْ تَرْقِيَهُ، وَمِنْ أَجْمَلِ مَا تَرْقِي بِهِ: "أَعِيدُكَ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَأَمَةٍ"، وَأَيْضًا أَحْسَنُ مِنْ ذَلِكَ أَوْصِي بِهِ أَخَوَاتِي وَبَنَاتِي، أَوْصِيَهُنَّ بِالدَّفْعِ قَبْلَ الرَّفْعِ، وَهُوَ تَحْصِينُ الصَّغَارِ قَبْلَ الْإِدْخَالِ لَهُنَّ عَلَى مَجَالِسِ النَّاسِ، فَهَذَا أَوْلَى، الدَّفْعُ أَسْهَلُ مِنَ الرَّفْعِ، فَأَوْصِي الْمَرْأَةَ إِذَا خَافَتْ أَوْ خَرَجَتْ لِمَكَانٍ تَخْشَى، أَوْ رَأَتْ مِنْ أَوْلَادِهَا مِنَ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ (فِي الصَّغَارِ كَثِيرٌ) أَنْ تُعَوِّدَهُنَّ قَبْلَ أَنْ تَدْخُلَ عَلَى مَنْ تَخَافُ إِدْخَالَهُمْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ بِإِذْنِ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَضُرُّهُمْ.

[٦] هذا آخر سؤال^(١٧٠)، تقول السائلة: إنها تَدْرُسُ فِي أَحَدِ الْمَعَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهَا بِالذَّلِيلِ الْقَاطِعِ أَنَّهُمْ لَا يَنْتَهَجُونَ مِنْهَجَ السَّلَفِ الصَّالِحِ، خَاصَّةً مُعَلِّمَةُ الْعَقِيدَةِ (وَاللَّهُ هَذِهِ الْمَصِيبَةُ) حَيْثُ قَامَتْ تَمْدِحُ مَنْهَجِ جَمَاعَةِ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَعَدُّ مُحَاسِنَهُمْ بِزَعْمِهَا، فَتَقُولُ: هَلْ يَجُوزُ لِي أَنْ أَكْمِلَ دِرَاسَتِي فِي ذَلِكَ الْمَعْهَدِ بِهَدَفِ الْحَصُولِ عَلَى الشَّهَادَةِ أَمْ تَتْرُكُ؟

نعم، تستمر، وَإِذَا تَرَكْتَ أَنْتِ وَجِئْتَ أَخْتُكَ مِثْلُكَ وَتَرَكْتَ! غَدًا نَحْتَاجُ إِلَى الْمُدْرَسَاتِ السُّنِّيَّاتِ الْأَثَرِيَّاتِ السَّلَفِيَّاتِ، أَيْنَ نَجِدُهُنَّ؟ وَمَا حَلَّتْ هَذِهِ إِلَّا بِسَبَبِ الْعَدَمِ أَوْ الْقِلَّةِ اللَّاتِي يُغَطِّيْنَ مِثْلَ هَذِهِ الْمَعَاهِدِ، أَوْ وَجُودِ الصَّارِفِ، فَإِذَا كَثُرْنَ، وَنَسَأَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يَكْثُرَ السَّلَفِيَّاتِ السُّنِّيَّاتِ الْأَثَرِيَّاتِ، وَأَنْ يُبَارِكَ فِيهِنَّ، الرَّجَالُ كَثِيرٌ، لَكِنَّ النِّسَاءَ فِي هَذَا الْجَانِبِ قَلِيلٌ، فَنَحْنُ نَحْتُفُّهَا عَلَى أَنْ تَصْبِرَ، وَإِذَا صَبَرَتْ وَاحْتَسَبَتْ وَبَيَّنَتْ لَزِمِيَّاتِهَا خَطَأً هَذِهِ الْمُعَلِّمَةُ؛ هَذَا طَيِّبٌ، وَقَبْلَ ذَلِكَ أَنَا أَوْصِيهَا إِنْ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تُحْسِنَ إِلَى هَذِهِ الْمُعَلِّمَةِ بِلَبَاقَةٍ فِي الْقَوْلِ وَلُطْفٍ فِي الْعِبَارَةِ وَحُسْنٍ فِي التَّعْبِيرِ، وَلَعَلَّهَا أَنْ تَكُونَ مَغْرُورَةً مَغْشُوشَةً بِهَذَا، فَلَعَلَّهَا مَا سَبَقَ أَنْ طَرَّقَ سَمْعَهَا بَيَانُ الْإِنْحِرَافِ عِنْدَ هَذِهِ الطَّائِفَةِ، فَتَبَيَّنَ لَهَا بِكَلَامِ الْعُلَمَاءِ وَفَتَاوَى الْعُلَمَاءِ

^{١٦٩} _ هنا في الأصل: "نعم، شيخ محمد؟ أيه، "ما استطاع من جسده"، جاء: الرواية الأخرى: "ما أقبل" فَخَصَّ هَذَا بِهَذَا، قُبِدَ هَذَا بِهَذَا، صحيح".

^{١٧٠} _ هنا في الأصل: "تسمعون به؟ طيب، خلاص، هذا آخر سؤال، لا، هذا آخر سؤال، والحمد لله".

في هذه الطائفة وهذه الجماعة؛ هذا طيّبٌ، فإن كانت هذه المعلمة منحرفةً وقد عرفتَها؛ فهذا بابٌ آخرٌ، فلا أقلَّ من أن تبقي ينفع الله جلَّ وعلاً بك زميلاتك وصويحاتك وأخواتك، فبوجودك بإذن الله تتصحَّح الأوضاع وتصحَّح التصورات وتصحَّح هذه الأخطاء والأغلاط، فإذا ترك المكان لهنَّ أفسدن في هذا الجانب، فلا، وجودك أولى، واصبري، والله سبحانه وتعالى هو المعين.

وبهذا نكون قد أنهينا هذه المجموعة كلها لأخواتنا النساء، وفقنا الله وإياهنَّ والجميع، ونسأل الله التوفيق للجميع.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا محمدٍ^(١٧١).

١٧١ _ مَا كَانَ مِنْ خَطِيئَةٍ فِي الشُّرَيْعِ فَلَمَّا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُورٍ وَتَقْصِيرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّى الصَّوَابَ، فَجَزَى اللَّهُ مَنْ فَرَّغَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.

الدرس السابع والأخير من شرح كتاب:

”كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة“ للحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى

لصاحب الفضيلة المدرس في الجامعة الإسلامية محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى^(١٧٢)

الحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد: قال المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى:

[المتن]: وأكثرهم لا يَقْوَى عَلَى مخالطة الخلق، فهو يَفِرُّ إِلَى الْخُلُوةِ بحبيبه، ولهذا كان أكثرهم يُطِيلُ الْوَحْدَةَ، قيل لبعضهم: ألا تستوحش؟ قال: كَيْفَ أَسْتَوْحِشُ وهو يقول: أنا جليسٌ مَنْ ذَكَرَنِي، وقال آخر: وهل يستوحش مع الله أحدٌ؟! وعن بعضهم: مَنْ اسْتَوْحِشَ مِنْ وَحْدَتِهِ فذاك لِقَلَّةِ أَنْسِهِ لِرَبِّهِ، كان يحيي بن معاذ كثير العزلة والانفراد، فعاتبه أخوه، فقال له: إِنْ كُنْتَ مِنَ النَّاسِ فَلابد لك مِنَ النَّاسِ، فقال يحيي: إِنْ كُنْتُ مِنَ النَّاسِ فَلابد لك مِنَ اللهِ، وقيل له: إِذَا هَجَرْتَ الْخَلْقَ مَعَ مَنْ تَعِيشُ؟! قال: مَعَ مَنْ هَجَرْتُهُمْ لَهُ.

[الشرح]: الحمد لله، والصلاة والسلام على رَسُولِ اللهِ، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فهذا الكلام الذي سمعناه إنما هو في حَقِّ مَنْ يَضَعُ، في حَقِّ مَنْ يَضَعُ وَيَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ، لا يستطيع إصلاح الناس، لا يستطيع دعوة الناس، إِمَّا لَوَحْدَتِهِ أَوْ لِقَلَّتِهِ بَيْنَ أَهْلِ الشَّرِّ وَيَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ، وَإِمَّا لِقَلَّةِ عِلْمِهِ بَيْنَ أَهْلِ الشُّبُهَاتِ، فيخافُ عَلَى نَفْسِهِ، فنعم، هذا الفرارُ بِالَّذِينَ وَالْانْفِرَادُ بِالنَّفْسِ وَالانْعِزَالُ بِهَا فِي حَقِّ هَذَا؛ فِيهِ السَّلَامَةُ لَهُ (لِدَيْنِهِ مِنَ الْعَطَبِ)، وفيه استقامة حاله وأمره مِنْ أَنْ يَفْسُدَ بِمخالطة هؤلاء (أهل الشُّبُهَاتِ وَأَهْلِ الشَّهَوَاتِ)؛ فَإِنَّ الْمَجَالِسَ مُجَانَسٌ، الْمَجَالِسَ مُجَانَسٌ، مَا يُمَكِّنُ تَجَلُّسَ مَعَ أَهْلِ الْفُجُورِ إِلَّا وَأَنْ يَجْرُوكَ، وَتَجَالِسَهُمْ فِي فُجُورِهِمْ إِذَا ضَعُفَتْ (كُنْتَ ضَعِيفًا)، مَا يُمَكِّنُ تَجَلُّسَ مَعَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ إِلَّا

١٧٢ _ ألقاه في مسجد عتبة بن غزوان رضي الله عنه بالدمام، شهر شوال، عام ألف وأربعمائة وسبعة وثلاثين من هجرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

وتنتهي بك الحال أن تكون مثلهم، فالمجالس مجانس، إذا تلاقى الأبدان بالصحة فالغالب أنها تؤثر في القلوب، والقلوب يأوي بعضها إلى بعض، فإذا تلاقى في النسبة تقاربت في الصحة الأجساد، والمعنى: أن المرء على دين خليله، فإذا كان المرء ضعيفاً ويخاف على نفسه (إما لقلته وغربته ووحدته بين أهل الشر والفساد فلا يقوى على مقاومتهم ولا دعوتهم)؛ فهذا البعد له أحسن؛ لأنه يصلح حين فساد الناس، أما الأعلى من هذا فهو الذي تقدم معنا، وهو أن يصلح ما أفسد الناس، يصلح ما أفسد الناس، فإذا كان يستطيع دعوة الناس إلى الخير والحق والهدى (ومعه من العلم والنور والمعرفة بالله جلّ وعلاً وأسمائه وصفاته وقدره وشرعه سبحانه وتعالى ما معه)؛ فمثل هذا يدعو الناس ويخالط الناس على ما أمره الله جلّ وعلاً، لا على ما يريد الناس منه، إذا كان قويا في العلم بين أهل الشبهات فإنه يتصدى لهم ويبين للناس الشبهات والباطل، إذا كان صاحب ديانة وصاحب قوة وصلابة بين أهل شهوات؛ فإنه ينكر على أهل الشهوات ويتصدى لهم، ويبين للناس ما هم عليه من انحراف حتى يحذروهم، فيستقيمون ويصلحون بسببه، فهؤلاء هم الذين يصلحون ما أفسد الناس، وهذا أعلى وأفضل، هذا أعلى وأفضل، ولا يقوم به إلا العاملون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهم الذين ينطبق عليهم قول النبي صلى الله عليه وسلم في هذا: "الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم"، هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم، هذا الذي صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا كان عندك العلم الذي تهجم به على الشبهات وتبذرها بأمر الله وتذهب هذا الظلام الذي خيم على الناس وتزهق هذا الباطل الذي انتشر بين الناس؛ فمخالطة الناس حينئذ أفضل وأولى، وخصوصاً إذا تعين عليك؛ كأن لم يوجد إلا أنت، فإنه يجب عليك أن تقوم لله جلّ وعلاً بحقه وشرعه، تبدل نفسك في هذا إذا كان عندك القوة، فالمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم؛ هؤلاء هم أهل الخير (أهل العلم، أهل السنة)، يبصرون بكتاب الله أهل العمى، ويصبرون منهم على الأذى، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، كما قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه (خطبة كتابه):

"الرَّدُّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ"، فهؤلاء أعلى الصَّنَفَيْنِ، وهم أفضل الطائفتين، وغربتهم أفضل لأنَّ نفعهم متعدٍ، وإنما هذا يُحْمَلُ عَلَى حال الضَّعْفِ، إما ضَعْفُ الْفَرْدِ فِي الْعِلْمِ، وإما استضعافِ النَّاسِ لَهُ فلا يستطيع أَنْ يُصْلِحَ فِي مَقَابِلِ هَذَا السَّيْلِ الْعَرِمِ، فَحِينَئِذٍ صَلَاحُهُ فِي نَفْسِهِ وَإِصْلَاحُهُ لِنَفْسِهِ وَمَحَافَظَتُهُ عَلَيْهَا مِنَ التَّلَفِ أَوَّلَى؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (١٧٣)، فَمِثْلُ هَذَا (الْوَحْدَةُ وَالْانْفِرَادُ وَالْفِرَارُ بِنَفْسِهِ عِنْدَ كَثْرَةِ الْفِتَنِ، وَجُودِ الشُّبُهَاتِ، وَقِلَّةِ النَّصِيرِ وَضَعْفِهِ)؛ الْانْعِزَالُ أَوَّلَى، وَمِثْلُهُ إِذَا انْعَزَلَ لَا يَسْتَوْحِشُ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ مَعَ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، دَائِمًا يَذْكُرُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَيُسَبِّحُهُ وَيُهَلِّلُهُ وَيُمَجِّدُهُ وَيَتَفَكَّرُ فِي مَرَاذِيهِ، وَفِيمَا يَقْرُبُهُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَمِثْلُ هَذَا الْعِزْلَةُ أَنْفَعُ لَهُ، أَمَا أَنْ يَعْتَزَلَ النَّاسَ وَهُوَ يَسْتَطِيعُ عَلَى إِيصَالِ الْخَيْرِ لَهُمْ؛ هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، وَدَعَا أَنْ هَذَا أَفْضَلُ؛ هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، وَيَرُدُّهُ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ فِي تَقْسِيمِ النَّاسِ فِي غَرَبَتِهِمْ إِلَى قَسَمَيْنِ: الَّذِينَ يَصْلَحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ، وَالَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ، فَالْأَوَّلُ أَعْلَى، وَالثَّانِي دُونَهُ، فَهَذَا هُوَ الثَّانِي، وَلِهَذَا أَهْلُ الْعِلْمِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَصْبِرُونَ وَيَحْتَسِبُونَ الْأَجَرَ عِنْدَ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي هِدَايَةِ النَّاسِ، النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ، كَمْ جَاءَ؟ فِي بَدَايَةِ الْإِسْلَامِ كَانَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَهُوَ سَيِّدُ الْغُرَبَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْأَمْرِ فِي أَوَّلِ بَدْءِ نَشْرِ الْإِسْلَامِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا مُخَاطَبًا لَهُ: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ} (١٧٤)، فَأَمَرَهُ بِالنَّذَارَةِ، {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} (١٧٥)؛ يَعْنِي: الشَّرْكَ، أَمَرَهُ بِالنَّذَارَةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قَالَ جَلَّ وَعَلَا لَهُ: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} (١٧٦) الْآيَاتِ فِي هَذَا، فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَبَرَ فِي هَذَا. صَبَرَ وَصَابَرَ وَاحْتَسَبَ، فَأَهْلُ الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَبِشَرْعِهِ وَدِينِهِ وَبِسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ

١٧٣ _ التحريم (٦).

١٧٤ _ المدثر (١-٣).

١٧٥ _ المدثر (٥).

١٧٦ _ الحجر (٩٤-٩٦).

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَصْبِرُوا فِي هَذَا، وَلَا يَدْعُوا إِلَى الْعِزَّةِ مَا دَامَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يُبَيِّنُوا الْخَيْرَ، وَيَحْتَنُوا النَّاسَ عَلَيْهِ، وَيُوضِّحُوهُ لَهُمْ، النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْقِيَّ سَلَا الْجَزُورِ عَلَى ظَهْرِهِ وَهُوَ سَاجِدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَضَعَ أَبُو جَهْلٍ رِجْلَهُ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَكَذَا عَقِبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ آذَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْمًا إِيذَاءً، وَوَطَّؤُوا عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ سَاجِدٌ، حَتَّى قَالَ فِي عَقِبَةٍ: وَإِنَّهُ وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى رَأْسِي حَتَّى خَشِيتُ أَنْ عَيْنِي تَنْدُرَانَ؛ وَهُوَ سَاجِدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الْقِيَّ عَلَيْهِ سَلَا الْجَزُورِ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا وَأَزَالَتْ ذَلِكَ عَنْهُ، فَالشَّاهِدُ: صَبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَابَرَ حَتَّى أَظْهَرَ اللَّهُ الدِّينَ، دَهَبَ كَانَ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى أَهْلِ الْمَوْطِنِ، عَلَى أَهْلِ الْمَوْسَمِ، فَكُلُّ طَائِفَةٍ تَرْفُضُهُ حَتَّى كَتَبَ اللَّهُ لَهُ النِّصْرَةَ، فَهِيَ اللَّهُ لَهُ الْأَنْصَارَ، فَكَانُوا خَيْرَ مَعِينٍ لَهُ، قَبْلَ ذَلِكَ ذَهَبَ إِلَى؟ ذَهَبَ إِلَى الطَّائِفِ، وَعَرَضَ نَفْسَهُ، فَسَلَّطَ أَهْلُ الطَّائِفِ عَلَيْهِ سَفَهَاءَهُمْ وَصِغَارَهُمْ، فَجَرَّمُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَدَمَوْا كَعْبَةَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَفِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ؛ فِيهِ الْقُدُورَةُ وَبِهِ الْأُسُوءَةُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَعَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَصْبِرُوا، فَالشَّاهِدُ: أَهْلُ الْعِلْمِ يَصْبِرُونَ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرٍ؟" مِنْ حُمْرٍ؟ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ، فَحُمْرُ النَّعَمِ هِيَ الْإِبِلُ الْعَزِيزَةُ الْغَالِيَةُ النَّفِيسَةُ عِنْدَ أَهْلِهَا (عِنْدَ الْعَرَبِ)، فَحُمْرُ النَّعَمِ؛ هَذِهِ الْهَدَايَةُ لِهَذَا الْوَاحِدِ خَيْرٌ مِنْهَا، وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ مُسْتَطِيعًا فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَعْذُرُهُ، وَعَلَيْهِ بِإِصْلَاحِ نَفْسِهِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ مَنْ عَاشَ مَعَ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَهَجَرَ النَّاسَ الَّذِينَ كَثُرَ فِيهِمُ الْفُسْقُ وَالْفُجُورُ وَالشُّبُهَةُ وَالْبِدْعُ وَالْمَعَاصِي لِمَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَفَرَّ عَنْهُمْ طَالِبًا سَلَامَةً دِينِهِ، يَا أَيُّهَا الْمُعْتَرِّ بِاللهِ فَرَّ مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ؛ عَلَيْهِ أَنْ يَفِرَّ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ يَسْتَطِيعُ، مَعَهُ مَنْ يُعِينُهُ، أَوْ كَانَ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا يُصَبِّرُهُ وَيُثَبِّتُهُ بِأَمْرِ اللَّهِ؛ فَعَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ وَأَنْ يَحْتَسِبَ، وَالْعِزَّةُ لَا شَكَّ أَنَّهَا فِي حَقِّ هَؤُلَاءِ وَارِدَةٌ، أَمَّا فِي حَقِّ مَنْ عِلْمٌ فَ"لَا"، فَعَلَيْهِ أَنْ يَصْبِرَ وَيَحْتَسِبَ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا اعْتَزَلُوا، وَإِنَّمَا صَبَرُوا وَصَابَرُوا، لَكِنْ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَهُوَ مُنْزَلٌ هَذِهِ

المنزلة، فلا يُؤخذُ بمثل هذا الكلام على إطلاقه، وتذكروا أنَّ الغربة على قسمين كما تقدّم معنا في أول الكلام في ذكرِ روايات الحديث: صَالِحُونَ في أنفسهم، ومُصْلِحُونَ لغيرهم، يَصْلِحُونَ إذا فسد الناس؛ هذا صنفٌ لازمٌ، صلاحُهُ في نفسه، يُصْلِحُونَ ما أفسدَ الناسُ؛ هذا صنفٌ آخرٌ متعدي، وهو أعلى، فلا يُنْتَقَلُ إلى الثاني (إلى الأدنى) إلا إذا لم يكن من أهل أوصاف القسم الأول (وهم أهل العلم والمعرفة والهدى)، الذين يُصْلِحُونَ ما أفسدَ الناسُ من سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إما بالبدع والشُّبُهَاتِ وإما يتركونها للشهوات وما تشتهيهِ الأنفس، نسأل الله العافية والسلامة، فهذه العباراتُ عن هؤلاء تَنْزِلُ على مثل هؤلاء، وهم أقلُّ رتبةً وأدنى رتبةً عن أهل المعرفة والعلم والدعوة إلى الله جَلَّ وَعَلَا، وهداية الناس والصبر على الأذى في سبيل ذلك، وَاَصْبِرْ عَلَى لَاحِقٍ مِنْ فِتْنَةٍ وَأَدَى فِيهِ وَفِي الرُّسُلِ ذِكْرَى فَاقْتَدِ بِهِمْ، لَوَاحِدٌ بِكَ يَهْدِيهِ إِلَهُهُ يَكُنْ خَيْرٌ غَدًا لَكَ مِنْ حُمْرٍ مِنَ النَّعَمِ، وَأَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى كَمْ تَعَرَّضَ لَهُ مِنَ الْفِتَنِ؟! كَمْ تَعَرَّضَ لَهُ مِنَ الْأَذْيَةِ؟! كَمْ الذي تَعَرَّضَ لَهُ مِنَ الْإِيذَاءِ؟! كَمْ الذي تعرض له مِنَ الْجِلْدِ وَالْحَبْسِ؟! ولكنه صبر واحتسب رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى حَتَّى أَظْهَرَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا الْحَقَّ، فَالْحَاصِلُ: إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْأَثَارِ عَنْ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا تَنْزَلُ عَلَى الصَّنْفِ الثَّانِي، أما الصنف الأول، وهو الأعلى، فهو أفضل، وهو الذي عنده مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُوَّةِ فِي الدِّينِ وَالْقُوَّةِ فِي الْإِيمَانِ ما يجعله يَصْبِرُ عَلَى الْأَذَى مِنَ النَّاسِ فِي بَيَانِ الْحَقِّ وَإِزْهَاقِ الْبَاطِلِ وَمُوَاجَهَةِ الشَّهَوَاتِ وَمُوَاجَهَةِ الشُّبُهَاتِ، ونسأل الله جَلَّ وَعَلَا أَنْ يُثَبِّتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالْهَدَى، نعم.

[المتن]: وَأَنْشَدَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طَرًّا فِي هَوَاكَ ... وَأَيَّتَمْتُ الْعِيَالَ لِكَيِّ أَرَاكَ

فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبًا ... لَمَا حَنَّ الْفُؤَادُ إِلَيَّ سِوَاكَ

وَعُوْتُبَ غَزَوَانَ عَلَى خَلْوَتِهِ؛ فَقَالَ: "أَصَبْتُ رَاحَةَ قَلْبِي فِي مَجَالَسَةِ مَنْ لَدَيْهِ حَاجَتِي".

[الشرح]: كُله كما قلنا، هذه العبارات كلها تُنزلُ على الصنف الثاني، ولا شك أن هؤلاء دون الصنف الأول، العالم العارف بكتاب الله وسنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ آتاه الله مِنْ قُوَّةِ اليقين والدين ونور البصيرة والمعرفة بالله جَلَّ وَعَلَا وأسمائه وصفاته والمعرفة بشرعه جَلَّ وَعَلَا والمعرفة بسيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمعرفة بما كان عليه أصحابه رضي الله عنهم وبما جاءهم وبما استقبلوه مِنَ الفتن والبلايا والمحن حَتَّى نَصَرَهُمُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا وأَعْلَاهُمْ الدِّينَ، هذا لا يقوم به إلا العلماء، وهم أعلى رتبةً، فينبغي ألا يترهّد الناس بسبب مثل هذه العبارات ويدعوا ما أمرهم الله به مع قُدْرَتِهِمْ على إصلاح الناس ودعوة الناس وتذكير الناس وبيان الحق للناس وتحذيرهم مِنَ الباطل، تحذيرهم مِنَ الشُّبْهِ، تحذيرهم مِنَ الشَّهَوَاتِ، ينبغي ألا يهجموا على هذا الفهم ويتغافلوا عن القسم الأول العالي الفاضل الذي هو أفضل مِنْ أصحاب هذا القسم، وهم حملة السنة، ورثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حملة الآثار، فهم غَرَبَتُهُمْ لِقَلَّتِهِمْ بَيْنَ أَهْلِ الْبَاطِلِ، وَغَرَبَتُهُمْ لِقَلَّتِهِمْ بَيْنَ أَهْلِ الشَّهَوَاتِ، ومع هذا يصبرون ويحتسبون ويؤلفون ويصنّفون الكتب ويعظون الناس ويقعدون لتدريس الناس، هؤلاء أعلى، أعلى، فلا ينبغي أَنْ يُهْجَمَ على الثاني بمثل هذه العبارات ويُنسَى الصنف الأول الذي هو أعلى، نعم.

[المتن]: ولغربتهم بين الناس ربما نُسِبَ بعضهم إلى الجنون لِبُعْدِ حاله مِنْ حالِ الناسِ، كما كان أُوَيْسُ يُقَالُ ذَلِكَ عَنْهُ، وكان أبو مسلم الخولاني كثير اللّهُجِ بالذِّكْرِ، لَا يَفْتُرُ لِسَانَهُ مِنْهُ، فَقَالَ رَجُلٌ لَجَلْسَانِهِ: أَمَجْنُونٌ صَاحِبُكُمْ؟ قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: لَا يَا أَخِي، وَلَكِنْ هَذَا دَوَاءُ الْجُنُونِ.

[الشرح]: نعم، نعم، لأنّه ما اعتاد كثرة الذِّكْرِ، فيظنُّ أَنَّ هَذَا مِنْ هَذَيَانِ الْمَجَانِينِ، مَا اعْتَادَ كَثَرَةَ الذِّكْرِ (تَعْوِيدَ اللِّسَانِ بِالْإِكْتَارِ مِنَ الذِّكْرِ لِه جَلَّ وَعَلَا) فَرَأَى أَنَّهُ كَأَنَّهُ يَهْذِي، وَمَا عَلِمَ حَالَهُ، مَا عَلِمَ مَنْ هُوَ هَذَا؟ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، نعم.

[المتن]: وفي حديثٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "ادْكُرُوا اللهَ حَتَّى يَقُولُوا: مجنونٌ".

[الشرح]: وهذا مشهورٌ على السنة العوام، وهو حديثٌ ضعيفٌ، وهو حديثٌ ضعيفٌ، مشهورٌ على السنة العوام، ما تكادُ تجدُ عاميًا إلا ويعلمُ (أو: يعرفُ) هذا الحديث: "أكثرُ من ذكرِ الله حتَّى يقولوا أنك مجنون"، فالمقصود منه: أنه كثيرُ الذِّكرِ لله جَلَّ وَعَلَا، ما شغَلَهُ عن ذكرِ الله شيءٌ، والحديثُ حديثٌ ضعيفٌ، هو عند أحمد وعند الحاكم وغيرهم، في سندهِ درّاجُ أبو السَّمْح، ودرّاجُ أبو السَّمْح في روايته عن أبي الهيثم مُضَعَّفٌ، نعم.

[المتن]: وقال الحسن في صِفَتِهِمْ: "إذا نظر إليهم الجاهلُ حَسِبَهُمْ مَرَضَى وما بالقومِ مرضٌ".

[الشرح]: ولكن المقصودُ أنك تصبرُ على ذكرِ الله ولو تكلمُوا فيك، هذا المقصودُ، اصبرُ على ذكرِ الله وعدمِ الغفلة عنه، إذا حَلَّتِ الشُّبُهَاتِ والشَّهَوَاتِ أَكْثَرُ من ذكرِ الله ولو عَابَوْكَ، ولو قالوا عنك ما قالوا، ولو وصلُوا إلى درجةٍ وَصَفِكَ بالجنون، هذا لا يَضُرُّكَ، أما الحديثُ مِنْ حيث هو؛ فهو حديثٌ ضعيفٌ كما سمعتم، نعم.

[المتن]: وقال الحسن في صِفَتِهِمْ: "إذا نظر إليهم الجاهلُ حَسِبَهُمْ مَرَضَى، وما بالقومِ مرضٌ".

[الشرح]: هذا هو الجاهل الذي لا يَعْرِفُهُمْ، الذي لا يعرف القومَ يظُنُّ بهم هذا، نعم.

[المتن]: ويقول: قد خُولِطُوا، وقد خَالَطَ القومَ أَمْرٌ عَظِيمٌ.

[الشرح]: يعني: جاءَهُمْ مَسٌّ، خالطَهُمُ الجِنَّ، هذا المراد به، خولطوا؛ يعني: لعلَّ جاءَ عقولَهُم شيءٌ، خالطَهُم مَسٌّ مِنَ الجِنَّ، نعم.

[المتن]: هيهاتَ والله مشغولون عن دنياكم.

[الشرح]: نعم، يقول: القوم خالطهم أمرٌ عظيمٌ؛ يعني: جاءهم مسٌّ، جاءهم جنونٌ، ثم يقول: هيهاتِ، القوم مشغولون عن دنياكم؛ يعني: بذكرِ الله جلَّ وعَلًا، نعم.

[المتن]: وفي هذا المعنى يقول القائل:

وَحُرْمَةُ الْوُدِّ مَا لِي عَنْكُمْ عَوْضٌ ... وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكُمْ سَادَتِي غَرَضٌ

وَقَدْ شَرِطْتُ عَلَى قَوْمٍ صَحْبَتُهُمْ ... بِأَنَّ قَلْبِي لَكُمْ مِنْ دُونِهِمْ فَرَضُوا

وَمِنْ حَدِيثِي بِهِمْ قَالُوا: بِهِ مَرَضٌ ... فَقُلْتُ: لَأَزَالَ عَنِّي ذَلِكَ الْمَرَضُ

[الشرح]: نعم، هذا المعنى لا أدري هل هو قسمٌ؟ هذا الظاهر، "وَحُرْمَةُ الْوُدِّ"؛ هذا قسمٌ ما ينبغي، "مَا لِي عَنْكُمْ عَوْضٌ"؛ يعني: ما لي بديلٌ، "وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكُمْ سَادَتِي غَرَضٌ، وَقَدْ شَرِطْتُ عَلَى قَوْمٍ صَحْبَتُهُمْ بِأَنَّ قَلْبِي لَكُمْ مِنْ دُونِهِمْ فَرَضُوا"؛ يعني: صَاحِبَهُمْ بِبَدَنِهِ وَأَمَّا الْقَلْبُ فَلَيْسَ مَعَهُمْ، ليس لهم، إنما هو لله جلَّ وعَلًا، "وَمِنْ حَدِيثِي بِهِمْ قَالُوا: بِهِ مَرَضٌ فَقُلْتُ: لَأَزَالَ عَنِّي ذَلِكَ الْمَرَضُ"؛ إذا كان هذا مرضًا؛ فالله يُكْثِرُ مِنْ هَذَا الْمَرَضِ وَيَجْعَلُهُ لِي دَائِمًا، هذا معناه، هذا معناه، والمعنى: أَنَّهُ لَهُ فِي اللَّهِ جَلٌّ وَعَلًا وَفِي أَوْلِيَائِهِ وَفِي سَادَاتِ الصَّالِحِينَ عَوْضٌ، وأما هم ما له فيهم غرضٌ، وقد صَاحَبَهُمْ، شَرَطَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَصَاحِبَهُمْ بِجِسْمِهِ، أَمَّا الْقَلْبُ فَقَدْ شَرَطَهُ أَنَّهُ لِلَّهِ جَلٌّ وَعَلًا، وَهُمْ رَضُوا بِأَنْ يَصَاحِبَهُمْ بِجِسْمِهِ، وهكذا إلى آخره، نعم.

[المتن]: وفي الحديث أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَى رَجُلًا فَقَالَ: "اسْتَحْيِ مِنْ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلَيْنِ مِنْ صَالِحِي عَشِيرَتِكَ لَا يَفَارِقَانِكَ".

[الشرح]: نعم، هذا حديثٌ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بهذا اللفظ، وجاء بلفظ: "اسْتَحْيِ مِنْ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ مِنْ صَالِحِ قَوْمِكَ"، وهو حديثٌ حسنٌ، وجاء ذلك (هذا اللفظ الذي ذكره

المُصَنَّف رحمه الله) مِنْ حَدِيثِ [سعيد بن يزيد بن الأزور]^(١٧٧)، [سعيد بن يزيد بن الأزور]^(١٧٨)، جاء ذلك مِنْ حَدِيثِهِ: "استحي مِنْ الله كما تستحي مِنْ رَجُلَيْنِ مِنْ صالحي عَشِيرَتِكَ لا يفارقانك؛" والمعنى المراد بهذا: تقريبُ صورةِ الحياءِ الواجبِ على المسلم؛ ما هو؟ ما هي الصورةُ التي يجب أن تتَحَلَّى بها مِنْ الحياءِ؟ تقريبُ صورةِ الحياءِ الواجبِ عَلَيْكَ أَيُّهَا المسلم؛ هذا المراد بهذا الحديث، المراد به: تقريبُ صورةِ الحياءِ الواجبِ عَلَيْكَ أَيُّهَا المسلم أن تتَحَلَّى به، ما هي هذه الصورة التي يجب عَلَيْكَ أَيُّهَا المسلم أن تتَحَلَّى به مِنْ الحياءِ؟ قال: "استحي مِنْ الله كما تستحيي مِنْ رجلين مِنْ صالحي عَشِيرَتِكَ"؛ يعني: إذا كان معك خيارُ قومِكَ بالصلاح (أهلُ الاستقامة، أهلُ العقل، أهلُ المروءة، الذين يبتعدون بأنفسهم عن خوارم المروءة، أهلُ الدِّيَانَةِ)؛ كَيْفَ سيكون موقفُكَ معهم؟! هل تُقَارِفُ المعاصي بحضرتهم؟! لا، هل تفعل ما يُشَوِّهُ سمعتَكَ أَمَامَهُمْ؟! لا، هل تفعل ما يُوَدِّي بِكَ إلى أن يُسَيِّئُوا الظَّنَّ فيكَ بسببه؟! لا، فأنت معهم على غايةٍ مِنَ التَّحَفُّظِ والتَّصَوُّنِ، هذا المعنى، أنت معهم على غايةٍ مِنَ التَّحَفُّظِ والتَّصَوُّنِ لِنَفْسِكَ، فلا تُعَرِّضُهَا أَيْشٍ؟ لما يَشِيئُهَا، بل تَحْمِلُهَا دائماً على ما يَزِينُهَا، لِمَ؟ لتعيشَ سَالِمَةً مِنَ القَدَحِ، ويبقى القولُ فيكَ جميلاً، كما قال ذلك الشاعر: صُنِ النَّفْسَ وَاحْمِلُهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا تَعِشْ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فِيكَ جَمِيلٌ، وَلَا تُرِيَنَّ النَّاسَ إِلَّا تَجَمُّلاً نَبَأَ بِكَ الدَّهْرُ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلٌ، فإذا كان هذا تفعله أنت مع الصالحين مِنْ قومِكَ، الملازمين لك (زيادة)، ملازمين، لا يفارقانك، يعني: أن حياتك دائماً فيما؟ في استقامة، لِمَ؟ لأنَّكَ تحت الأنظار، فإذا كان هذا فِعْلُكَ مع صالحي الخَلْقِ؛ فأعْرِفْ أَنَّهُ يجب أن يكون عَلَيْكَ في أَقْلِ الأحوالِ مِثْلُ هذا مع الله جَلَّ وَعَلَا، أن تستحيي منه كما تستحيي مِنْ رجلين صالحين أو مِنْ رجلٍ صالحٍ مِنْ صالحي عَشِيرَتِكَ لا يفارقُكَ، فهذا دائماً أنت تحملُ نَفْسَكَ على الخير، لا تُحِبُّ أن يَرَى مِنْكَ سوءًا، فَيَنَالَكَ بالكلام فيكَ

^{١٧٧} _ هكذا في الأصل، ولعله: "سعيد بن زيد أبي الأعور".

^{١٧٨} _ هكذا في الأصل، ولعله: "سعيد بن زيد أبي الأعور".

بسببه، فإذا كان هذا مِنْ مراقبة الخلقِ الصالحين! فكَيْفَ بالله جَلَّ وَعَلَا؟! فاللهُ أُولَى أَنْ يُسْتَحْيَ مِنْهُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نعم.

[المتن]: وفي حديثٍ آخر عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُ كُنْتَ".

[الشرح]: وهذا الحديثُ فيه ضعفٌ، عند الطبراني في الصغير، فيه ضعفٌ، ولكن المعنى قد ثبت مِنْ حديث ابن عباسٍ فِي وصية النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ، مِنْ حديث ابن عباسٍ فِي وصية النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ: "يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ" الحديث، نعم، فله ألفاظٌ متعددة، وهي تشهدُ لمعنى هذا الحديث، نعم.

[المتن]: وفي حديثٍ آخر: أَنَّهُ سُئِلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تَرْكِيَّةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ؟ قَالَ: أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ.

[الشرح]: وهذا قد ثبت عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ كَانَ هُنَا فِيهِ ضَعْفٌ، وَلَكِنْ ثَبِتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ: "الْإِحْسَانُ"، وَهِيَ سِيَّاتِي بِهِ الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"، فَهَذِهِ الْمُرَاقِبَةُ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا، أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُ كُنْتَ، اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، فَإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُ كُنْتَ اتَّقَيْتَهُ، وَحَيْثُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاكَ اسْتَحْيَيْتَ مِنْهُ، وَإِذَا اسْتَحْيَيْتَ مِنَ اللَّهِ حَمَلَكَ ذَلِكَ عَلَى كُلِّ مَا يَزِينُكَ، فَهَذَا فِيهِ تَمَامُ الْمُرَاقِبَةِ وَكَمَالُ الْمُرَاقِبَةِ، وَهَذِهِ رَتْبَةُ الْإِحْسَانِ، هَذِهِ مَرْتَبَةُ الْإِحْسَانِ، وَلِذَلِكَ خَتَمَ الْمُصَنَّفُ فِيهَا بِحَدِيثِ الْإِحْسَانِ، هَات.

[المتن]: وفي حديث آخر عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "ثلاثة في ظلِّ الله يوم لا ظل إلا ظله"، ذَكَرَ منهم: "رجلاً حيثُ تَوَجَّهَ عَلِمَ أَنَّ اللهَ معه"^(١٧٩)، وَثَبَّتَ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سُئِلَ عن الإحسانِ فقال: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.

[الشَّرْحُ]: نعم، هذا كُلُّهُ (كما قُلْتُ لكم) في الإحسان، وهي مرتبةُ العليا، وهي أعلى مِنَ الإيمان، وأخصُّ مِنَ الإيمان، فهي مرتبةٌ مَنْ عَلَا وَحَلَّقَ بقلبه للآخرة، وَرَاقَبَ رَبَّهُ وهو في دُنْيَاهُ، فهو وإنْ كان ببدنه في الدنيا إلا أَنَّ قَلْبَهُ (كما تقدَّم معنا البارحة) مُعَلَّقٌ بالملا الأعلى، مُعَلَّقٌ بمراقبته لربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك دائماً تَجِدُهُ يَسْعَى في الإصلاح لنفسه وَيَتَجَنَّبُ المعاطبَ والمعايبَ التي تُفْسِدُهُ وتُهْلِكُهُ، نَسأل الله العافية والسلامة، فهو ما بين خوفٍ وحياءٍ مِنَ الله جَلَّ وَعَلَا، الحياءُ مِنَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُورِثُ العبدَ ذلك، لهذا مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على رجلٍ وهو يَعِظُ أَخَاهُ في الحياءِ، قال: دَعُهُ فَإِنَّ الحياءَ مِنَ الإيمان، الحياءُ كُلُّهُ خيرٌ، لا يَأْتِي إلا بخيرٍ، فَمَنْ استَحيا مِنَ الله حَقَّ الحياءِ حَمَلَهُ ذلك على تمام المراقبة لله جَلَّ وَعَلَا، وَحَمَلَهُ ذلك على إصلاح نفسه وإِقَامَتِهَا على الحقِّ والهُدَى، فَإِنْ قَوِيَ على أَكْثَرٍ مِنْ ذلك استَحيا مِنَ الله أَنْ يَرَاهُ مُفَرَّطاً وَمُقَصِّراً في دعوة الناس إلى الخير وهو يراهم على غير الخير، ويرى القُصُورَ منهم، يرى الأخطاءَ منهم، ويرى الأغلاطَ منهم، يستحيي مِنَ الله أَنْ يَرَاهُ مُقَصِّراً في هذا الجانب، فيقوم بالدعوة وَيَنْشِطُ في هدايةِ النَّاسِ (هدايةِ الخَلْقِ) إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فهذا لا شَكَّ أَنَّهُ أكمل وأكمل، نعم.

[المتن]: ولأبي عُبَادَةَ الْبُحْتَرِيِّ في هذا المعنى أبياتٌ حسنةٌ، لكنَّه أساءَ بقولها في مخلوق.

[الشَّرْحُ]: يعني: ما يَصْلُحُ مِثْلُ هذه الأبيات أَنْ تُقَالَ في إنسانٍ، ما يَصْلُحُ أَنْ تُقَالَ إلا في الله جَلَّ وَعَلَا، هذا مِمَّا يُؤْخَذُ، يعني: كما قال ذلكم القائل أيضاً في حَقِّ مخلوقٍ مِنَ المخلوقين، خليفة مِنَ الخلفاء،

^{١٧٩} _ قال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله رحمة واسعة في سلسلة الأحاديث الضعيفة [٢٤٤٤]: "ضعيف جداً".

يَمْدَحُهُ بِكَثْرَةِ الْجُودِ وَالْعَطَاءِ وَبَسْطِ ذَاتِ الْيَدِ لِلنَّاسِ حَتَّى إِنَّهُ لَا يَكَادُ يَرُدُّ أَحَدًا، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ شَيْءٌ لَأَنْفَقَ، فَمَدَحَهُ مَدْحًا غَلًّا فِيهِ، حَيْثُ قَالَ: هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ فَلَجَّتَهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ، طَيِّبٌ، قَبْلَهَا الْوَصْفُ الْبَدِيعُ: قَالَ: تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ، تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُجِبْهُ أَنْامِلُهُ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ نَفْسِهِ لَجَادَ بِهَا فَلَيَتَّقِ اللَّهُ سَائِلُهُ، غَلًّا غُلُوءًا زَائِدًا، غُلُوءًا زَائِدًا، فَالشَّاهِدُ: تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ، طَيِّبٌ، مَا كَانَهُ هُوَ الَّذِي يَعْطِي وَيُعْطِي وَيُعْبَسُ مِنْ كَثْرَةِ الْعَطَاءِ وَالْإِنْفَاقِ حَتَّى قُلَّ، مَا عِنْدَهُ شَيْءٌ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، لَا، يَقُولُ: أَبَدًا، مَرَّةً، هُوَ الْبَحْرُ مِنْ أَيِّ النَّوَاحِي أَتَيْتَهُ فَلَجَّتَهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ؛ هَذَا ائْتَقَدَ عَلَيْهِ، فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ مَا يَرُدُّ سَائِلًا حَتَّى ثَوْبَهُ؛ سُئِلَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلَيْسَ لَهُ سِوَاهُ فَأَعْطَاهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَنْ يَفْعَلُ هَذَا؟ مَنْ؟! مَا أَحَدٌ، فَالشَّاهِدُ: قَالُوا إِنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ فِي حَقِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذَا غُلُوءٌ، فَمِثْلُهُ هَذَا أَنْ يَكُونَ أَيْضًا فِي مَخْلُوقٍ وَالصِّفَاتُ الَّتِي تَسْمَعُهَا إِنَّمَا لَا تَلِيْقُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا لِلْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَالشُّعْرَاءُ يِبَالِغُونَ وَيَنْسَوْنَ الْمَوَازِينَ الشَّرْعِيَّةَ {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا} ^(١٨٠)، هَؤُلَاءِ قَلِيلٌ فِي هَذَا الْبَابِ، لِذَلِكَ الْمِبَالِغَةُ عِنْدَ الشُّعْرَاءِ كَثِيرَةٌ، وَرَبَّمَا تَخْرُجُ فَتَصْبِحُ مِبَالِغَةً مَقْبِيَّةً، تَصْبِحُ مِبَالِغَةً مَقْبِيَّةً، نَعَمْ.

[المتن]: وَقَدْ أَصْلَحْتُ مِنْهَا كَلِمَاتٍ حَتَّى اسْتَقَامَتْ عَلَى الطَّرِيقَةِ.

[الشرح]: جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، هَذَا الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ يُخْبِرُنَا أَنَّهُ صَلَّحَهَا وَرَقَّعَهَا، فَخَرَجَتْ لَنَا جَمِيلَةً، جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، فَهَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ يَرِيدُ أَنَّكَ إِنْ وَجَدْتَهُ فِي الْأَصْلِ (فِي الْأَبْيَاتِ الْمَرْوِيَّةِ عَلَى أَصْلِهَا، الَّتِي يَرَوِيهَا الْجَهَالُ، وَيَرَوِيهَا الَّذِينَ لَا يُحَقِّقُونَ فِي الْمَسَائِلِ الْعِلْمِيَّةِ وَفِي الشَّرْعِ، يَرَوُونَهَا عَلَى وَجْهِهَا، لَا

يُبَالُونَ عَلَى أَيِّ وَجْهِ كَانَتْ؛ إِذَا وَجَدْتُهَا عَلَى خِلَافِ مَا رَأَيْتُهُ هُنَا فِي كِتَابِي، يَقُولُ لَكَ: تَرَانِي أَنَا قَدْ عَدَلْتُ فِيهَا، أَنَا عَدَلْتُ فِيهَا وَأَصْلَحْتُ، يَعْنِي: أَصْلَحَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي، نَعَمْ، هَاتِ، جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا.

[المتن]:

كَأَنَّ رَقِيبًا مِنْكَ يَرَعَى خَوَاطِرِي ... وَآخَرَ يَرَعَى نَاطِرِي وَلِسَانِي

فَمَا أَبْصَرْتُ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مَنْظَرًا ... يَسْؤُوكَ إِلَّا قُلْتُ قَدْ رَمَقَانِي

[الشرح]: هذا ما يَصْلُحُ، إِنَّمَا يَقُولُهُ هَذَا الْإِنْسَانُ فِي اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، الَّذِي يُرَاعِي النَّاطِرَ (وهو العين)، وَيُرَاعِي اللِّسَانَ فِي الْكَلَامِ، وَالْعَيْنَ فِي النَّظَرِ وَالرُّؤْيَا، وَالْقَلْبَ فِي الْخَوَاطِرِ، هَذَا لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، فَالْمَخْلُوقُ مَا يَعْرِفُهُ، وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ، لَوْ رَأَى مِنْكَ الْعَيْنَ وَاللِّسَانَ (كَانَ حَاضِرًا) مَا أَطَّلَعَ عَلَى مَا فِي الْقَلْبِ، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ غَائِبًا؟! لَا يَرَى وَلَا يَسْمَعُ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ بَابِ أُولَى، وَإِذَا كَانَ بَعِيدًا لَا يَرَى وَلَا يَسْمَعُ، فَكَيْفَ بِمَا فِي الْقَلْبِ؟! فَهَذَا أُولَى وَأُولَى، نَعَمْ.

[المتن]:

وَلَا بَدَرْتُ مِنْ فِيَّ بَعْدَكَ لَفْظَةً ... لِعَيْبِكَ إِلَّا قُلْتُ: قَدْ سَمِعَانِي

وَلَا خَطَرْتُ مِنْ ذِكْرِ غَيْبِكَ خَطَرَةً ... عَلَى الْقَلْبِ إِلَّا عَرَجًا بَعَانِي

إِذَا مَا تَسَلَّى الْقَاعِدُونَ عَنِ الْهَوَى ... بِذِكْرِ فُلَانٍ أَوْ كَلَامِ فُلَانِي

وَجَدْتُ الَّذِي يُسَلِّي سِوَايَ يَشُوقُنِي ... إِلَى قُرْبِكُمْ حَتَّى أَمَلَّ مَكَانِي

وَإِخْوَانٍ صِدْقٍ قَدْ سَمِئْتُ لِقَاءَهُمْ ... وَأَعْضَيْتُ طَرْفِي عَنْهُمْ وَلِسَانِي^(١٨١)

وَمَا الْبَعْضُ أَسْلَى عَنْهُمْ غَيْرَ أَنَّنِي ... أَرَاكَ عَلَى كُلِّ الْجِهَاتِ تَرَانِي

[الشرح]: هذا ليس إلا لله جَلَّ وَعَلَا، ولكن يقول: إِنَّهُ مِنْ كَمَالِ المحبة، مِنْ عَظَمِ المحبة له؛ في كل شيء يَرَى أَنَّ حَبِيبَهُ يراه! وهذا في الحقيقة فيه غُلُوٌّ، وفيه مبالغة، وهذا مع الإصلاح! كَيْفَ (ما أدري) قبل الإصلاح؟! كَيْفَ كان؟! ما أدري؟ هذا مع الإصلاح معشرَ الأحبة، معشر الإخوة، هذا مع الإصلاح نرى فيه هذا! فكَيْفَ كان لو جاء قبل الإصلاح؟! فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التوفيق، والأبيات واضحة، نعم، هات.

[المتن]: انتهى ما ذَكَرَهُ الشيخُ فَسَحَ اللهُ فِي مُدَّتِهِ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، بَلَغَ مُقَابَلَةً عَلَى أَصْلِ مَقْرُوءٍ عَلَى الْمُؤَلِّفِ، وَعَلَيْهِ خَطُّهُ رَحِمَهُ اللهُ.

[الشرح]: رحمه الله، رحمه الله رحمةً واسعةً، وجزاه الله عنا عنكم وعن الإسلام والمسلمين خيرَ الجزاء، وفي هذه الخاتمة (في هذا السَّطْرِ) ما يَدُلُّ عَلَى التَّوْثِيقِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَعِلْمَاءِ الشَّرِيعَةِ، عِلْمَاءُ الْإِسْلَامِ عِنْدَهُمْ تَوْثِيقٌ، فَأُولَا: قوله: "انتهى ما ذَكَرَهُ الشيخُ": خلاص، إلى هنا هذه آخر شيء في الكتاب (في الرسالة)، هي الأبيات، ما بعدها شيء، فلو أُضِيفَ نَعْرِفُ أَنَّهُ مُلْحَقٌ، الثانية: قوله: "فَسَحَ اللهُ" أو فَسَحَ اللهُ فِي مُدَّتِهِ: يدلُّ عَلَى أَنَّ كَتَبَ هَذِهِ النُّسخَةَ فِي حَيَاتِهِ، الثالثة: قوله: "بَلَغَ مُقَابَلَةً عَلَى أَصْلِ مَقْرُوءٍ عَلَى الْمُؤَلِّفِ": فيه دَقَّةُ التَّوْثِيقِ، حَيْثُ نَقَلَهُ مِنْ أَصْلِ مَقْرُوءٍ عَلَى الْمُؤَلِّفِ وَعَلَيْهِ خَطُّهُ، والمعنى: أَنَّ نُسَخَتِي هَذِهِ صَحِيحَةٌ مَأْخُودَةٌ مِنْ نُسَخَةٍ صَحِيحَةٍ، وَهَذِهِ النُّسخَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي أَخَذْتُ عَنْهَا؛ وَصَفَهَا

^{١٨١} قال الشيخ حفظه الله: "يجوز: لِقَاءَهُمْ وَلِقَاءَهُمْ، يجوز أن تقرأه بدون همز: لِقَاهُمْ، ويجوز أن تقرأه بالهمز في بعض النسخ: قد سَمِئْتُ لِقَاءَهُمْ، فإذا زِدْتَ الهمزة سَكَنْتِ الميمُ، وإذا حُدِفَتِ الهمزة أَشْبَعَتِ الميمُ حَتَّى خَرَجَتْ الضَّمَّةُ وَأَوَّا، نعم".

بوصفين: الوصف الأول: أنه قُرئ على المؤلف، فأصلح ما فيه من أخطاءٍ لَمَّا كُتِبَ، نُقِلَ مِنْ أَصْلٍ مَقْرُوءٍ على المؤلف وعليه خطُّه، فَبَلَغَ مقابلةً على هذا الأصل المقروء على المؤلف وعليه خطُّه، فلم يُبقِ منه للشك مجالاً عندنا، فحِينَئِذٍ الأصلُ مَقْرُوءٌ على الْمُصَنَّفِ وَمُصَحَّحٌ وَمَمْهُورٌ بِخَطِّهِ، فلو كان فيه خطأً ستجده أيش؟ مُصَحَّحًا، فَإِذَا نُقِلَ عن هذا الأصل (الذي هو بهذه الصفة)؛ معناه: أَنَّ النسخةَ الْمُتَفَرِّعَةَ عن هذه النسخة (عن هذا الأصل) في غايةِ الإتقان، فما يبقى إلا مسألة أيش؟ الدقة في المقابلة، فإذا قابل هذا؛ الحمد لله، فهو يقول: بَلَغَ مقابلةً على أصلٍ مَقْرُوءٍ، فإذا كانت المقابلةُ صحيحةً، تَنْظُرُ فيها مِنْ أَوَّلِهَا إلى آخِرِهَا، فالنسخةُ في غايةِ النَّفَاسَةِ؛ لِأَنَّهَا نُقِلَتْ مِنْ نسخةٍ موثَّقةٍ.

ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ جَمِيعًا لما يُحِبُّه ويرضاه، وَأَنْ يَنْفَعَنَا جَمِيعًا بما قرأنا وسمعنا وَعَلَّمَنَا، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، ونسأل الله سُبْحَانَهُ أَنْ يَغْفِرَ لِلْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ، وَأَنْ يَجْزِيَهُ عَنَا وعن الإسلام والمسلمين خَيْرَ الْجَزَاءِ، وَأَنْ يُبَارِكَ لَنَا وَلَكُمْ جَمِيعًا في أَعْمَارِنَا وَأَعْمَالِنَا، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الفقهَ في الدِّينِ والبصيرةَ فيه، والنَّبَاتَ على الحقِّ والهدى حَتَّى نَلْقَاهُ، كما نَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَ المسلمين في كُلِّ مَكَانٍ حَكَامًا وَمَحْكُومِينَ، وَأَنْ يَرْفَعَ مَا نَزَلَ مِنَ الْبَلَاءِ وَالشَّدَّةِ بِهِمْ، وَأَنْ يُبَدِّلَ خَوْفَهُمْ أَمْنًا، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ^(١٨٢).

^{١٨٢} _ هنا في الأصل: "نعم، إن شاء الله تعالى (كما قلنا لكم) غداً لقاء الدرس الظهر (كما نحن عليه)، وختم الشيخ فؤاد في العصر، يختتم الشيخ فؤاد في العصر غداً، وإن شاء الله لقاء المغرب وبه ختام الدورة، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يحسن الختام لنا ولكم جميعاً، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ، فلقاء الظهر باقٍ، ودرس العصر باقٍ، والختامُ إن شاء الله في لقائنا المغرب، نسأل الله التوفيق لما يُحِبُّ ويرضى".

[السؤال]

[١] هذه سائلة تقول: إنها عُمرُها ثنتا عشرة سنةً، وتريد أن تكون عالمةً.

نسأل الله أن يجعلها كذلك، وأن يُوفّقها، فالفقيهات العالمات المحدثات الراويات في أمة الإسلام (ولله الحمد) خيرٌ كثيرٌ، وتراجمهنَّ معروفاتٌ، ومن أشهرهنَّ كريمة (من أتقن الرواة لصحيح البخاري)، كريمة المروزيّة، قرئ عليها مرّاتٍ، وروايتها للصحيح من أتقن الروايات، فالشاهد: ليس ذلك (إن شاء الله) على الله بعزيرٍ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يُنيلك أيتها البنت الكريمة ما تَمَنِّيَن وخيرًا ممّا تَمَنِّيَن.

وتسأل الطريق أن أخبرها كيف يبدأ العلماء دراستهم؟ وشكرًا جزيلا.

نقول: ولك أيضًا، نقول: إذا أردت الطريق الصحيح فاعلمي أولًا وفقنا الله وإياك أيتها البنت الكريمة أن العلم لا ساحل له، بحرٌ لا ساحل له، ومستحيل أن تحوي كل العلوم، فإن العلم كثيرٌ، والعُمر قصيرٌ، ولكن إذا كانت هذه هي الحقيقة؛ فعليك أيتها البنت الكريمة أن تعتني بنفسك؛ فإن تأخذي من كل فن زبدته وخلاصته، ثانيًا: أن تأخذي في كل فن متنا (متنًا، كتابًا)، عليه المَعوّل في هذا الفن، أن تأخذي في كل فن متنا أصلًا، عليه المَعوّل في هذا الفن، يعني: العلماء يعتمدونه، وليُعلم أن المتون في كل فن ثلاثة: للمبتدئ المختصر، وللمتوسط المتوسط، وللمنتهي المطوّل، فأما المختصر والمتوسط؛ فهذا للحفظ، وأما المطولات فهذه للمباحثة، هذا في جميع الفنون المتون ثلاثة: مختصر ومتوسط ثم مطولات، فالمطولات هي كُتُب الشروح وكُتُب الفقه المقارن وذكر المذاهب ونحوه، هذا لا يُؤتى إليه إلا بعد المختصرات والمتوسطات، الثالث: عليك بالحفظ، فإن العلم هو الحفظ، إذا لم يكن حفظ فلا علم، ليس بعلم ما حوى القمطر، ما العلم إلا ما حواه الصدر، هذا هو العلم، {بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا

الْعِلْمُ} (١٨٣)، وهذه الأمة أناجيلها في صدورها، يحفظون كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحفظون أقاويل الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح في هذا الباب، فلا بد من الاعتناء بالحفظ، تَكْتُبُ الْعِلْمَ وَتُلْقِي فِي سَفَطٍ، ثُمَّ لَا تَحْفَظُ لَا تَفْلِحُ قَطَّ، واليوم تَشْتَرِي الْكِتَابَ وَتَحْطُهَا فِي الدُّرَجِ (في الرَّفِّ)؛ مَا يُمْكِنُ أَنْ تَصِيرَ طَالِبَ عِلْمٍ، فَضْلًا أَنْ تَكُونَ عَالِمًا، فلا بد من الحفظ، إِنَّمَا عِلْمُكَ مَا تَحْفَظُهُ (هذا واحد) مَعَ فَهْمٍ وَتَوَقُّ مِنْ غَلَطٍ، تحفظ ثم تفهم فهما صحيحا لهذا المتن المحفوظ وتَتَوَقَّى الْغَلَطَ وتبتعد عنه، وَإِنَّمَا التَّعْلِيمُ بِالتَّعَلُّمِ وَالْحِفْظِ وَالتَّدْقِيقِ وَالتَّفْهَمِ، تَحْفَظُ، تُتَقِنُ مَا تَحْفَظُ، تُدَقِّقُهُ، تُصَحِّحُهُ (متنا صحيحا)، ثم تَتَفَهَّمُ بعد ذلك فيه، إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا فَجَمْعُكَ لِلْكِتَابِ لَا يَنْفَعُ، عِلْمِي مَعِيَ أَيْنَمَا يَمُمْتُ أَحْمِلُهُ، بَطْنِي وَعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنٌ صُنْدُوقٌ، إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ، أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ، يَمْشِي مَعَهُ عِلْمُهُ (حفظه)، هذا هو الحفظ، والحفظ مهم جدا، فإذا ما فيه حفظ؛ ما فيه علم، مَا حَوَى الْعَايَةَ فِي أَلْفِ سَنَةٍ شَخْصٌ، فَخُذْ مِنْ كُلِّ فَنٍّ أَحْسَنَهُ، بِحِفْظِ مَنْنٍ جَامِعٍ لِلرَّاجِحِ، تَحْفَظُهُ عَلَى مُفِيدٍ نَاصِحٍ، لَا بَدَ مِنْ حِفْظٍ، لَا بَدَ مِنَ الْحِفْظِ، وَأَحْسَنُ شَيْءٍ لِلْحِفْظِ وَأَحْسَنُ وَقْتُ لِلْحِفْظِ، الْآنَ عِنْدَنَا (شيء) (ووقت)، الوقت عائد إلى العمر، شرح الشباب، والحمد لله ابنتي هنا لا تزال في مُقْتَبَلِ الْعُمْرِ صَغِيرَةً، فَالْحَافِظَةُ قَوِيَّةٌ عِنْدَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، طَبِيبَةٌ، مَتَفَرِّغَةٌ مِنَ الشَّوَاغِلِ، فهذا ما يتعلق بأيش؟ الوقت، الشيء الثاني وهو (الشيء)، مَا مِنْ شَيْءٍ ادَّعَى أَنْ يَحْفَظَ بِسَبَبِهِ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ مِنْ إِدْمَانِ النَّظَرِ وَالْمَرَاجَعَةِ، وَلِذَلِكَ سَأَلَ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ أَكْثَرِ سَبَبٍ لِلْحِفْظِ، فَذَكَرَ هَذَيْنِ، قَالَ: شَرْحُ الشَّبَابِ وَإِدْمَانُ النَّظَرِ، هَذِهِ إِجَابَةُ الْبَخَارِيِّ، سَأَلَ عَنِ الْأَسْبَابِ الْمَعِينَةِ عَلَى الْحِفْظِ؟ فَقَالَ أَيْش؟ بِالْجَوَابِ الَّذِي يَشْمَلُ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ: (الزَّمانَ وَالشَّيْءَ)، فَأَمَّا (الشَّيْءُ) فَهُوَ الْمَرَّاجَعَةُ الدَّائِمَةُ وَالنَّظَرُ الدَّائِمُ، الْكِتَابُ مَعَكَ دَائِمًا، تَقْرَأُ، تَقْرَأُ، تَقْرَأُ، فَادِّمَانُ النَّظَرِ يُوَدِّي إِلَى الْحِفْظِ (ترسيخ الحفظ)، هَذَا هُوَ التَّدْقِيقُ، الْحِفْظُ وَالتَّدْقِيقُ، وَشَرْحُ الشَّبَابِ هَذَا هُوَ أَحْسَنُ وَقْتُ لِلْحِفْظِ، حِينَمَا لَيْسَتْ لَدَيْكَ مِنَ الْمَشَاغِلِ الَّتِي عِنْدَنَا، تَقْرَأُ؛ قَالُوا: جِيبْ

حفايضَ، حَقُّ الولدِ غَلَقَتْ، الحفايضُ انتهت، روحُ الصيدلية جَيْبُ حفايضُ، الولدُ انتهت حفايضه، وأنت في عِزِّ القراءة تقرأ؛ قالوا: والله الولدُ انتهى الحليب، خَلَصَ، روحُ جيبِ حليبٍ، في عِزِّ القراءة؛ قالوا: والله خَلَصَتِ الطماطم، ونحن نطبخ، روحُ جيبِ طماطم، وهكذا، فالشواغلُ كثيرةٌ، لكن حينما تكون شاباً؛ لا طماطم، ولا حفايض، ولا حليب ولا غيره، ما فيه إلا أنت، فأنت تستغلُّ هذا الوقتَ، والكلمةُ المأثورة المشهورة عن الشافعي (تعرفونها جميعاً) حيث يقول رحمه الله: لو كلفني أهلي شراءَ بصلَةٍ؛ ما كتبت من العلم مسألةً، فهذا أمرٌ لا بد منه، فشرخُ الشبابِ وإدمانُ النظرِ هذه إجابةُ جبلِ الحفظِ، وهو الحافظ البخاري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، سُئِلَ عن هذا فقال: أعظمُ سببٍ للحفظِ هذان الأمران، الأول: شرخُ الشبابِ، والثاني: إدمانُ النظرِ، نعم، فلذلك التَّعَلُّمُ في الصَّغَرِ كالنَّقْشِ في الحجر، ولهذا كلمةُ الحسنِ البصريِّ مشهورةٌ في هذا: "العلم في الصغر كالنقش في الحجر، والعلْمُ في الكِبَرِ كالكتابة على الماء"، هل تستطيع تكتب على الماء؟ ما تستطيع، ما يَقَرُّ الماءُ، ما يمكن أن يُكْتَبَ عليه، هذا هو، ولهذا أخذها ابنُ خالَوَيْه وقال أبياتهُ المشهورة في ذلك: أُرَايَ أَنَسَى مَا تَعَلَّمْتُ فِي الْكِبَرِ، وَلَسْتُ بِنَاسٍ مَا تَعَلَّمْتُ فِي الصَّغَرِ، وَلَوْ فُلِقَ الْقَلْبُ الْمُعَلَّمُ فِي الصَّبَا، لَأُلْفِيَ فِيهِ الْعِلْمُ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ، وَمَا الْعِلْمُ بَعْدَ الشَّيْبِ (يعني: وتُثْلِي، صَعْبٌ) إِلَّا تَعَسَّفُ، إِذَا كَلَّ قَلْبُ الْمَرْءِ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ، وَمَا الْعِلْمُ بَعْدَ الشَّيْبِ إِلَّا تَعَسَّفُ، إِذَا كَلَّ قَلْبُ الْمَرْءِ (تَعِبَ) وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ، وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حُسْنُ رَأْيٍ وَمَنْطِقٍ، وَمَنْ فَاتَهُ هَذَا وَهَذَا فَقَدْ دَمَرَ، فَسِنَّ الصَّغَرِ هُوَ السِّنُّ الَّذِي يُحَرِّصُ عَلَى تَلْقِينِ الصَّغَارِ الْعُلُومَ النَافِعَةَ فِيهِ؛ لِأَنَّ سِنَّهُمْ مَا هُوَ سِنُّ التَّفْهَمِ، لكن الحافظةُ قويةٌ، فهذا سِنُّ الْخَزَنِ، أَنْتِ تَخْزُنُ في هذه الحافظة التي آتاه الله إياها، حَتَّى يَصِلَ إِلَى سِنِّ لَيْشٍ كذا؟ لَيْشٍ كذا؟ يأتي السؤال، فَأَنْتِ تعطيه، تُلْقِنُهُ الإجابات التي تناسبه وتناسب سِنَّهُ، فَتَفُكُ لَهُ رَمُوزَ هذا المحفوظِ، فلا بد أيُّها البنتُ الكريمةُ مِنْ هذا، فأولاً: حفظُ المتون، ثانياً: أن تكونَ المتونُ هذه هي المعتمدة، ثالثاً: أَنْ تعرضِي هذا على المُدَرِّسِ الذي يفيدك وينصحك، ونحن نطلقُ لفظَ "المُدَرِّسِ"؛ يَعْنِي الذَّكَرَ والأنثى، فإذا كانتِ عندك المرأةُ العالمَةُ؛ الحمد لله، أَخَذَتْ عليها، وَإِلَّا حَضَرَتْ حِلَقَ مشايخِ العلمِ،

وسألت فيما يُشكّل عليك، وتعلّمت، وأرسلت بالسؤال، وحيثُ يَحْصُلُ التَّعَلُّمُ، وتابعتِ الأشياخَ في حلَقِهِمْ ودروسِهِمْ، وإن شاء الله تستفيدين، بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولكن الذي أحتُّ عليه هو المراجعة الدائمة (إدمان النظر) مع اختيار هذه الكتب النافعة^(١٨٤).

[٢] ^(١٨٥) هذا الذي يسأل يقول: عندنا في المنطقة إمامٌ مسجدٍ، يَنْفَقُ مع بعض المصلين كلَّ جمعةٍ أن يمشوا بعد الفجر إلى جامعٍ يَبْعُدُ عن المنطقة بمسافةٍ ثلاثة كيلو متر، مع وجود جوامعٍ قريبةٍ، وأثناء مَشْيِهِمْ يمشون قرابةَ خمسمائةٍ مِترٍ بدون نعالٍ (يعني: لهم، مشوا، بقي خمسمائة متر أو يبتدؤون بخمسمائة متر) يقول هو: في أثناء مشيهم، أنهم يأخذون نعالهم ويمشون حفاةً (هذا ما أدري من أين جاء بهذا؟) ويرجعون بعد الصلاة بعضَ المراتِ مشياً، وفي بعضها بالسيارة، وصاروا يَتَفَقُّونَ على هذا الأمرِ كلَّ جمعةٍ، فما حكمُ هذا الفعل؟

هذا الفعل مُحَدَّثٌ، مُبْتَدَعٌ، لا أعلمُ له أصلاً في الشرع، وما دام عندهم جوامعٌ قريبةٌ فليبدؤوا بالجامع القريب، وأما المشيُ أيضاً حفاةً؛ هذا أيضاً بدعةٌ أخرى، بدون نعالٍ! هذا ما هو صحيحٌ، من أين جاء به هذا الخطيب (أو: هذا الإمام)؟! هذا غلطٌ، فيجب أن يُنَاصَحَ، وأن يُبَيَّنَ له، نَعْمَ التبكيرُ إلى الجمعةِ مطلوبٌ، مَنْ راح في الساعة الأولى فكأنما قَرَّبَ بدنةً (كما تعلمون الحديث الصحيح في هذا) مَنْ ذَهَبَ في الثانية فكأنما قَرَّبَ بقرةً، في الثالثة كأنما قَرَّبَ كبشاً أقرن، في الرابعة دجاجةً، في الخامسة بيضةً، بيضةً وأيش تُغْنِي عنك؟! وبعد ذلك إذا خرج الإمام طَوَتِ الملائكةُ الصَّحَفَ وجاءت تستمعُ الخطبةَ، كان الجدُّ رحمةً الله عليه (أبو الوالد) يقول: البيضةُ تُطَيِّحُ وتُنَكِّسِرُ [...] ^(١٨٦) مفلسٌ منها، وأنت في جنب المسجد ليش ما تقوم؟! فالتبكيرُ إلى المسجد يومَ الجمعةِ أمرٌ شرعيٌّ مطلوبٌ سنَّةٌ، وقد

^{١٨٤} _ هنا في الأصل: " هذا أيضا إعلان ثالث، يقول أيش؟ إسكوي رصاصي، حاء، سين، ألف، حساً، روحٌ تحسّى، ثمانية، أربعة، اثنين، خمسة، فتحسّى أيها الابن والأخ الكريم، فاذهب وتحسّن، فأحسن إلى الناس، واخرج هذه السيارة عنهم، نعم، تفضّل".

^{١٨٥} _ هنا في الأصل: " هذه مجموعة من السؤالات جاءت من البحرين ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يعين على الإجابة، فما علمنا أجبتنا وما لا نعلم أحلنا، السؤال الأول".

^{١٨٦} _ كلمتان غير ظاهرتين.

تفاوت أهله في الأجر، فرق بين صاحب البعير وبين صاحب البيضة! أما بهذا النحو: يمشون حفاة، ولا بد يذهبون ماشيين، ويعودون من طريق آخر، ويرجعون بعض المرات مشياً، ويتفقون على هذا؛ هذا غير صحيح، ولا أعلم لهذا أصلاً، والواجب على هذا (الذي يعرف هؤلاء) أن ينصح لهذا الإمام أو يكلم من عنده علم لينصح له، ويناقشه في هذا، لعله يدع هذا الفعل الذي ذكر.

[٣] وهذا يقول^(١٨٧): أخي كان على الخير، ثم بدأ يلعب في لحيته، وبماشي أصحاب السوء،

حتّى وصل إلى عدم محافظته على الصلوات، وأمي تحاول معه وتنصحه ولا فائدة، فهل من توجيه لأمي لنصحها والطريق إلى إرشاده؟

تصبر على نصحها، وأهم شيء الصلاة، الصلاة هي العهد الذي بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى، من تركها فقد كفر، هذه الصلاة هي عمود الدين، قرّة عين المصطفى فيها كما عن نفسه أخبر نصاً محكماً، ولم يزل مسارعاً إليها، وكَمَ لَهُ مِنْ بَيْعَةٍ عَلَيْهَا، صلوات الله وسلامه عليه، وحينما نسجد في القرآن يحزنه ذا غاية الإحزان، من؟ إبليس اللعين، نسأل الله العافية والسلامة، فهذه الصلاة هي عمود الدين، ثانياً الأركان للإسلام، تنهي عن الفحشاء والآثام {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}^(١٨٨) الآية، فهذه الصلاة هي عمود الدين، فإذا سقط العمود سقط الفسطاط، فينبغي أن يهتم معه أولاً بأمر الصلاة، ثم بعد ذلك ما عداه، ويجب على الوالدة إذا ما رأت منه قبولاً أن تهجره لعله يؤثر فيه هذا، ولعله ينتفع بذلك، وتقول له: لا أرضى عنك حتّى تؤدّي حقّ الله جلّ وعلاً عليك، فكما أوصانا بأن نقوم بحقّ الوالدين، يجب على الوالد ألا ينسى وصية الولد بأن يقوم بحقّ الله، الله جلّ وعلاً أوصى الولد أن يقوم بحقّ الوالد، فيجب على الوالد أن يوصي الولد بأن يقوم بحقّ الله جلّ وعلاً عليه، وأهم شيء هذه الصلاة، لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، وعليها أن تحتسب في هذا، وأنت أيها الأخ السائل كذلك تعاون الأم،

^{١٨٧} _ هنا في الأصل: "السؤال الثاني يقول".

^{١٨٨} _ العنكبوت (٤٥).

تعاون الوالدة على النصيحة لأخيك، أن يحافظ على هذه الصلوات، وأن تنصحه وتخوفه بسوء العاقبة إن هو بقي على هذه الحال، وأن من ترك الصلاة فليس بمسلم، العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر (كما ذكرنا بالأمس في إجابة سؤال نحو هذا)، فيكفر تاركها إذا كان مع الجحود، وإذا كان دون ذلك (دون جحود) ففي أصح قولي العلماء أنه يكفر، يكفر بالإجماع من لها جحد، ولم يخالف فيه قطعاً من أحد، لأنه قد ماثل الشيطان، وكذب الرسول والقرآن، وهو كغيره من الكفار، وحكمهم يعطى بلا تمار، فإن أقر بالوجوب وأبى، فقتله على الأصح وجباً، للكفر أو حداً على خلاف قد جاء عن أئمة السلف، فقال قوم: إنه لا يكفر، كلا ولا يقتل، بل يعزر، وحبسه حتى يصلي قد رأوا، والحق قل مع من يقتله قسواً، يقتل مثل هذا، ويخوف هذا الإنسان، هذا الأمر ما هو يسير، فلعل الله جلّ وعلاً أن يهديه، فإذا استقام أمر صلاته فما دونه (إن شاء الله) يأتي الله به، أنت أبدأ معه بهذا المهم، ونسأل الله جلّ وعلاً أن يعينكم على ذلك، فإن أبى فالبراءة منه، هذا سؤال يبقى تكلمة، إذا ما حصل شيء من استجابة؟ هذا يجب أن يبرأ إلى الله منه، لا يواكل، ولا يشرب، ولا يجالس، وإذا طلب المناكحة لا يناكح؛ لأنه في الأصح من قول العلماء ما هو بمسلم، أبداً، وإن سئلت عنه؛ ما تنصح به، تنصح بعدم تزويجه ونحو ذلك، هذا هو الدين إذا استمر على هذا الباطل وأبى أن يقبل النصيحة.

[٤] ^(١٨٩) يقول: عن إساءة الظن بأهل البدع والفساق والكفار إذا وجدت القرينة، فهل يؤجر على

هذا؟

إذا وجدت القرينة؛ أما الكافر فقد تبين حاله، وأما صاحب البدعة والفسق فإذا قامت القرينة؛ ما بقي شيء، فالقرائن يقضى بها، ومن أوقع نفسه في مواقع التهم (يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه) فلا يلومن من أساء الظن به، لا يلوم من أساء الظن به، هو الذي أدى بنفسه إلى إساءة الظن،

^{١٨٩} هنا في الأصل: "والسؤال الثالث".

تراه داخلا خارجا إلى المراقص، ما شاء الله! أيش؟ رايح يُصَلِّي؟! تراه داخلا خارجا إلى الحانات، أيش؟ رايح يشرح كتاب البخاري عندهم؟! هذا هو، حتّى ولو كان؛ الإنسان يبتعد، دعوة الناس ما تكون في مثل هذه الأماكن، وإنما يتصيّدُهُم ويحدّرُهُم مِنَ الباطل، إما أَنْ يَتَغَشَّى هذه الأماكن؛ هذه شرٌّ، نعوذ بالله، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَمْرُنَا بِمُجَانِبَةِ هَؤُلَاءِ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ {إِنَّكُمْ إِذَا مِثُلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} ^(١٩٠)، فما تجالس هؤلاء، إلا إذا مررتَ وسمعتَ شيئا مِنْ طَنبُورٍ ونحوه وأنكرتَ ومشييتَ؛ نعم، هذا الله يَعْذُرُكَ، أمّا أَنْ تتردد على هذه الأماكن! وهكذا كلُّ مواطنٍ السَّوءِ إذا رُبِّيتَ تَتَرَدَّدُ عَلَيْهَا أَسَاءَ النَّاسِ الظَّنَّ بِكَ، فلا يمكن أَنْ يُحْسِنُوا بِكَ الظنَّ وأنتَ قد وَقَعْتَ نَفْسَكَ فِي مَوْضِعٍ إِسَاءَةِ الظنِّ، فَمَنْ أوقف أو أدخلها أو أوقعها في مواقع التُّهْمِ؛ فلا يلومَنَّ مَنْ أَسَاءَ الظَّنَّ بِهِ، وإذا كان الغرضُ مِنْ هذه الأصنافِ الثلاثة (كما يقول السائل في تنمة سؤاله) التحذير؛ فأنتَ مأجورٌ إِنْ شاء الله تعالى، إذا حَدَّرْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَسْقِ وَالْفُجُورِ، حَدَّرْتَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ، قامتِ الدلائلُ عندك وقامتِ القرائنُ؛ أنتَ مأجورٌ إِنْ شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وعلى هذا مَشَى السَّلَفُ، وعلماء الإسلام على ذلك، نعم.

[٥] ^(١٩١) هل ورد النهي عن تشبيك الأصابع عند الخروج مِنَ المنزل والذهاب إلى المسجد؟

نعم؛ لَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فلا يَقُولَنَّ بِيَدِهِ هَكَذَا، ثم قال: "فَإِنَّهُ فِي صَلَاةٍ؛ فَإِنَّهُ فِي صَلَاةٍ، فَنَهَى عَنْ هَذَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإذا خرج وهو كذلك لا تَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لا تُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ؛ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ، فَإِنْ أَدْرَكَ النَّاسَ يُصَلُّونَ صَلَّى، وَإِنْ لَمْ يَدْرِكْهُمْ أَوْ قَضَوْا؛ كُتِبَ لَهُ الْأَجْرُ إِنْ شاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

[٦] وهذا يسأل، يقول: أحد الدعاة يقول: المرأة أداة الله في الخلق؟

^{١٩٠} _ النساء (١٤٠).

^{١٩١} _ هنا في الأصل: "والسؤال الرابع".

هذا كلامٌ غيرٌ صحيحٍ، {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (١٩٢)، وهذا الكلام (هذه العبارة) غيرٌ صحيحةٍ.

[٧] هذا يقول: هل يصح القول: بأنَّ من أعظم علامات أهل السنة محبتُّهم لولاة الأمر؟

طاعتُهم لولاة الأمر؛ هذا الصحيح، الطاعة لولاة الأمر، قد يكون وليُّ الأمر فاسقا؛ فأنت تطيعه في طاعة الله جلَّ وعلا ومع هذا لا ترى الخروجَ عليه، وتُبغضُ منه أيش؟ معصيته، كما قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَأَاهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ هَكَذَا _ فَلْيَكْرَهُ الَّذِي يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ"، فَنَحْنُ نُحِبُّهُمْ عَلَى الصَّلَاحِ، وَنُبْغِضُ مِنْهُمْ الْفَسَادَ إِنْ عَلِمْنَا فُسَادًا، وَلَا يَحْمِلُنَا بُغْضُنَا لِلْفُسَادِ الَّذِي نَرَاهُ أَنْ نَخْرَجَ عَلَيْهِمْ، أَوْ أَنْ نَتَوَرَّعَ عَنْهُمْ وَأَنْ نَمْنَعَهُمْ حَقَّهُمْ مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ مَا لَمْ يَصِلُوا إِلَى الْكُفْرِ الْبَوَاحِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنَا بِذَلِكَ، هَكَذَا جَاءَتْ النُّصُوصُ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُصَلِّحَنَا وَيُصَلِّحَ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ حَكَامًا وَمَحْكُومِينَ.

ولعلنا نكتفي بهذا القدر، والله أعلم.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ (١٩٣)(١٩٤).

^{١٩٢} _ يس (٨٢ _ ٨٣).

^{١٩٣} _ هنا في الأصل: "وهناك سؤالان تركتُهما، فلا يقع في نفس السائل منهما؛ لأنهما خاصان وليسا بعامين، وما كان خاصا فَيُطْرَحُ على الخصوص، وما كان عاما فَيُطْرَحُ على العموم. فوضَّعُ الشَّيْءِ في موضعه هو الحقُّ، ونسأل الله التوفيق للجميع".

^{١٩٤} _ مَا كَانَ مِنْ خَطِيئَةٍ فِي الْتَفْرِيعِ فَلَمَّا فِي الْإِنْسَانِ مِنْ قُصُورٍ وَتَقْصِيرٍ، وَالْإِنْسَانُ يَجْتَهِدُ وَيَتَحَرَّى الصَّوَابَ، فَجَزَى اللَّهُ مَنْ فَرَعَهَا خَيْرًا، وَجَعَلَ هَذَا فِي مِيزَانِ حَسَنَاتِهِ، وَكَتَبَ لَهُ الْأَجْرَ وَالْثَوَابَ، وَثَبَّتَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ حَتَّى يَلْقَاهُ، اللَّهُمَّ آمِينَ.